الجمهوريّة الجزائرية الديمقراطية الشعبية
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية بقسنطينة
كليّة أصول الدين
قسم العقيدة ومقارنة الأديان

الإنبعاث الحضاري الإسلامي عند محمّد مهاتير

أطروحة مقدّمة لنيل شهادة الدكتوراه علوم في العقيدة والفكر الإسلامي

إعداد الطالبة:
سعاد دوفاني

إشراف الدكتورة:
الزهرة لحلح

اللّجنة المناقشة:		الصّفة:
د/بشير قلاتي	جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية	رئيسا
د/ الزهرة لحلح	جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية	مشرفا ومقررا
د/الشريف طاوطاو	جامعة خنشلة	عضوا مناقشا
د/عبد المالك بن عباس	جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية	عضوا مناقشا
د/مصطفى ونتن	جامعة غرداية	عضوا مناقشا
د/نصيرة هرنون	المدرسة العليا للأساتذة – قسنطينة -	عضوا مناقشا

الموسم الجامعي:

1438-1437 هـ

2016 – 2017 م

بسم الله الرحمن الرحيم

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

إهداء

إلى روح أمي الغالية.

إلى قرة عيني أبي العزيز.

إلى عمتي التي ربتني.

إلى أولادي، إخوتي، أخواتي وعائلاتهم.

إلى مريم صاحبة الفضل وإلى جلال.

إلى كل أصدقائي أهدي هذا العمل.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

شكر وعرفان

عملا بقول الرسول صلى الله عليه وسلم" : «إن أشكر الناس لله عز وجل أشكرهم للناس»، أتقدم بآيات الشكر والعرفان والامتنان لله أولا ثم للأستاذة الفاضلة الدكتورة ال**زهرة لحلح**، التي قبلت الإشراف على هذا البحث، شاكرة عضدي، آخذة بيدي، مؤازرة وناصحة وموجهة، واضعة ثقتها الغالية في ما كتبته في هذا البحث.

كما لا يفوتني أن أشكر **زوجي و أولادي** الذين أعانوني بصبرهم و تحفيزهم إياي كلّما خارت قواي، وفترت عزيمتي.

وأخيرا، أشكر الدكتور نعمان صالح، الغائب الحاضر الذي بدأت معه خطوط البحث الأولى، كما أشكر كلّ من دعمني من قريب أو من بعيد، فجزاهم الله عنّي كلّ خير.

مقدمة

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدّين وبعد

يلازم التحضرُ عَالَمَ الفكر والاصلاح والتجديد، وتحدد السبل والمناهج وفق الأهداف المنشودة، وكذا الملابسات و الظروف التي يظهر فيها الفكر الإصلاحي وباعتبار العالم الإسلامي قد خرج من مسرح الفعل والتأثير الحضاري لقرون إلا أن هّمَّ عودته إلى توجيه الأحداث وصنع التاريخ، حمله مفكروه، وعلماؤه منذ قرنين من الزمن ظهرت خلاله محاولات للإصلاح، ودعوات للتجديد بين الفترة والأخرى كمحاولات: جمال الدين الأفغاني، محمد بن عبد الوهاب، محمد إقبال، بديع الزمان سعيد النورسي، ابن باديس ومالك بن نبي وغيرهم، ممن أدركوا واقع أمتهم، وهموم العالم الإسلامي ومشاكله فكانوا منابر للتغيير، كل حدد منهجه ووسائله إليه ضمن معادلة بطرفين متعاكسين الأول عالم متحضر يسير بخطى متسارعة إلى الإبداع، والرفاه المادي، والتنظيم الإجتماعي والآخر عالم متخلف يغشاه الإنحطاط في كل جوانب الحياة، ما ساعد على تزايد دوافع الإصلاح وإلحاح الحاجة إلى التجديد. وغير بعيد في الشق الآسيوي من العالم الإسلامي يبقى همُّ النهوض والتحضر يدفع الجهود نحو التغيير والإصلاح، وهو ما دارت حوله هذه الدراسة الموسومة بـ" الإنبعاث الحضاري الإسلامي عند محمد مهاتير" والتي ستتطرق إلى رؤية محمد مهاتير إلى الراهن الحضاري، وضرورة استيعابه وتجاوزه عبر تشخيص بؤر الداء ووصف العلاج المناسب لها، خاصة وهو الطبيب الذي إنتقل من علاج أمراض الجسد إلى علاج أدواء المجتمع، منطلقا إلى غد ماليزي يميزه الإزدهار والتقدم.

أهمية البحث:

يعد موضوع الدراسة التي نحن بصددها هَمًّا لكل مسلم يؤلمه حال أمة تملك من الإمكانات ما تستطيع به تغيير أوضاعها وإدراك الازدهار والتطور، تتمثل في مرجعية مستوفية للأسس النظرية والعلمية التي يحتاجها أي نهوض، خاصة سنن قيام وسقوط الحضارات في القرآن الكريم، وكذلك ما أنتجه الفكر الإسلامي من دراسات جادة لا بد من المواصلة والبناء عليها لإدراك الإنبعاث من جديد.

أسباب اختيار الموضوع:

ممّا دفعني إلى اختيار موضوع بحثيأسباب، منها ماهو ذاتي ومنها ماهو موضوعي:

الذاتيــة: وتتمثـل في اهتمـام شخصـي بالدراسـات الحضـارية والمسـؤولية الـتي يجـب أن تتظافر الجهود في تحملها لعودة الأمة إلى تبوأ مركزيتها الحضارية، وشهودها على الأمم.

الموضوعية:

1- يتطلـب الوضـع الـذي تعيشـه الأمـة الإسـلامية بـذل للمزيـد مـن الجهـود الجـادّة حتى يكتب لها الإنطلاق في بناء حضارة هي الأحق بها بين الأمم.

2- التوسـع في الدراسـة والبحـث للتوصـل إلى الآليـات المنضـبطة الكفيلـة بتحقيـق الإنبعاث الحضاري المنشود.

3- والرغبـة في التعامـل مـع نمـاذج مفارقـة فيمـا يتعلـق بالتأسـيس المعـرفي لمعـالم نهضـوية معاصرة.

4- إسـتجلاء العلاقـة المعرفيـة النهضـوية بـين فكـر محمـد مهـاتير وفكـر مالـك بـن نـبي والـذي أسـهم في انبعـاث حضـاري، مـن الضـروري أن يقودنـا نحـن كـذلك إلى الإنبعـاث الحضاري المنشود.

4-أهداف الدراسة:

إن حـال الأمـة الإسـلامية ومـا تعيشـه مـن تخلـف حضـاري، يجعلهـا محـل اتهـام بالتقصير والعجز عن الفعل والتأثير بما يدفع حركة التاريخ من جديد، في حين تنجح الأمم الأخرى في الـتمكن مـن توجيـه الـنظم والأفكـار بمـا يخـدم مصـالحها، ويحقـق لهـا التفـوق والسيادة، من أجل هذا تهدف الدراسة إلى:

1- دفـع تلـك الـتهم مـن خـلال الكشـف عـن جهـود المصـلحين الـتي انصـرفت إلى البحـث الـواعي للواقـع وإشـكالاته، محاولـة تسـليط الضـوء علـى أدوائـه وأسـباب التخلـف والغياب.

2- إبراز إمكانالإنبعاث تأسيا بالتجارب الرئدة مثل التجربة الماليزية.

3- الـربط بـين النجـاح والخيريـة وفقـه التـدين الصـحيح القـائم علـى فهـم الـدين فهمـا عميقا وتطبيق أحكامه تطبيقا واعيا.

4- إثبات أن النهوض الحقيقيوالتحضر الفعلي، هو الذي يرتكز على بناء الإنسان وجعله رأسمال الحضارة فعلا، ببعديه المادي والروحي.

الإشكالية:

الأمة الإسلامية كغيرها من الأمم مضطرة إلى أن تكون شاهدة أو غائبة، قائدة لغيرها من الأمم إلى الخير و النور أو تقودها غيرها من الأمم، ضمن ثنائية يصوغها من يملك زمام الأمور، ما جعل الغرب يستحوذ على الأنظمة، والأفكار، والمقدرات ليوجهها بما يخدم مصالحه، مادام هو راعي الحضارة، وحامل مهمة التحضر "المقدسة" على حدّ زعمه، بوجود أمّة إسلاميّة تملك مقومات الإنبعاث والنهوض من جديد لكنها تئن تحت وطأة التخلف والجوع والجهل بسبب انحسار دور الدين في النفوس، وغياب الفعالية اللازمة للانطلاق نحو ممارسة السيادة على الكون، و الشهادة على الأمم الأخرى. لكن ظهور تجارب إسلامية معاصرة، أحيا الأمل في إمكان النهوض من جديد كتجربة تمردت على الغرب وترعرعت في وسط مفارق له، ونافست كبرى الدول رغم العراقيل والتهديدات وهي التجربة الماليزية، التي قامت على مرجعيّة مكّنت لها إنبعاثا حضاريّا موصولا بأهدافومعوقات، وهو الأمر الذي يقودنا لتساؤلنا الرئيسي:

- ما هي مرجعية وأسس المشروع الحضاري الذي تبناه محمد مهاتير؟

أما الأسئلة الفرعية:

- من هو محمد مهاتير وما العوامل التي ساهمت في تكوين شخصيته؟وما مدى تأثيرها على مشروعه الحضاري؟
- ماهي المرجعية التي تتحدد على أساسها تجربة محمد مهاتير النهضوية؟
- ما هي معالم المشروع الحضاري المهاتيري؟
- ما هي مظاهر الإنبعاث الحضاري في التجربة الماليزية في عهد محمد مهاتير؟

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

الدراسات السابقة:

بعنوان البحث لم أعثر على دراسة في حدود علمي، بينما وجدت دراسات تختص ببعض جوانب الموضوع، نذكر منها.

الدراسة الأولى: عادل الجوجري بعنوان: "مهاتير محمد النمر الآسيوي" وهو كتاب تناول شخصية محمد مهاتير منذ نشأته، وقد اعتمدت عليه في بحثي بشكل كبير خاصّة في بداية الفصل الثاني، ثم الرابع، و قد لاحظت أنّ الكتاب تناول حياة مهاتير و إنجازاتهوقد حاولت التعمّق أكثر خاصّة في إظهار البعد الحضاري الإسلامي في تجربة مهاتير و التوسّعفي مجالاتها المختلفة، مع التّركيز على مظاهر الإنبعاثالحضاري عند مهاتير مع التفصيل معتمدة في دلك على مذكّرات وموسوعة مهاتير وسائر كتبه المتاحة.

الدراسة الثانية: كتاب لـ "محمد الصادق إسماعيل" بعنوان: " مهاتير محمد والصحوة الإقتصادية"، وقد تناول مظاهر التنمية الإقتصادية في ماليزيا، ضمن مرحلة حكم محمد مهاتير، وعلاقة الكتاب بموضوع بحثي تطرقه إلى الجانب الإقتصادي، وفي بعض العناصر الجانب التعليمي، وقد أضفت إليه تعليقات وربط للإنجازات بفكر محمد مهاتير وقناعاته الإسلامية، مع إظهار عبقريته في النّهوض بماليزيا في سائر المجالات.

الدراسة الثالثة: كتاب لـ: محمد بابا عمي بعنوان: " القاموس الحضاري للمجدد محمد مهاتير" عرض فيه محمد مهاتير، على أساس أنه مجدد، من خلال تتبعه للجزءوالجزء 2 من موسوعة محمد مهاتير وعرض مقتطفات منها وعلق عليها وربطها بأدلة من قرآن أو أحاديث، وعلاقته ببحثي من حيث كون التجربة المهاتيرية إثبات لإمكان النهوض الحضاري، ما ساعدني في بلورة مرجعية محمد مهاتير الحضارية، و قد كان دراسة في مقتطفات الكتابين، أفدت منها في بعض النقاط، و أضفت إليها توسّعا شمل سائر أعماله و إنجازاته الفكريّة و العمليّة.

الدراسة الرابعة: رسالة ماجستير من جامعة ورقلة للطالب علي قوق بعنوان: "إدارة الأقاليم والتجارب المستفادة عربيا- حالة ماليزيا" تناولت الدراسة شكل الدولة الماليزية ونظام الحكم الفدرالي فيها، مثبتا نجاحه في استيعاب التنوع العرقي والإثني الماليزي وعلاقتها بموضوع بحثي في الجانب السياسي من التجربة الماليزية وقد أفادتني في هذا الجانب، إلّا أنّ بحثي أوسع بتطرّقه إلى الجوانب الأخرى، وإحاطته بإنجازات محمّد مهاتير في الجانب الإقتصادي والاجتماعي.

الدراسة الخامسة: رسالة ماجستير من جامعة الجزائر 3 بعنوان: "المشروع الحضاري الإسلامي بين العالمية و العولمة " للطالبة: بن كوسة دليلة. أشارت في بحثها إلى تطبيق المشروع الحضاري الإسلامي في عهد محمد مهاتير، ركزت فيه في جزئيّة من البحث على طبيعة النظام السياسي الماليزي، وعلاقته ببحثي في الجانب السياسي للتجربة الماليزية،حيث استفدت منه في هذا الجانب، وقد توصلتُ إلى أن محمد مهاتير تبنى نظاما معاصرا بحث عن النجاح، باعتماد سياسة القدوة، وتوجيه نظره شرقا للإفادة من اليابان مع إبقاء عينه على الغرب، وانتقاء ما يصلح لبلده ويوصله إلى النجاح، و هنا كانت إضافتي المبنيّة على مشروع محمّد مهاتير الحضاري المتكامل.

مصادر ومراجع الدراسة:

اعتمدت لإنجاز هذه الدراسة على جملة من المصادر والمراجع:

أما المصادر فتتمثل في كل كتب محمد مهاتير، أخص منها بالذكر مذكراته التي ضمّنها في كتابه: طبيب في رئاسة الوزراء، وقد تحصلت عليه بنسختيه الانجليزية والعربية، كما اعتمدت على الموسوعة والتي شملت معظم إنتاجه الفكري متمثلة في عشرة كتب، و كتابه المشترك مع ايشيهارا نسنتارو وعنوانه صوت آسيا، وغيرها من المصادر والتي سيأتي ذكره مفصلا في آخر البحث.

أما المراجع فقد اعتمدت على كتب منها ماهو عبارة عن دراسة حول محمد مهاتير مثل كتاب عادل الجوجري بعنوان النمر الآسيوي مهاتير محمد، وكتاب محمد بابا عميّ بعنوان القاموس الحضاري للمجدد محمد مهاتير، إضافة إلى مجموعة من الكتب الفكرية و الرسائل الجامعية و المجلات والتي سيرد تفصيلها في نهاية البحث.

منهج الدراسة: لقد اعتمدت مناهج مختلفة أثناء معاجة المادة العلمية للدراسة وهي:

1- **المنهج التحليلي التاريخي**: والذي استعنت به بغية تحليل الآراء والأفكار ووضعها في إطارها التاريخي، سواء ما تعلق بأقوال وأفكار محمد مهاتير أو بغيره.

2- **المنهج الإستقرائي**: والذي مكنني من استقراء وتتبع آراء محمد مهاتير وأفكاره بخصوص الانبعاث الحضاري، في كلّ مضامينها من كتب، مقالات وخطابات.

3- **المنهج النقدي المقارن:** وقد دعت إليه ضرورة البحث في بعض العناصر للموازنة والمقارنة بين أفكار محمّد مهاتير ومثيلاتها في الفكر الإسلامي، ومن ثم الخروج بحكم موضوعي على فكره، ووضعه في مكانه من الفكر الإسلامي.

صعوبات البحث:

لقد واجهتني صعوبات متعددة أثناء القيام بهذه الدراسة ولعل أبرزها: قلة الدراسات حول تجربة ماتزال معاصرة.

- صعوبة الحصول على كتب محمد مهاتير ما كلفني جهدا ماديا ومعنويا للحصول عليها بعد عناء كبير.

- كما لا أخفي تهيبي من موضوع مازال حيا ومعاشا، ما دفعني بحماس أكبر لزيادة ولو شيء يسير إلى المكتبة الإسلامية يكون منطلقا للتوسع والبحث والإثراء.

- وكذلك تغيير الإشراف وما سببه لي من قلق وحيرة خوفا على ما يمكن أن أواجهه جراء ذلك.

- كما أنني واجهت صعوبات كثيرة حين توجهت إلى ماليزيا، متحملة وعناء السفر وبعد المسافة ومشقة التنقل، وكنت أطمع في أمرين:

- الأول مقابلة الدكتور محمد مهاتير شخصيا لأطرح عليه أسئلة كثيرة أردته أن يجيبني عليها، وأتعرف أكثر على رجل فتح باب الأمل أمامنا، وجعلنا نوقن بأن التغيير ممكن إذا صح العزم وصدقت النوايا

- الثاني أن أعاين بنفسي منجزات ماليزيا، وأقف على التطور الحاصل في هذا البلد، وأصل إلى المشاهدة الحسية لما قرأت عنه ووجدته في طيات الكتب والبحوث وقد مكثت قرابة العشرين يوما في كوالالمبور متنقلة منها إل مناطق مختلفة سيأتي ذكرها في غضون البحث، وقابلت أشخاصا كثر، ووقفت على حقائق متعددة.

ولا يفوتني أن أقر انبهاري بما وجدته ورأيته كما لا أنسى ذكر معاناتي مع لسعات الحشرات التي أوصلتني إلى الطبيب والعلاج، ولا أنكر أن هذه الرحلة التي كانت على حسابي الخاص كلفتني مبالغ كبيرة من المال والجهد ومن المغامرات الكثيرة في سبيل إتمام بحثي، وإغنائه بالمعاينة والمشاهدة ورغم أني لم أقابل الدكتور محمد مهاتير لأنه كان وقتها يمر بوعكة صحية وهو مريض القلب، فكان في العناية المشددة

وكانت الزيارة مستحيلة وبعد طول انتظار عدت أدراجي إلى الجزائر وقد حمدت الله تعالى على توفيقه وحفظه، وأحتسب عنده كل معاناتي راجية أن يوفقني إلى ما فيه الخير.

خطة البحث

وجاءت الرسالة مكوّنة من مقدّمة وأربعة فصول تتضمّن مباحث، ومطالب، وخاتمة وهي كما يلي:

المقدّمة:

الفصل الأوّل: وهو الفصل التمهيدي ويدور حول النشأة والظروف التاريخيّة وأثرها في تكوين محمّد مهاتير، وكذا تحديد المصطلحات ويتضمن هذا الفصل: مبحثين:

المبحث الأوّل: ويدور حول تحديد المصطلحات وتحرير المفاهيم، ويشمل مطلبين.

المبحث الثاني:يتضمن المولد والنشأة، وفيها خمسة مطالب.

الفصل الثاني: ويدور حول المشروع الحضاري المهاتيري ويتضمن أربعة مباحث:

المبحث الأول: الإنسان عند مهاتير.

المبحث الثاني: نظرة مهاتير للتعليم.

المبحث الثالث: مهاتير والقيم.

المبحث الرابع: مهاتير والهوية.

الفصل الثالث: ويدور حول: مرجعية محمد مهاتير الإسلامية وأسس الانبعاث الحضاري، ويتضمّن مباحث ثلاث:

المبحث الأوّل: أسس الإنبعاث الحضاري في القرآن الكريم السنّة، ويتضمّن أربعة مطالب

المبحث الثاني: أسس الإنبعاث الحضاري في الفكر الإسلامي، ويتضمّن مطلبان.

المبحث الثالث: أسس الإنبعاث الحضاري عند محمّد مهاتير، ويتضمّن ثلاثة مطالب.

الفصل الرابع: ويدور حول مظاهر الإنبعاث الحضاري الماليزي في عهد محمّد مهاتير ويتضمّن:

المبحث الأوّل: المظهر الثقافي الإجتماعي، ويشمل أربعة مطالب.

المبحث الثاني: المظهر الإقتصادي، وضمّنته أربعة مطالب.

المبحث الثالث: المظهر السياسي، ويضم مطلبين.

خاتمة الرسالة: وفيها نعرض أهمّ النتائج التي توصّل إليها البحث، وذلك من خلال دراستنا "للإنبعاث الحضاري الإسلامي عند محمّد مهاتير".

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

الفصل المفاهيمي:

تحديد المصطلحات وترجمة محمد مهاتير

تمهيد:

صناعة التاريخ تتطلب رجالا يعيشون الحياة مستشعرين أنها حياتهم، وأن الدنيا دارهم، يسمعون فيها نداء الكون الفسيح وهو يدعوهم إلى التفكر والتدبر عبر الدرس والبحث وبذل الوسع من أجل نقل الواقع المتردي إلى مستقبل مشرّف تصبوا إليه أممهم، ويتطلبه التغيير المثمر الذي يجيب على سؤال النهضة ويوجد آلياتها الناجحة.

ولأنهم نماذج فذة لاتتكرر كثيرا، نجدهم يحملون استعدادات خاصة، وهموم عالية وأنفساً تتطلع إلى غد أفضل لبلدانهم وللإنسانية عامة، وهو ماجعل محمد مهاتير يجتهد في قيادة عجلة التغيير في ماليزيا، مركزًا على إعداد الإنسان، معتبرا إياه رأسمال الحضارة، وعماد كل تغيير، فانطلق مستثمرا قيم الدين الإسلامي لتحقيق ذلك.

بدأ محمد مهاتير عجلة التغيير في ماليزيا، وأكملها من جاء بعده مستثمرا قيم الدين الإسلامي، الأخلاق الفاضلة التي تعزز لدى المسلم الإتقان، والجودة، والمساواةوالعدل والتكافل الإجتماعي، وحوّلها جميعا إلى واقع عملي تنموي، وفق مقاربة فريدة تجمع الخير، وتقتبس النجاح أينما كان.فمن هو هذا الرجل؟ وما هي العوامل التي ساعدت على تكوين شخصيّته؟ لكن قبل التطرق لى هذه التفاصيل يكون من الضروري ضبط المصطلحات المفتاحية في البحث، والتي ستساهم في توضيح فكرته، وموضوعه، وتفاصيله.

وهو ما سيتناوله هذا الفصل، حيث ضمّنته مبحثين:

المبحث الأوّل: ويدور حول تحديد المصطلحات وتحرير المفاهيم وضمنته مطلبين يحددان مصطلحات البحث.

المبحث الثاني:ويدور حول المولد والنشأة، وفيه خمسة مطالب تفصل لنا نشأته ودراسته وزواجه وأولاده، وكلّ ما يتعلّق بمحمد مهاتير

إضافة إلى صفات أخرى كثيرة اجتمعت في القائد الأسطورة مثل البراجماتية، حب العمل، متابعة المهام، حمل هموم المشكلات إلى حين إيجاد الحلول المناسبة وغيرها من الصفات الضرورية في الحاكم الناجح.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

المبـحث الأول

تحديد المصطلحات وتحرير المفاهيم

إن حسن ضبط المصطلحاتيضمن للباحث أن يوصل فكرة بحثه، و يتمكّن من توضيح المصطلحات التي هي مفاتيح البحث وهو ما سيتناوله هذا المبحث

المطلب الأول: الإنبعاث الحضاري:

1- الانبعاث:

أ- تعريفه:

- **لغة**[1]: من الجذر اللغوي بعث، وانبعث الشيء وتبعث: اندفع وبعثه من نومه

انبعث الشيء وتبعّث: اندفع. و بعثه من نومه بعثا، فانبعث : أيقظه وأهبه. وفي الحديث: أتاني الليلة آتيان فابتعثاني أي أيقظاني من نومي و تأويل البعث: إزالة ما كان يحبسه عن التصرّف والإنبعاث.

وانبعث في السير أي أسرع. ورجل بَعِثٌ أي كثير الإنبعاث من نومه. ورجل بَعْثٌ وبَعِثٌ وبَعَثٌ لا تزال همومه تؤرّقه و تبعثه من نومه.

قال حميد بن ثور:

تعدو بأشعث قد وهى سرباله بعث تؤرّقه الهموم فيسهر

والجمع أبعاث.

و البعث في كلام العرب على وجهين: أحدهما الإرسال و الآخر إشارة بارك أو قاع، نقول: بعثت البعير فانبعث: أي أثرته فثار.

و تبعّث منّي الشعر: أي انبعث كأنّه سال.

- **اصطلاحا:**

ينصرف معنى الإنبعاث إلى مفاهيم متعدّدة تستعصي على الحصر، لكن يمكن توضيح ارتباطها بالتجديد، التحديث، التنمية، التغيير، الإجتهاد بمعناه اللغوي: الصحوة النهضة، الإحياء، و هي كلّها

[1] أبو الفضل جمال الدين محمّد ابن مكرم ابن منظور: الإفريقي المصري، لسان العرب، المجلد الثاني: دار صادر، بيروت، ص 118

تعبّر عن ناحية من نواحي التجديد و صرف المعاني المرتبطة به إلى فكرة المجدّد القرني الذي ذكره رسول الله صلّى الله عليه و سلّم في حديثه: "إنّ الله يبعث لهذه الأمّة على رأس كلّ مائة سنة من يجدّد لها دينها"[1] ، أي أنّ الله تعالى تكفّل لهذه الأمّة بأنّ يبعث لها على رأس كلّ مئة سنة من يجدّد لها دينها، و يزيل عنه ركام الغفلة و التصوّرات المنحرفة و الخاطئة، ليعود نقيّا كما جاء به صلّى الله عليه وسلّم، واستمراريّة العمليّة ممتدّة عبر الجهود الفرديّة و الجماعيّة[2] ليتبيّن لنا ملازمة التجديد والإنبعاث للأمّة في تاريخها الطويل كظاهرة أوجدها الإسلام فيها[3]وتأصّل معنى التجديد من عصر إلى عصر، لينضبط معناه على الإحياء و التطهير للدين الإلاهي ممّا يتراكم عليه من تصوّرات تخرجه عن المعاني الصحيحة، ليأتي التجديد و يزيل هذا التراكم فيعود إلى صورته الأصليّة النقيّة[4]و نلاحظ ممّا سبق أنّ مفهوم التجديد خلال التاريخ الإسلاميّ استمرّ على وتيرة واحدة لدى الأجيال اللاحقة، من حيث استخدامه داخل الحقل الفكري، و في إطار إزالة التصوّرات الخاطئة عن العقيدة الإسلاميّة و سائر مسائلها.

لكن مفهوم التجديد بدأ يأخذ بعدا حضاريّا مع بداية القرن العشرين، ومع تحدّي الحضارة الغربيّة، وإصرار الفكر الغربيّ على اعتبار النموذج الغربي معيارا وحيدا للحكم على تقدّم الحضارات،[5]وكان لابد لمفهوم التجديد والإنبعاث أن يكون آلية تمكّننا من فهم جديد للدين الإسلامي بما يوافق متطلّبات العصر وروحه، وبما ينسجم مع معطيات الواقع من حيث إقدارنا على تنزيل أحكامه على الواقع لإصلاحه و النهوض به من جديد، وهو التوظيف الحقيقي لمصطلح التجديد بالمعاني التي يرتبط بها.

ونخلص إلى أنّ معنى الإنبعاث يرتبط ارتباطا كبيرا بالتجديد وما يدخل ضمن حقله الدلالي من معاني كالإحياء، التغيير، الصحوة وغيرها من المفاهيم التي تخدم بمعانيها القصد من توظيف مصطلح الإنبعاث و ربطه بالحضارة في البحث.

---

[1] أخرجه أبو داوود في كتاب الملاحم، باب ما جاء في المجدّد، رقم 4291، و صحّحه السخّاوي في المقاصد الحسنة رقم 149، و صححه ناصر الدين الألباني في "السلسة الصحيحة" ج2، ص150، رقم الحديث، 599.

[2] إبراهيم البيومي غانم وآخرون: بناء المفاهيم، دراسة معرفيّة و نماذج تطبيقيّة، ط1، 1423هـ-2008م، دار السلام، القاهرة، ج1، ص325.

[3] عبد الله العروي: الإيديولوجيا العربيّة المعاصرة، ط1، 1995م، المركز الثقافي العربي، بيروت، ص108.

[4] وحيد الدين خان: تجديد علوم الدين، ترجمة: ظفر الإسلام خان، ط1، 1986م، دار الصحوة القاهرة، ص9.

[5] أنور أبو طه و آخرون: خطاب التجديد الإسلامي، ط1، 1425هـ-2004م، دار الفكر دمشق، ص19.

لكن أرى أنّ كلمة إنبعاث والتي أردتها تحديدا كعنوان لبحثي، يمكن أن ينصرف معناها الإصطلاحي إلى الإحياء من الداخل، إذ بوادر النهوض ومؤهّلاته كلّها موجودة في الحضارة الإسلاميّة، وهي كامنة بسبب تراكم الظروف المتعدّدة، وعلى رأسها تنكّر الأمّة لدينها ولدوره في حياة الأفراد والجماعات فيها، لكنّها تحتاج إلى تغيير أسباب الركود، ورفع معوّقات هذا الإنبعاث بتوفير أسباب التغيير لحدوث النتائج المرجوّة، وهذا اجتهاد شخصيّ أتصوّره يدلّ على ما أريد الوصول إليه عبر تناول موضوع بحثي.

2- الحضارة:

أ- تعريفها:

إنّ تحديد دلالة مفهوم الحضارة أو غيره، لابدّ أن يخضع لمنهج سليم، يرجع به إلى أصله وجذوره اللغويّة، ودلالاته في مصادرها الأصليّة، حتّى يتسنّى دمجه في الواقع المعاصر، بعد أن يتمّ تحصينه ذاتيّا، وضبط دلالاته الخاصّة بماهيته وجوهره، ثم الرجوع بعد ذلك إلى التعريفات المختلفة له وملاحظة مدى جدّيتها وتحقيقها هدف عمليّة الضبط والتأصيل.

- **لغة:**

سأحاول عرض ما توصّلت إليه من دلالات مفهوم الحضارة، إذ أورد ابن منظور مفهوم الحضارة حسب الإستخدامات التاليّة و الترتيب الذي رآه كما يلي:

- الحضور: نقيض المغيب و الغيبة، حضر يحضر، حضورا، حضارة، و كلمة بمحضر فلان و حضرته: أي بمشهد منه
- بمعنى عنده: كنّا بحضرة ماء، و رجل حاضر.
- قرب الشيئ: الحضرة، و تقول : كنت بحضرة الدار.
- جاء أو أتى: حضرت الصلاة، أو حضر القاضي.
- الحضر خلاف البدو: و الحضارة ، الإقامة في الحضر.
- الحاضرة: الحي العظيم.
- الحاضر: ضد المسافر.[1]

[1] ابن منظور: لسان العرب، المجلد الثاني: ص196

و إلى جانب هذه الإستخدامات لمعاني المفهوم، توجد أخرى إشتقاقيّة مثل كلمة: الحضير: وهو الدم الغليظ[1]. لكن المعنى الأكثر تداولا في معاني و دلالات الحضارة هو الحضور بمعنى الشهود كنقيض للمغيب.

ومن حيث الأصل اللغوي، تفيد مادّة (شهد) معاني: الحضور، والعلم والبيان والتبليغ، ومن حيث النظم تفيد الشهادة على النّاس معنى المناعة والعزة والنفاسة، وذلك لأنّها علّة الوسطيّة، التي تتضمّن هذه المعاني كما يبيّنه المفسّرون.[2]والواضح أنّ الدلالات اللغويّة لمصطلح "الحضارة" تدور حول "الحضور" عكس "الغياب" وكذلك حول معنى الإقامة في الحضر و باقي الدلالات متعلّقة بها في "الحضور" أو "الحضرة" وكذلك الشهود الذي يقتضيه الحضور.

- **إصطلاحا:**

أمّا الحضارة اصطلاحا فقد تنوّع معناها بين تصوّرات و رؤى، بناها أصحابها على أسس متنوّعة رأوا أنّها تنضبط بها، و هو ما سأستعين به في توضيح المصطلح انطلاقا من إتّجاهين اثنين هما:

1- **الإتّجاه الإسلامي**: و هو اتّجاه منبثق من النظرة الكونيّة القائمة على التوحيد، وقد سعى أصحاب هذا الإتجاه إلى توضيح بل و تحديد مصطلح "الحضارة" بربطه بمعنى الشهود، و منهم:

ابن خلدون: (1332-1406م)[3]

يشير في تعريفه للحضارة إلى الإرتباط بين الإستقرار والمنجزات كثمرة له، فيقول بأنّها "نمط من الحياة المستقرّة، ينشئ القرى والأمصار، ويضفي على حياة أصحابه فنونا منتظمة من العيش والعمل و الإجتماع و العلم و الصناعة و إدارة شؤون الحياة و الحكم وترتيب وسائل الراحة وأسباب الرفاهيّة".[4] لنتبيّن أنّ ابن خلدون لم يكن يقصد من معاني الحضارة إلّا ذلك الذي ينصرف إلى الإقامة في الحضر و ما يثمره من مظاهر الحياة المستقرّة الباعثة على الإستزادة من الكسوب الماديّة والمعنويّة من المنجزات والآثار، وفي موطن آخر يركّز في تعريف الحضارة بالمعنى المذكور سابقا، من حيث كونها ثمارا للإستقرار فيقول: "الحضارة كما علمت هي التفنّن في الترف واستجادة أحواله والكلف بالصنائع التي تؤنق من

---

[1] ابن منظور: لسان العرب، المجلد الثاني: ص197.

[2] عبد المجيد النجار: الشهود الحضاري للأمّة،ط2 ج1 فقه التحضّر، دار الغرب الإسلامي،2006 م، ج1 ص10.

[3] سمير شيخاني: أعلام الحضارة،ج3، ط1 1401هـ-1981م، مؤسسة عز الدين للطباعة والنشر، بيروت، ص364

[4] ابن خلدون: المقدّمة، ط1، 2010م، دار ابن الجوزي، القاهرة، ص142.

أصنافه و سائر فنونه".[1]من هنا نفهم أنّ إبن خلدون لم يكن يتحدّث عن الحضارة كمفهوم تنتظم خلاله حركة الإنسان المؤدّية إلى الإزدهار و امتلاك زمام المبادرة، بل المعنى الذي قصده هو نهاية العمران و ركون الإنسان الذي تلونت نفسه بفساد طبائعهوهو طور غير مفضّل عنده، و غير مثمر في حياة البشر، لأنّه يمثّل بداية الإنهيار، في قوله: "فلتعلم أنّ الحضارة في العمران أيضا كذلك، لأنّه غاية لا مزيد وراءها، و ذلك أنّ الترف والنعمة إذا حصلا لأهل العمران دعاهم بطبعه إلى مذاهب الحضارة، والتخلّق بعوائدها، و الحضارة –كما علمت– هي التفنّن في الترف و استجادة أحواله"[2]، و هو بهذا يميل إلى اعتبار التحضّر دليلا على الفساد والشرّ، و الأمر الأكيد أنّ ابن خلدون يربط الفساد والشرّ بالتحضّر الذي يعتبره حالة ينحرف بها الإنسان، لأن الإرتباط بالترف يصبح إيذانا بزوال العمران، ليكون حينئذ المرحلة الخاتمة للحضارةو المؤذنة بحتميّة النهاية. هذا لنعود إلى ما بدأنا منه عند استعراض رأي ابن خلدون، الذي يربط التحضّر بالمنجزات، والحضارة بالإقامة في الحضر أي عكس البداوة.

أبو الأعلى المودودي:(1903–1979م)[3]

ويحدّد معنى الحضارة بأنّها "هي التي تبيّن في الحقيقة طريقة الإرتقاء، وتحدّد غاية أعمال الإنسان وتعيّن كيفيّة الإنتفاع بما يكتشف الإنسان من القوى"[4]. وهو بهذا يفرّق بين الحضارة و المدنيّة، إذ مظاهر التقدّم و الإكتشافات والرفاهيّة لا تعدو أن تكون مدنيّة، بينما الحضارة هي التي تقرّر نوعيّة العلاقة بين الناس، بدورها في وضع المبادئ للحياة الإجتماعيّة،وسن منظومة القيم و الأخلاق في دائرة الشؤون الفرديّة والقوميّة والدوليّة[5]، أي أنّ الحضارة تتحقّق بقدر ما توجّه حياة الإنسان والمجتمع نحو الرقيّ والصلاح. وفي انتقاده للحضارة الغربيّة يرى أنه رغم التطور الحاصل في حياة الإنسان الذي أصبح يتنقل بسهولة، ويقضي حوائجه بيسر بعد اختراع القطار والسيارة والطائرة واستبدال ظهور الأنعام والسير على الأقدام، وكذا اختراع اللاسلكي وآلات البرق بدل طرق البريد القديمة، لكنه لم يعد بها أسعد من ذي قبل ولعلها تون سببا في نكباته وهلاكه[6]. وسبب فشل الحضارة الغربيّة حسبه هو أنّها لم تحقّق للإنسان إنسانيّته ولا سعادته لقيامها على أسس الفلسفة

---

[1]ابن خلدون: المقدّمة، ط1، 2010م، دار ابن الجوزي، القاهرة، ص141.

[2]المرجع نفسه ، ص 143

[3]عبد المنعم الحنفي: موسوعة الفلسفة والفلاسفة، ج2، ط2 1999، مكتبة مدبولي للنّشر، القاهرة، ص1387

[4]أبو الأعلى المودودي: نحن و الحضارة الغربيّة، مؤسّسة الرسالة، د ط، و د ت، ص87

[5]المرجع نفسه، ص87.

[6]المرجع نفسه، ص 78.

الماديّة و مفادهاأنّالإنسان حصر حياته وحدد غاياتها في تحقيق الرغبات وإدراك أكبر قدر من الشهوات الدنيوية وتفنّن في الوصول إليها على أكمل وأجمل السبل، متجاهلا إنسانيته وقيمه، ولأنه اقتنع أن البقاء للأصلح والأقوى سعى جاهدا إلى أن يكون هو الغالب وفق منطق إخضاع وإهانة كل من حوله. وهي النظرية التي اعتمدها الإنسان في الغرب لإقامة حضارته كمنهج للحياة، لينطلق نحو التمدن متسلحا بالعلم في بادئ الأمر، مستخدما قوى الطبيعة لاتساع نهمه نحو التسلط، حتى وصل إلى ابتكار السلاح ظانا أنه سيحقق الغلبة ومعها السعادة والنجاح، لكن سقط من حسابه أنه يسعى إلى الدمار والهلاك، وعاد" أهل الغرب أنفسهم يشعرون بأنّهم في حاجة إلى حضارة إنسانيّة أسمى ممّا هم فيه من الحضارة الحيوانيّة، وأنّه لا يمكن أن يكون أساس تلك الحضارة المطلوبة إلّا الدين"[1]. مؤكّدا حقيقة الحضارة الغربيّة والتي تعطي الدليل على أنّ الحضارة الوحيدة التي يتوق و يتطلّع إليها الإنسان هي الحضارة التي تسمو بروحه و ترقى بإنسانيّته نحو الكمال، وتحقّق له الخير والنفع في مجالات الحياة المختـــلفة.

مالك بن نبي:(1905-1973)[2]

ويعرّف الحضارة بأنّها ليست مجرّد منتج أو إنجاز، بل هي مجموعة الوسائل والآليات التي تصل بالإنسان إلى التحكّم في قوانين وسنن الآفاق والأنفس، لمواجهة التحديّات وبالتالي التمكّن من تلبية حاجات الإنسان على الأصعدة المختلفة، والوصول إلى المنافسة ثمّ إلى الريادة، وإثبات الذات وفرض الوجود في الكون، ليصل بذلك إلى حقيقة الحضارة وصولا إلى روحها، متجاوزا مجرّد مراكمة منتجاتها، الأمر الذي لا يمتّ إلى الحضارة والتحضّر بصلة، والإنسان المتحضّر عنده هو الذي ملك زمام المبادرة والفعل، ويميل إلى اعتبار الحضارة من الحضور من حيث كونها تمكينا و أداءً لوظيفة الإستخلاف وتعمير الأرض، لإنّ المسلم إذا أدرك أنّه سيكون شاهدا على الناس ولم ينسى أنه كان متأثرا بثقافة الإستعمار لقرون طويلة، وكان رغم كلّ ويلاته متأملا راجيا رحمة الله ولم تنجح المادة في إغرائه، حينهاقد يؤمن بأنّ النصر سيكون حليفه و أنّ المدنيّة المقبلة في خدمته، وأنّ السلم والمؤاخاة لا يتحقّقان إلّا على يديه، إذ سيضطلع بدوره فيالإنشاء و التعمير، ويدرك التغيير في عالم متّحد، متكتّل يرنو إلى الرقيّ والازدهار[3]. و نلاحظ تركيزه على المسلم، لأنّ الإنسان هو العامل المركزيّ سواء في أزمة العالم الإسلامي أو في علاج هذه الأزمة، أمّا كونه السبب الرئيس في الأزمة

[1]أبو الأعلى المودودي: نحن و الحضارة الغربيّة،، ص88.

[2]عبد المنعم الحنفي: موسوعة الفلسفة والفلاسفة، ج2، ص1218

[3]مولود عويمر: مالك بن نبي رجل الحضارة، ط2 1434هـ-2013م، شركة الأصالة للنشر و التوزيع، الجزائر، ص 68.

الحضاريّة للأمّة الإسلاميّة فلأنّه فقد زمام المبادرة والفعل، وانطوى في زاوية تزيده في كلّ عصر بعدا في المسافة عن الحضارةوعن الممارسة المنوطة به، يقول إنّ "النقائص التي تعانيها النهضة الآن، يعود وزرها إلى ذلك الرجل الذي لم يكن في طليعة التاريخ... لم يكتف بأن بلغنا نفسه المريضة التي تخلّقت في جو يشيع فيه الإفلاس الخلقيّ والإجتماعي والفلسفي والسيّاسي"[1].وهو العامل نفسه في العلاج الذي يكمن في إعادة صياغة شخصيّة هذا الإنسان و تأهيله لينخرط مرة أخرى في الفعل ويستأنف وظيفته في التاريخ[2]، ومنه نلاحظ أن الحضارة بمختلف تعاريفها عند مالك بن نبي إنّما تتعلّق بما يقدّمه الإنسان، و بما يصل إليه من مستويات الفعاليّة و العطاء، إذ يعتبر أن الحضارة عبارة عن تعبير وترجمةلمستوى معيّن لتفاعل نشاط الإنسان على التراب وعبرالزمن، والمنخرطة جميعها في كلّ نتاج من منتجاتها وفي تركيبها الحقيقي بصورة عامّة[3]، و يشير إلى دور التاريخ في تحديد غاية السير بمجتمع متحرّك نحو الحياة الراقية أو على الأقلّ نحو شكل من أشكالها، و هو ما يسمّيه الحضارة، إذ يعتبر أن الطبيعة هي التي تتولى إيجاد وصناعة المجتمع، بينما توجد الطبيعة النوع الإنساني وتضمن له المحافظة على البقاء، وعلى قدر عطائه وسعيه إلى تحقيق الحياة الراقية، يكون أثره في التاريخ ودوره فيه[4]، بل و يذهب إلى اعتبار الحضارة هدف حركة أيّ مجتمع يسعى إلى التغيير، كما يعتبر شروع جماعة إنسانيّة في الحركة التي تسعى من خلالها إلى تغيير نفسها، و إدراك غايتها هي لحظة ميلاد المجتمع، الصفة التي تكتسبها هذه الجماعة، كما يعتبرها في الوقت ذاته انبثاق الحضارة[5]، و هو الأمر الذي جعله يحكم على الجماعات الساكنة التي تحيا لغير غاية بأنّها مجتمعات تعيش مرحلة ما قبل الحضارة.

ودون أن يبتعد عن مجال تخصّصه في الميكانيك، يشبّه مالك بن نبي أيّ وسط إنسانيّ خامد بالمادّة الساكنة، ويعتبر الوسط المندمج في حركته منتجا لأسباب يتحدّى و يقهر بها هذا الخمود، ليعطي معنى للحضارة في قوله: "معنى التحضّر أن يتعلّم الإنسان كيف يعيش مع غيره في جماعة، ويدرك في الوقت ذاته الأهميّة الرئيسيّة لشبكة العلاقات الإجتماعيّة في تنظيم الحياة الإنسانيّة من

---

[1] عمر النقيب: مقوّمات مشروع بناء إنسان الحضارة، ط1، 1430هـ-2009م، الشركة الجزائريّة اللبنانيّة، الجزائر، ص34.

[2] المرجع نفسه، ص35.

[3] مالك بن نبي: القضايا الكبرى، ط1، 1434هـ-2013م، دار الوعي، الجزائر، ص71،

[4] مالك بن نبي: ميلاد مجتمع،ج1 شبكة العلاقات الإجتماعيّة، ط2 1947م، دار الفكر،دمشق، ص16.

[5] المرجع نفسه ، ص 16.

أجل وظيفتها التاريخيّة"[1]. لينبّهنا إلى أنّ الإنسان هو المخلوق الوحيد المؤهّل لإنتاج الحضارة بعدما يخلّص نفسه من وراثات الجهل والتخلّف والفشل، ومختلف مظاهر الكسل والكلالة الفكريّة والنفسيّة، التي تكسبه عجزا رهيبا يصيّره شخصا فاقدا لمعاني الإنسانيّة السامية، ويحاول تكييف طاقته الحيويّة وفقا لقانون الروح لتنقلب إلى طاقة بنّاءة تسعى إلى الرقيّ بالإنسان في مقامات الخير والصلاح، وتحقيق إنسانيّته بقدر تعميره للكون وإثبات أحقيّته لمهمّة الخلافة، و من ثمّ إثبات حضوره و شهادته على الآخرين.

سيّد قطب:(1906 – 1966)[2]

وقد عرّف الحضارة تعريفا ينفرد به، لأنّه يعتبر أنّ الإسلام هو الحضارة[3]. و نفهم ذلك من توضيحه للأسس التي تقوم عليها الحضارة، حيث يبيّنها قائلا بأنّها العبوديّة لله وحده، والالتقاء على رابطة الإيمان والعقيدة، وسمو الجانب الروحي في الإنسان على الجانب المادي، لتتحقق إنسانيته بالقيم السامية، ويصبح أهلا للخلافة والسيادة في الأرض، من خلال تحكيم منهج الله وشريعته[4]. والواضح من كلام سيّد قطب أنّه يريد من الحضارة جانب العمارة، لأنّ الحضارة تشمل العمران باعتباره أحد مظاهرها، وهذه العمارة محكومة بمدى تحقيق الإنسان لإنسانيّته، ومدى انصياعه لطاعة الله وتحكيم منهجه وشريعته لتحقيق مهمّة الخلافة

محمّد مهاتير: (1925م)

الذي يحدّد معنى الحضارة بكونها شكل ومضمون، فيبيّن أنّ غير الملايويّين تأقلموا مع الحضارة الغربيّة، إلّا أنّ الملايويّين كانوا أكثر انجذابا إلى شكل هذه الحضارة ممّا هم إلى مضمونهاويلومهم على ترك العلوم و المعارف، والإنجذاب إلى إرسال الشعر وغيرها من الموضات المختلفة التي لا دخل لها في ما حقّقه الغرب من تفوّق، لأنّ ذلك تحقّق لهم بالقيم و العلم و العمل.[5]

---

[1] مالك بن نبي: ميلاد مجتمع، ص16

[2] عبد المنعم الحنفي: موسوعة الفلسفة والفلاسفة، ج1، ص763

[3] طه جابر العلواني: الخصوصيّة و العالميّة في الفكر الإسلامي، ط1(1424هـ-2003م) دار الهادي، لبنان ،ص 116.

[4] سيد قطب: معالم على الطريق، ط2، 1981، دار الشروق ص 118 و 127.

[5] محمّد مهاتير:الموسوعة،المجلد1: الإسلام و الأمّة الإسلاميّة ، ص302.

عبد المجيد النجار: (ولد سنة 1945م بتونس)[1]

والذي يوضّح سبب اعتماده على معنى الشهود للدلالة على مفهوم الحضارة في تسمية كتابه "الشهود الحضاري للأمّة الإسلاميّة". إعتمادا على قوله تعالى في وصف الأمّة الإسلاميّة﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا وَمَا جَعَلْنَا الْقِبْلَةَ الَّتِي كُنْتَ عَلَيْهَا إِلَّا لِنَعْلَمَ مَنْ يَتَّبِعُ الرَّسُولَ مِمَّنْ يَنْقَلِبُ عَلَى عَقِبَيْهِ وَإِنْ كَانَتْ لَكَبِيرَةً إِلَّا عَلَى الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَانَكُمْ إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَحِيمٌ﴾[2]، والشهادة على الناس في هذا السياق تحتمل معان عدّة، بعضها مستصحب من معاني الأصل اللّغوي، و بعضها متأتّ من النظم الذي صيغت به الآيةليدافع بذلك عن طرحه القائم على أن الشهود دليل على الحضور ويرجع إلى تأكيد ذلك بمفهوم الكلمة في سياق آية سورة البقرة الذي دفعه إلى اختيار كلمة "الشهود" لتكون عنوانا يتأكد بها عنده معنى الشهود على أنه قائم على العلم بحقائق الوجود وأسرار الكون في جانب الغيب والشهادة معا وهو ظاهر في منجزات عمليّة نلمسها في حياة الناس ونلاحظ أثرها، و هو مبيّن للعالمين ومبلّغ إليهم حقائقه و منجزاته على تعميم الخير للنّاس كافّة، كما أنه محقّق للأمّة عزّتها ومناعتها[3]. وهنا ندرك البعد العقدي في تعريف عبد المجيد النجار لمصطلح الحضارة، حيث يربط معنى الحضور بالشهود والفعل. وهو ما قصد إليه من أحسّوا بخطر المحاولات التي سعت إلى إفراغ المصطلح من حقيقته الروحيّة و بعده الأخلاقي القيميّ، و قصره على المعنى المادّي، إذ أنّه من أكثر المفاهيم التي خضعت لسلسلة طويلة من التلبيس و التشويه و طمس الدلالات، فصار المفهوم يطلق على ألفاظ و عمليّات ونظم وأنساق أفكار مختلفة بل ومتعارضة أحيانا في مقاصدها ونتائجها وغاياتها كما في عناصرها ومكوّناتها أيضا، ممّا اقترب بهذا المفهوم إلى مثل مفاهيم الحداثة و التقدّم و الرقيّ[4]،فكان لابدّ من إزالة الإلتباس الحاصل عن المفهوم، بالرجوع بمصطلح الحضارة إلى المعنى الإسلاميّ فيأخذ هذا المعنى (الحضور والشهادة) الذي ينتج عنه نموذج إنسانيّ يستبطن قيم التوحيد و الربوبيّة. و لا يشير هذا المعنى إلى قيام العمران المادي، أنّ تعمير الأرض و بناء إبداع مادي عليها لا يعني الحضارة، بل إنّه يستلزم زيادة على العمران، تقديم نموذج للإنسانيّة للإقتداء به أو التبشير به[5]، والحضور الحقيقيّ هو مواكبة المتغيّرات والتحوّلات والتجديدات

---

[1] عبد المجيد النجار: الشهود الحضاري للأمة الإسلامية، ج1: فقه التحضر الإسلامي، ص184

[2] سورة البقرة، الآية:(143).

[3] المرجع نفسه، ص10.

[4] إبراهيم محمود عبد الباقي: الخطاب العربي المعاصر، عوامل البناء الحضاري في الكتابات العربيّة، ص18.

[5] إبراهيم محمود عبد الباقي: الخطاب العربي المعاصر، عوامل البناء الحضاري في الكتابات العربيّة، ص18.

على الأصعدة المختلفة الداخليّة والخارجيّة، الإسلاميّة و العالميّة، والقدرة على التطوير المستديم والتجديد المتواصل مع الزمن، والإنفتاح و التفاعل والتواصل مع الآخرين، والمشاركة والتعاون في كلّ ما يتطلّبه العصر من قضايا وأحداث ومواقف و تطوّرات[1]. و هذه هي متطلّبات شهادة الأمّة الإسلاميّة على غيرها من الأمم، بأن تكون حاضرة فاعلة و مشرفة على كلّ تجديد، ومنفتحة على الآخر من حيث تحرّكاته وكلّ مستجدّاته، وإلّا فلا معنى للشّهود أو بالأحرى للحضور الذي يحمل على معنى الشهود، ولا بدّ من ذكر هذه الإلتفاتة الذكيّة إلى معنى الحضارة من حيث كونها طريق الحياة التي ارتضته الأمّة لنفسها في جميع المجالات: الروحيّة، الإجتماعيّة، السياسيّة، الإقتصاديّة، العمرانيّة والمادّية المنبثقة من قيم معيّنة ومثل محدّدة ذات جانبين:

الأوّل: مظاهر الرقيّ الماديّ التي تشمل جميع جوانب الحياة، من صناعة وتجارة وزراعة واختراع و فنون، وإبداع.

الثاني: مظاهر الرقيّ المعنويّ التي تتصّل بالقيم الروحيّة و القواعد الأخلاقيّة والإنتاج الفكري والإبداع الأدبيّ، فالحضارة لا تحمل الطابع الإنساني لدى الحضاريّين حتّى تتّصف بالرقيّ الماديّ و المعنويّ على حدّ سواء[2]، ومعنى الحضارة بهذا المفهوم هو ضرورة الجمع بين الرقيّ الماديّ من الإختراعات و الصنائع، وتحقيق سعادة الإنسان و إنسانيّته، إذ هو الغاية من كلّ سعيه.

وسنعرض فيه بعض الآراء في محاولة تكوين تصور واضح، ومنها

2- الإتّجاه الغربي:

هيجل: (1770-1831) Georg wilhem friedrich hegel[3]

ويرجع أسباب كلّ حركة تاريخيّة (أي تغيير إجتماعي) إلى مبدأ التعارض، أي أنّ أيّ تغيير إجتماعي يتلخّص في نشأة الحركة بسبب التعارض، و تكون غايتها اندماج وتركيب محتوم[4]. و فكرة التعارض هذه هي القوّة المحرّكة التي توجد الحركة التاريخيّة، ومن خلال ذلك وكنتيجة لازمة توجد أسبابها، فيتغيّر بها الإستقرار والسكون السائد قبلها.

---

[1] زكي الميلاد: مقدّمات في صياغة المشروع الحضاري الإسلامي المعاصر، مجلّة الكلمة، عدد ربيع 1995م، السنة 2، ص21-22.

[2] إبراهيم محمود عبد الباقي: الخطاب العربي المعاصر، عوامل البناء الحضاري في الكتابات العربيّة، ط1، 1429هـ-2008م، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، هرندن، فرجينيا، الولايات المتّحدة الأمريكيّة، ص21.

[3] مصطفى غالب: في سبيل الموسوعة الفلسفية، ط1، 1983، دار ومكتبة الهلال، بيروت، ص11

[4] مالك بن نبي: ميلاد مجتمع، ج1: شبكة العلاقات الاجتماعية، ص18

فرويد:[1] Sigmund Freud (1856–1939)

والحضارة عنده تقابل التوحّش والحالة البدائيّة، حيث تعني مجموع الأعمال والتنظيمات التي نترفّع عند قيامنا بها عن الحالة الحيوانيّة التي كان يعيشها آباؤنا[2].و نلاحظ أنّه يربطها بالرقيّ المادّي للإنسان، وانتقاله من طابع الحيوانية والتوحش إلى الرقي في مظاهر حياته، والتي تدلّ على تغيير انتقل به الإنسان الذي تحضر من حالة الى حالة أخرى أرقى وأحسن.

يتّضح لنا ممّا سبق من دلالات لفظ "حضر" بمعنى "الشهود" و في المعنى الذي أعطاه القرآن الكريم دلالات متكاملة، لا بدّ من استحضارها جميعا ليكتمل مدلول الكلمة من حيث كونها تمثّل أجزاء مترابطة تتّحد فيما بينها لتعطينا مفهوما متكاملا للحضارة، وهذه الدلالات هي:

1- الشهادة: بمعنى التوحيد و الإقرار بالعبوديّة لله، و الإعتراف بتفرّده سبحانه بالألوهيّة والربوبيّة، وهي محور العقيدة الإسلاميّة، و عليها يتحدّد التزام الإنسان بمنهج الله أو الخروج عنه.

2- الشهادة بمعنى قول الحقّ وسلوك طريق العدل، أو الإظهار والتبيين، أو الإخبار المقرون بالعلم، أو الملاحظة والمراقبة، وتعدّ مدخلا من مداخل العلم ووسيلة من وسائل تحصيل المعرفة.

3- الشهادة بمعنى التضحية والفداء وتقديم النفس في سبيل الله حفاظا على العقيدة ودفاعا عن تحرير الإنسان من عبادة العباد وإخراجه إلى عبادة الله وحده.

4- الشهادة: كوظيفة لهذه الأمّة ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا﴾[3]. ليكون معنى الحضارة بالمفهوم القرآني هو الحضور، والفعل والتجدّد الذي يضمن للأمّة هذا الشهود، و امتلاك زمام المبادرة في قيادة الإنسانيّة، وإخراجها من ضيق الدنيا إلى سعة الدنيا والآخرة، وفي ذلك ضبط للمصطلح وإعطائه معناه ضمن المنظور الحضاري الإسلامي[4]، و تصحيح المعنى الشائع للحضارة وفق المفهوم الغربيّ لها، والذي يحصرها في مجرّد آثار ماديّة وإرث تاريخي لحركة الإنسان في حقبة معيّنة يترك من خلالها منجزات ماديّة ومعنويّة وثقافيّة، لتكون بمعنى الحضور

---

[1] عبد الرحمن بدوي: موسوعة الفلسفة، ج2، ص 122

[2] محمود محمّد الناكوع: الإنحطاط و النهوض، تأمّلات في الواقع العربي، ط1، د د، لندن، 1416هـ-1996م، ص16.

[3] سورة البقرة، الآية: (143)

[4] نصر محمّد عارف: نظريّات التنمية السياسيّة المعاصرة، ط4، 1427هـ-2006م، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، مكتب بيروت، لبنان، ص76

الذي يستلزم تقديم نموذج يصلح للإقتداء به، و فيه حثّ للأمّة الإسلاميّة أن تكون دائما كذلك تطبيقا لقوله تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا﴾[1] ويتأكّد المعنى بالمقطع التالي من الآية في قوله تعالى: ﴿لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا﴾[2]، فكما جعل الله تعالى الرسول – صلّى الله عليه و سلّم- نموذجا مثاليّا للأمّة، أراد لها أن تسعى لتكون هي بدورها نموذجا للإنسانيّة جمعاء، و من المفروض أن تحافظ الأمّة على حضورها ما دام النموذج الذي تقتدي به يبقى قائما، فإن وجدت على حال كحالها اليوم، فذلك لأنّها تخلّت عن السبب الأوّل والرئيس الذي يمكّنها من ذلك، و هو الإقتداء بالنموذج الأسمى، الرسول صلّى الله عليه وسلّم، من حيث تفعيل هديه و ما جاء به في حياتها، والسير على النهج الذي ترك لها معالم استقامته.

ألبرت شفيتزر: (1875–1965) Albert Schweitzer[3]

والذي يعتبر من المفكّرين الغربيّين الذين قاموا بتحديد مصطلح الحضارة، حيث يرى بأنّها ذلك التقدّم المادّي والروحي للأفراد والجماهير، و يربط معناها بالجانب العمليّ للإنسان وما يقدّمه من رقيّ مادّي قائم على البعد الأخلاقي المثالي، و يستمرّ هذا الرقيّ ما دام العزم، وهو بذلك يربط مستقبل الحضارة بمدى قدرة الأفراد على التغلّب على المثبّطات والعوائق كاليأس وفقدان الغاية والهدف[4]ونلاحظ أنّه أدرك معنى الحضارة ببعديها المادّي والأخلاقي.

أوزوالد شبنجلر: (1880–1936) Oswald Arnold bolt friel Spengle[5]

ويعطي للبعد الروحي في تعريفه للحضارة حيّزا مهمّا، حيث يجعل استيقاظ جذوة كبيرة من الروح الإنسانيّة الأبديّة لحظة ميلاد الحضارة، لتمثّل كينونة واعية لنظام عضويّ ضخم واحد، وهو نظام لا ينحصر في العادات و الأساطير، والفنّ والتقنية، بل يتعدّاها جميعا ليضمّ الأقوام والطبقات التي تضمّها وحدة الوعي و اللغة و الشكل و التاريخ[6] ، ونراه يدرك حقيقة الحضارة ببعديها الروحي والمادي، بل ويجعل جذوة الروح هي لحظة بداية أيّة حضارة.

---

[1] سورة البقرة، الآية: (143)

[2] سورة البقرة، الآية: (143)

[3] ألبرت شفيتزر: فلسفة الحضارة، تر: عبد الرحمن بدوي، ط3 1983، دار الأندلس بيروت، ص 61.

[4] المرجع نفسه ، ص411.

[5] عبد الرحمن بدوي: موسوعة الفلسفة، ج2

[6] أوزوالد شبنجلر: تدهور الحضارة الغربيّة، ت أحمد الشيباني، ط1، 1964، مكتبة الحياة، بيروت، ج1، ص12-14.

ويل ديورانت: (1885–1981) William james Durant[1]

يعرّفها بأنّها نظام إجتماعي يدفع الإنسان إلى الزيادة من إنتاجه الثقافي، وتوسيعه، وتتألف الحضارة حسبه من عناصر أربعة: الموارد الإقتصاديّة، و النظم السياسيّة، و التقاليد الخلقيّة، ومتابعة العلوم و الفنون"[2]. و هو بهذا التعريف يربط معنى الحضارة بالمنجزات الماديّة والمعنويّة مع إهمال عامل و شرط مهمّ لهذه المنجزات و المكتسبات، و هو الإستقرار باعتبار أنّه متضمّن في تعريف الحضارة ظهر أو لم يظهر.

أرنولد توينبي: (1889–1975)Arnold joseph Toynbee[3]

ويرجع أيّ تغيير إجتماعيّ إلى ما سمّاه "التحدّي" وعرّفه بأنّه العقبة ذات الطابع الإقتصادي أو الفنّي، التي يرجع إليها سبب تحريك هذا التغيير، و دفع الإستفزاز إلى أعلى توتّراته، ممّا يؤسّس إلى نشأة الحركة طبقا لقوّة الرد على ذلك الإستفزاز.[4]

وإذا لاحظنا تعريفهما نتوصّل إلى أنّ تعريف توينبي يلامس تعريف هيجل، لكن في جانب من جوانبه فقط و هو الجانب الإقتصادي، بينما تعريف هيجل أشمل و أوسع.

رالف لينتون:(1893–1953) Ralph linton[5]

ويعرّف الحضارة بأنّها جملة من الإستجابات المنظّمة، و التي تمكّن الأفراد من تعلّمها، والتي على أساسها تكتسب المجتمعات مميّزات جديدة[6]. لنلاحظ أنّه يجعل التحدّي أهمّ أسباب الحضارةو بذلك يوافق توينبي و من يقولون برأيه في كون الحضارة ماهي إلا استجابة و رد فعل لكل تحد يصل إلى تحفيز الإنسان ودفعه إلى الإنتاج، ليتجلى لنا غلبة البعد المادّي على مفهوم الحضارة.

ب- حضاريّة الحضارة:

إشكاليّة تطرح نفسها، وتتمثّل في التساؤل عن حضريّة الحضارة أي هل كلّ تجربة نجحت في تقديم نموذج للإنسانيّة للإقتداء بما يرافقه من تعمير للأرض، وابتكار للأدوات، المؤسّسات، العمارة

---

[1]عبد الرحمن بدوي: موسوعة الفلسفة، ج2، ص 613

[2]ويل ديورنت: قصّة الحضارة، لجنة التأليف و الترجمة و النشر، القاهرة 1973، ج1، ص8.

[3]عبد الرحمن بدوي: موسوعة الفلسفة، ج2، ط1974، بيروت، ص 420

[4]أرنولد توينبي: الحضارة في الميزان، ترجمة أمين الشريف، ط: عيسى الحلبي، القاهرة، ص20.

[5]بيار بونت و ميشال إيزار و آخرون: معجم الأنتولوجيا ،ط1 : 1427هـ-2006م، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع "مجد" بيروت، لبنان، ص786.

[6]رالف لينتون: شجرة الحضارة، ت محمّد سويدي، موفم للنشر، الجزائر 1990، ج1، ص64.

الفنون، والمعايش، وأيضا المنظومة السلوكيّة وما تشتمل عليه من معتقدات وقيم ومعايير، تستحقّ أن يطلق عليها لفظ الحضارة؟ ومن ثمّ كيف يمكننا الحكم على حضارة أمّة أو مجتمع من هذا المنطلق؟

الحضارة كما مرّ معنا في تعاريفها المختلفة هي الحضور والشهود بجميع معانيها، وما يستبطنانه من رؤية كونيّة تحدّد علائق أركانها في بعدها الغيبيّ و الوجودي، وما ينبثق عنه من تحديد مقام ودور الإنسان مع القوّة الغيبيّة التي يؤمن بها، ودوره هو في الحياة التي يحياها ويؤثّر فيها وعلاقته بالإنسان خاصّة والكون المحيط به عامّة، لهذا لا بدّ قبل الحكم على حضارة ما، من التأكّد من استيفائها للأبعاد التالية[1]

-فلسفة تقوم عليها، أو نسق عقيدي يحدّد طبيعة العلاقة مع عالم الغيب ومع فكرة الإله بالإيجاب أو السلب.

-وجود نمط من المبتكرات والأدوات والمؤسّسات والعمارة والفنون المتنوّعة.

-تحديد العلاقة مع الأشياء أي الكون ومسخّراته.

-تحديد نمط العلاقة مع الآخر الذي نريد إقناعه بنموذج حضارتنا، وبيان أسس التعامل وقواعده، وسبل الإقناع.

وتكون هذه الأبعاد مقياسا تقاس عليه التجارب البشريّة للنظر إلى مدى تحقّقها فيها، ومن ثم تقييمها.

وعليه تكون الحضارة السائدة هي التي تقدّم أفضل نموذج للإقتداء به، ما دام الإختلاف سنّة من سنن الله تعالى في الخلق، وتبقى الحضارة الإسلاميّة هي الحضارة التي تستحقّ البقاء، وتملك النموذج الأرقى على أساس مرجعيّتها و تشريعاتها وقابليّتها للإنبعاث و التجدّد متى وجدت الظروف المساعدة، و لا يعني أبدا تمكّن الحضارة الغربيّة من السيطرة على الساحة العالميّة أنّها الأفضل بدليل أنّها لم ترق بالإنسان إلى مدارج الكمال والحريّة، بل نزلت به بعد تتالي فلسفات التفكيك و ما بعدها إلى دركات فقد فيها إنسانيّته وأمنه، وفي أحسن أحواله أصبح شيئا، و هو آيل إلى العبثيّة بما ابتكره من أسلحة الدمار التي تهدّد وجوده.

وتجدر الإشارة إلى مسألة تدافع الحضارات باعتباره أمرا لازما ما دام الإختلاف والتعدّد سنّة الله في المخلوقات و هو القائل ﴿**وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ فَاحْكُمْ بَيْنَهُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ عَمَّا جَاءَكَ مِنَ الْحَقِّ لِكُلٍّ جَعَلْنَا**

[1] إبراهيم البيومي و آخرون: بناء المفاهيم، ج1، ص299.

مِنْكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَكِنْ لِيَبْلُوَكُمْ فِي مَا آتَاكُمْ فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ (48)﴾[1] فيكون التدافع مجالا للإستباق وحافزا للإرتقاء والتقدّم، على أساس ما تقدّمه كلّ حضارة من بديل، ونموذج يفرض نفسه، لا بالقوّة كما تحاول الحضارة الغربيّة بشتّى الوسائل وتحت كثير من المسمّيات لتصل إلى إقناع الإنسان أينما كان أنّها النموذج الوحيد والأصلح له، و باستعمال كلّ نفوذها العلمي والمادّي ومنتجاتها المختلفة، حيث يرى محمّد مهاتير أنّه يتعيّن على المسلمين إعادة تأهيل أنفسهم لاستئناف دورة حضاريّة، وتقديم حضارتهم كبديل، يكون فيه الحوار قيمة حضاريّة، وأداة تفضي إلى الإقناع على أساس الحقّ، الخير العدل والتسامح، للقضاء بالدرجة الأولى على "الصراع" المزعوم والمفتعل من قبل الغرب، الذي يرى حتميّة انبعاث الحضارة الإسلاميّة من جديد، كما يعلم يقينا أنّها الحضارة التي تشكّل له تحدّ حقيقي بما فيها من عناصر قوّة، شموليّة و تكامل، فها هو يستبق الأحداث بنهاية التاريخ تارة، وصراع الحضارات أخرى، للوقوف في وجه قيام الحضارة الإسلاميّة من جديد[2]، و ما ذلك إلّا خدمة لأفكاره و فلسفته

المطلب الثاني : الثقافة.

1- مفهوم الثقافة:

إنّ المتتبّع لدلالات هذا المصطلح سيلاحظ أنّها متعدّدة لعدّة أسباب، لعلّ أهمّها تنوّع الزوايا التي نظر منها الباحثون إلى الثقافة قصد تحديد تعريف جامع لها، إلّا أنّ التعاريف تبقى مصطبغة بصبغة الباحث سواء العلميّة أو الفلسفيّة، وسنعرض تعريفها:

أ/ لغة:

الجذر اللغويّ و الدلالة المعجميّة لكلمة "ثقافة" توجد الصلة بين هذه الدلالة و بين الدلالة الإصطلاحيّة، التي تطوّرت عبر العصور الطويلة، وبتأثير من البيئات المتعدّدة، فبالرجوع إلى: لسان العرب، مادّة ثقف نجد : الفعل ثقف دال على الحذق والمهارة، فـ "ثقف الشيء" أي حذقه و"رجل ثَقْفٌ وثَقَفٌ وثَقِفٌ" أي حاذق الفهم، ويقال: "ثَقِفَ الشيء" و هو سرعة التعلّم، و فيه دلالة على الفطنة والذكاء و"الثِّقَاف": ما تسوّى به الرماح و تعدّل.

[1] سورة المائدة، الآية: (48)

[2] محمّد مهاتير: الموسوعة، الإسلام و الأمّة الإسلاميّة،المجلد1، ص280.

و الثقافة: العلوم و المعارف و الفنون التي يطلب الحذق فيها[1].

والثقافة هي الدلالة على التعلّم السريع، والفطنة والحذق، والذكاء، كما فيها من معاني التهذيب ما يجعل المجتمع المثقّف هو الذي تدرج في مدارج التعليم،التهذيب،الشحذ،والإنسجام حتّى بلغ درجة من النموّ والتطوّر والتكامل والقوّة في أبعادها الماديّة والنفسيّة و الخلقيّة، و استطاع أن يوازن بين الوسائل و الغايات، و يتطلّع إلى حياة إنسانيّة شموليّة تتجاوز مظاهرها الخارجيّة إلى مضامين خارج إطار الرؤية المحدودة[2].

ب/ اصطلاحا:

يرى محمّد مهاتير أنّ الثقافة هي ما تحقّق لشعب أو لأمّة من علوم ومعارف وقدرات على الإبداع، انطلاقا من قناعات فاعلة مترسّخة في أذهانهم و وجدانهم، وتؤثّر في طريقة كلامهم ولباسهم وعملهم وكلّ مظاهر حياتهم[3].

و ينحو بها حسين مؤنس إلى منحى نظرة علماء الإجتماع الشموليّة للثقافة حين يعتبر أن الثقافة جملة من المكتسبات والمعارف والممارسات، وما يتبناه أي شعب من قيم تحدد نوع الحياة التي يحياها فتميزه عن غيره من الشعوب، وتدخل في تكوين شخصيته وطريقته في الحياة[4]،فتكون بذلك كلّا متماسكا يجمع نتاجات وإبداعات مجتمع ما.

أمّا طه عبد الرحمن فيعتبرها مجموعة القيم التي تتدخل في إصلاح وتقويم الفكر والسلوك داخ الأمة، بما يحدد علاقتهما بجملة القيم في عالم الآيات، بالقدر الذي تحتاجه الأمة لتسترجع قدرتها على الفعل والتأثير والإصلاح، سموا بالإنسان في مراتب الإنسانية والكمال[5]. و هو يحكم على واقع المسلمين الثقافي بالتصدّع بدل ما يتداول عند غيره من وصفه بالتخلّف الثقافي، ويبني حكمه على أنّ الثقافة تختلف عن الحضارة التي هي تراكم من المكاسب الماديّة، وللحكم عليها لابدّ من الرجوع إلى منجزاتها الماديّة، بينما للحكم على الثقافة –سواء بالتخلّف أو التقدم–لابد من النظر إلى ما تحقّق به أهلها من القيم المعنويّة، وغير خاف على أحد ما بين أيدي المسلمين من رصيد منها، وهو شاهد على تقدّمهم، ما يدفع طه عبد الرحمن بالقول بحاجة المسلمين إلى تحديد مفهوم الثقافة بما

---

[1] شلتاغ عبّود: الثقافة الإسلاميّة بين التغريب و التأصيل، ط1، 1422هـ-2001م، دار الهادي، بيروت، ص13.

[2] المرجع نفسه، ص13

[3] محمد مهاتير: طبيب في راسة الوزراء، ص 281

[4] حسين مؤنس: الحضارة، طبعة 1 1987، المجلس الوطني للثقافة والعلوم، الكويت ص89.

[5] طه عبد الرحمن: الحقّ الإسلامي في الإختلاف الفكري، ط2، 2009م، المركز الثقافي العربي، المغرب، ص87

يسمح لهم من التوصّل إلى قوّة يرأبون بها هذا التصدّع، و يُفعّلون بالمفهوم الجديد "الثقافة" بمهمّة تغييريّة، ترتكز على الجانب العمليّ الجماعيّ، يحصل به تقويم الأفكار والأعمال، فتعود المبادئ المعطّلة إلى العمل والعطاء، ويتحقّق بها إثبات الذات من جديد.

وما يسترعي الإنتباه في تعريف طه عبد الرحمن للثقافة تقسيمه لها، وأرى أنّه من الضروري الإشارة إليه لتتّضح أمامنا نظرته لها إلى قسمين، إذ يقول : "وبناء على التعريف الإجمالي للثّقافة تكون هناك: الثقافة المنفصلة-أو قل ثقافة الإنفصال أو الثقافة الإنفصاليّة"[1]، و هي النوع الأوّل والذي يرى أنّها من آثار الكونيّة العنيفة، التي نحت بالثقافة منحى فصلها عن الآيات، وجعلها مجرّدة من أبعاد الإيمان و النّظر الملكوتي، بل وقصرها على النّظر الملكيّ —ويريد به- النظر إلى الظواهر في بعدها الماديّ،ويعتبر الثقافة المنفصلة أو الإنفصاليّة: هي التي تضمّ القيم التي تمّ فصلها عن الآيات في الوجود أو عن الفطرة في الإنسان، قاصدا بذلك وقوف العقل المادّي عند حدود الظواهر و عدم نفاذه إلى آفاق الآيات، ناظرا في القيم نظره في الظواهر لأن أهل ثقافة الإنفصال لا يبالون بوجود الآيات، ولا يعنيهم أمر استخراج القيم منها، إنّما يبالون بوجود الظواهر و يعنيهم أمر استخراج القوانين منها، ولا يخفى أنّ إعراضهم عن الآيات تضييق لمجال الثقافة[2]. أمّا النوع الثاني فهو الثقافة الإتّصاليّة، أو ثقافة الإتّصال، التي تضم جملة القيم الكفيلة، بالمحافظة على الثقافة وصلتها بالكون وبفطرة الإنسان، والتي مهما سقط منها بفعل وجود قيم جديدة، تبقى تعمل على تجديد علاقتها بأصولها الإيمانية [3]، و نراه يفرّق بين النوع الأوّل والذي لا يهتمّ أصحابه بالدلالات الإيمانيّة أو القيميّة للآيات أو الأفعال، والنوع الثاني المعاكس والذي لا يهتمّ بوصل الثقافة بالآيات والدلالات القيميّة فيقول: "لا يحبس أهل ثقافة الإتّصال أنفسهم في مجال الظواهر بل ينطلقون في فضاء الآيات فيجمعون إلى الدراية بقوانين الأشياء الظاهرة الإعتبار، بالقيم و المعاني الخفيّة، بحيث لا يخرجون من مجال الثقافة ما يجب أن يدخل فيه"[4]، وهو هنا يقسّم الثقافة كثقافة بغضّ النظر عن كونها إسلاميّة أو غربيّة، إذ بهذا التوصيف الحدّي نستطيع التعامل مع الثقافةوتصنيفها دون التقيّد بما يمكن أن يوقعنا في الخطأ، ودليل ذلك أنّ ممّن ينسبون إلى الإسلام من يتبنّى الطرح الغربي الإنفصالي، ومنه يكون الأساس الذي اعتمده طه عبد الرحمن صائبا يستحقّ متابعة الحفر فيه و التعمّق أكثر.

---

[1] طه عبد الرحمن: الحقّ الإسلامي في الإختلاف الفكري ، ص68

[2] طه عبد الرحمن: الحقّ الإسلامي في الإختلاف الفكري ، ص 71-72

[3] المرجع نفسه ، ص68

[4] المرجع نفسه ص، 72.

ننتقل إلى مالك بن نبي لنتتبّع تعريفه للثقافة، إذ ينبّهنا إلى أنّه من الصعب إيجاد وتحديد مفهوم حدّي واضح لها، لارتباط الثقافة بالفرد و المجتمع إرتباطا عضويّا، ولتكون الثقافة عنده دستورا تتطلّبه الحياة بكلّ ما فيها من تنوّع فكري و اجتماعي، فتشكّل إطارا يجمع بين أطياف المجتمع كلّها في وحدة تفرضها مقضيات حياة مشتركة، مبيّنا أنّ الثقافة كلّ متألّف من أجزاء أربعة، هي الأخلاق و الجمال و المنطق العملي و الصناعة[1]، و بهذا يجعل عالم الأشخاص إذا ما انتظم في إطار تربوي قائم على فلسفة أخلاقيّة تحدّد منهجه الذي سيتبعه، وكذلك صلة عالم الأشخاص و عالم الأفكار وعالم الأشياء والظواهر الطبيعيّة تتآلف فيما بينها لتعطينا العناصر المختلفة، و التي تكوّن في النهاية تركيباللثقافة.

وبهذا يتمثّل جوهر النظريّة الثقافيّة لمالك بن نبي في ارتباط مفهومها بالنمط الذي يعيش فيه الإنسان ليكون مدركا لحاجة مجتمعه، مظطلعا بقضاياه دون الإنشغال بكمّ المعلومات والمعارف المكدّسة في ذهنه، والتي قد تكون أفكارا ميّتة طالما تعجز عن إيصال الإنسان الذي يحملها إلى إدراك طبيعة قضايا مجتمعه و أمّته، و عليه فالثقافة هي روح الفرد وهي أيضا روح المجتمع[2]،كما يؤكّد مالك بن نبي على حتميّة كون الثقافة المؤثّرة في المجتمع لابد أن تنشأ داخله، لا أن تستورد وتستنبت من الخارج، فيكون مصيرها الموت. وقد سعى من خلال معالجة مشكلة الثقافة وضبط مفهومها إلى إخراجها من عالم الأفكار إلى حيّز الواقع و التطبيق، لتكون نظريّة في السلوك تقوم على فلسفة الإنسان والمجتمع بما يشتمل عليه كلّ طرف من مقوّمات لابدّ أن تنسجم في كيان واحد هو الثقافة.

وخلاصة القول أنّ الثقافة هي فلسفة حياة، ومنهج تفكير، وسلوك منبثق عنهما يتمثّل في خطّة عمل، وطريقة تغيير داخل مجتمع يسعى إلى التدرّج في مدارج التعليم والتهذيب لتحصيل التماسك وإدراك الخصوصيّة والتميّز.

2- الحضارة و الثقافة:

أ- العلاقة بين الحضارة والثقافة

تعدّدت الرؤى حول العلاقة بين الحضارة و الثقافة في معالجات المفكّرين والمؤرّخين وكذا الباحثين الإجتماعيّين و الأنتروبولوجيّين، إلى الوصل بينهما حينا والقطع حينا آخر، وفي ذلك سأعرض رأيين تعامل كلّ واحد منهما مع الفكر الغربيّ وتأثّر بالفكر الخلدونيّ، لكنّهما يتعارضان في

[1] مالك بن نبي: مشكلة الثقافة، ط1، 1434هـ-2013م، دار الوعي، الجزائر، ص67

[2] المرجع نفسه ، ص 50.

الطرح، فبينما يربط مالك بن نبي بين الثقافة ويجعلها أساسا للحضارة في قوله: "الثقافة تولّد العلم دائما، و العلم لا يولّد الثقافة دوما، ولا يمكن استبدال أحد هذين المفهومين بالآخر. إنّ هذا التمييز أساسي، أوّلا لدى وضع برنامج يهدف إلى الإرتفاع بثقافة بلد ما إلى أعلى مستوى من مستويات الحضارة"[1]، ويؤكّد هذا الربط الذي يجعل الثقافة أيضا مفتاحا للحضارة، وهو كونها أكثر من ذلك، إذ أنّها تخلق إنسانا فطنا، يراقب ذاته ليسيطر عليها أولا ثم ينتقل إلى الأشياء التي ابتدعها، وأوصلته إليها عبقريته، ليسيطر عليها أيضا وهو معنى التحضر[2]،كما يرى أنّ بين الحضارة و الثقافة رباطا وثيقا ويعتبر أن أي تفكير في مشكلة الحضارة هو في جوهره تفكير في مشكلة الثقافة"[3] لأنّ الثقافة حسب نظريّته تعطي للإنسان السلوك القادر على تحقيق التآلف بين الأخلاق و الجمال و المنطق العمليّ في كلّ مستويات المجتمع، و بها يمتلك القيم الإنسانيّة التي تخلق له الحضارة، لتكون الحضارة عبارة عن مجموع من القيم الثقافيّة المتحقّقة في المجتمع.

و لئن كان ملك بن نبي يصل بين الحضارة و الثقافة وصلا يقرّر به جعل الثقافة أساساللحضارة، نرى علي عزت بيجوفيتش* على عكس مالك بن نبي يفصل بين الثقافة و الحضارة إلى حدّ الصدام، و يتمثّل رأيه في الإنحياز للثقافة على حساب الحضارة، إذ يربط الثقافة بعالم السماء و المثل العاليا، في حين يربط الحضارة بعالم الأرض والمادّة، على اعتبار أنّ الثقافة تُعنى (بعلاقة) الإنسان بالسمو والاستعلاء، و كلّ شيء في إطار الثقافة، إمّا تأكيدا أو رفضا أو شكّا أو تأمّلا في ذكريات ذلك الأصل السماوي للإنسان، فالثقافة تتميّز بهذا اللغز، و تستمرّ هكذا خلال الزمن في نضال مستمرّ لحلّ هذا اللغز[4]، أمّا الحضارة عنده فهي إستمرار للصفة الحيوانية في الإنسان والتي تحكمها العلاقة بينه وبين الطبيعة، مثله في ذلك الحيوان مع الاختلاف في الدرجة والطريقة والمستوى "ووظيفته أن يتعامل مع سلع الطبيعة، و يغيّر العالم بعمله وفقا لاحتياجاته"[5]، ونراه هنا

---

[1] مالك بن نبي: من أجل التغيير ، ط1، 1434هـ-2013م، دار الوعي، الجزائر، ص54.

[2] المرجع نفسه ، ص55.

[3] مالك بن نبي: مشكلة الثقافة، ص101.

* علي عزت بيجوفيتش هو الرئيس السابق للبوسنة والهرسنك، وقائدها السياسي وزعيمها الفكري والروحي، صاحب اجتهادات في قضايا الفكر، ولد في:8 أوت 1925.بالبوسنة.

[4] علي عزت بيجوفيتش: الإسلام بين الشرق و الغرب، ترجمة محمّد يوسف عدس، ط2، مؤسّسة بخاريا للنشر و الإعلام، ميونخ ألمانيا، 1997م، ص94.

[5] المرجع نفسه، ص94

يتّفق مع ابن خلدون الذي يربط طور الحضارة بالترف والتوسّع في مظاهره. وبيقوفيتش يقصر نظرته للحضارة على بعدها المادّي إذ يعتبر أنّ الحضارة هي التغيير المستمر للعالم، بينما يعلي من شأن الثقافة ويراها ارتباط الإنسان بالبعد الروحي، لأنّه الفنّ الذي يكون به الإنسان إنسانا، لتكون الثقافة هي الخلق المستمرّ للذات في حين تكون الحضارة هي فنّ العمل و السيطرة وصناعة الأشياء صناعة دقيقة' لنخلص إلى أنّ علاقة كلّ من الحضارة والثقافة بالإنسان هي أنّ الحضارة تغري من له حاجة إليها و من ليس له، أمّا الثقافة فهي على العكس من الحضارة تميل إلى دفع الإنسان إلى التقليل من الإحتياجات وضبط النفس على الترفّع عن الإكثار منها، لما يحقّقه هذا الأمر من حريّة داخليّة للإنسان و يضمن له آفاقا أرحب لها[1]. و بعد هذا التوضيح لفكرة بيجوفيتش يمكن ملاحظة أنّه لا يتبنّى معنى الحضارة المادّي، بل و ينتقد الحضارة الغربيّة باعتبارها مظاهر ماديّة هي ثمار التقدّم العلمي، و يشيد بمجتمعات ما قبل قيام الحضارات التي يرى أنّها كانت تتمتّع بالصحّة و التوازن رغم البساطة و الفقر، و سوء الأحوال الماديّة، ويسمّي هذه المراحل بمراحل قوّة الروح التي تزداد و تدوم بعيدا عن الحضارة والعكس. لنلمس أثر الفكر الخلدوني في هذه النقطة و الذي يظهر بوضوح.

وبعد المقارنة بين مالك بن نبي و بيجوفيتش في تحديد علاقة الحضارة بالثقافة، أرى أنّ رأي مالك بن نبي أكثر دقّة و واقعيّة، من حيث كونه يربط بين الثقافة والحضارة، ويجعلها تؤسّس لها و تقوم بدور الدم في جسم الكائن الحيّ[2]،كما أنّ سلبيّات الحضارة الغربيّة وآثارها التي تصل في أحيان كثيرة إلى ضرر الإنسان، لا ينبغي أن تدفعنا إلى طرحها كليّة، بل من الأمانة إعطاؤها حقّها في ما حقّقته للإنسان والحياة من إيجابيّات.

ب- إشكال المصطلح:

إنّ ضبط المصطلح يشكّل واجب الباحث لضمان أهميّة العمل و البحث، وهو عامل يزيل الإلتباس و الغموض من جهة، ومن جهة أخرى يضيق مجال الخلاف حوله، لكن الإشكال الذي يطرح في قضيّة كلّ من مصطلح الحضارة والثقافة هو مسألة الترجمة، التي شوّشت انضباطهما في الفكر العربي، إذ يلاحظ أنّ لفظة "الحضارة" مثلا في ذهن الباحث العربي تستبطن الدلالات المشتقّة من مفهوم Civilisation والتي تعني في الدلالة الغربيّة مفهوم "المدنيّة" لينصرف بالمصطلح إلى الطرح الخلدونيّ الذي يربط الحضارة بالمدنيّة وسكن الحضر و التفنّن في الإعمار والتشييد سيرا نحو

[1] علي عزت بيجوفيتش: الإسلام بين الشرق و الغرب ، ص95

[2] مالك بن نبي: مشكلة الثقافة، ص104.

المبالغة و من ثمّ الترف، أو ينصرف مصطلح الحضارة إلى معنى الثقافة Culture للإضطراب الواضح الذي حصل في الفكر العربي الذي وجد نفسه في مواجهة إشكاليّة ضبط مصطلحين هما Civilisation و Culture واللذين يقابلهما في الحقل الدلالي العربي كلمات ثلاث هي: "الثقافة" و "الحضارة" و "المدنيّة"، فمن ترجم كلمة Culture إلى ثقافة، ترجم Civilisation إلى حضارة، و من ترجم Culture إلى حضارة، ترجم Civilisation إلى مدنيّة، و في كلّ حالة يختلف المفهوم العربي لكلّ مصطلح عن الآخر، لنقع في عدم الضبط، و من ثم استعمال خاطئ أو لنقل غير محدّد لهذه المصطلحات، و الأخطر في كلّ ما ذكرت، ما يجد الباحث العربيّ نفسه مضطرّا إليه من البحث عن مقابل عربيّ للدلالة عن معنى المصطلح في الفكر الغربيّ، عوض البحث عن حقيقة المفهوم باستنطاق اللغة العربيّة للخروج بدلالات مستقلّة خاصّة لا ترتبط بالدلالة الغربيّة تحت أيّ ظرف، لتظهر الحاجة إلى اتّباع منهج سليم، يكون منطلقا لتحديد دلالات أيّ مفهوم بالرجوع إلى بيئته و جذوره في لغته للوصول أوّلا إلى الضبط و التحديد مرورا إلى تجريد هذه الدلالات، ثم المرور ثانيا إلى تحصينه بما يضمن له المناعة التي تجعل سلخه عن أصله الدلالي صعبا أو مستحيلا، و في مرحلة تالية إعادة دمجه في الواقع المعاصر دون الخوف من التشويه.

3- الثقافة والحضارة والتربية.

أ- علاقة التربية بالثقافة و الحضارة:

يكون من النافع الإشارة إلى هذه العلاقة باعتبار أنّ هدف التربية وأداتها وموضوعها هو الإنسان كما أنّ الثقافة تهدف إلى ترقية الإنسان والسعي به نحو التحضّر، والحضارة هي المقصد الذي لابد أن تتوجّه إليه طاقات وجهود الثقافة لتكون العلاقة بينهما هي العلاقة بين الأداة المحتوى، والمنتوج، وهو بالضبط ما يشير إليه محمّد مهاتير حين يركّز على التربية وتأهيل الفرد الملايوي، وينحصر هذا في المدرسة عنده إلى إعداد الفرد وتجهيزه للإندماج في عمليّة البناء، ما يضفي على التربية حسبه[1] بعدا حضاريّا بجعلها غير ذات معنى ولا فائدة إذا لم تصل بالإنسان إلى تحقيق إنسانيّته، و إدراك مكانة مرموقة في الوجود، ونراه في هذا متأثّرا بمالك بن نبي حين يعتبر أن كلّ تربية لم تستطع أن ترقى بالإنسان إلى هذا المستوى من التغيير على مستوى مختلف أبعاد شخصيّته، كإنسان يتميّز باهتماماته العالية عن الحيوان، وعلى مختلف مستويات حياته في المجتمع كمواطن فعّال، وفي العالم كإنسان ذي دراسة كونيّة يمثّل أمل البشريّة التائهة، يمكن الحكم عليها بأنّها تربية

[1] محمّد مهاتير: الموسوعة، الإسلام و الأمّة الإسلاميّة،المجلد1، ص302.

تفتقد إلى مبرّرات وجودها فضلا عن مبرّرات الإستمرار في هذا الوجود،[1] لأنّ التربية من حيث كونها إطارا يرقي بالإنسان إلى تحقيق إنسانيّته، بترقية مختلف أبعاد حياته و تزكيتها، و الإبتعاد عن هدف الوصول بالإنسان إلى تحقيق الأبعاد الحيوانيّة فيه، و هو حال الحضارة الغربيّة بتركيزها على جعل غاية الحياة البشريّة هي النجاح في مشروع الإستجابة لمطالب الجسد، وهي طريق الإنسان إلى النجاح وسبيله إلى التحضّر وفق المنظومة الثقافيّة للمجتمع، ويستدلّ مالك بن نبي بالتاريخ في التجربة الألمانيّة التي استطاعت من خلال منظومتها الثقافيّة والتي يرمز إليها "بالفكرة" إلى إعادة بعث كيانها من جديد رغم الإنهيار الكامل الذي أصابها بعد الحربين في أشيائها، والتربية بإيقاظ روح التميّز و القدرة على النهوض هي ، التي أعادت إحياء أثر القيم الثقافيّة في الشعب الألماني، لتعود إلى الوجود والفعل الحضاري من جديد، و تمكّنت في مدّة وجيزة من بلوغ مستويات الدول الصناعيّة التي خرجت غالبة في الحربين، لنخلص بعد هذا إلى أنّ الإستعداد التربوي ضرورة لاستئناف أيّ مجتمع وظيفته في التاريخ.

[1] عمر النقيب: مقوّمات مشروع بناء إنسان الحضارة، ص67.

المبحـــث الثاني

التعريف بمحمد مهاتير

إن تأهيل الأفراد لينخرطوا في السير الفاعل والتوتر المثمر في حياة مجتمعاتهم، يولد في نفوسهم هماً كبيرة تُحيي في قلوبهم آمالا عظيمة، وتمكنهم من العدة اللازمة للإنخراط في دورة حضارية جديدة وأهم هذه المحطات في حياة محمد مهاتير:

المطلب الأول: المولد والأسرة:

1-المولـد: ولـد محمـد مهـاتير، أو محضـير كمـا يسـميه الـبعض، في يـوم 10 يوليـو/ تمـوز مـن سـنة 1925م، وهـو التـاريخ الفعلـي لمولـده كمـا يقـول هـو عـن نفسـه " صـادف مولـدي الحقيقـي في العاشـر مـن تمـوز/ يوليـو 1925"[1]، أمـا التـاريخ الثـاني، فهـو التـاريخ الموجود في السجلات الرسمية، وذلك لأن والده تعود أن يختار تاريخ تسجيل أبنائه في شهر

كـانون 1/ ديسـمبر لتسـهيل تمدرسـهم في بدايـة السـنة الدراسـية في ينـاير:إذ يشـير في مذكراتـه أن السـبب الـذي دفـع والـده إلى تأجيـل تسـجيل أولاده حـت شـهر كـانون الأول/ديسـمبر هـو ضـمان تمـدرس أولاده دون تـأخر أو مشـاكل، لأن التسـجيلات للسـنة الدراسـية الملايويـة تبـدأ في كـانون الثاني/ينـاير وهـو مـا جعلـه يـذكر أن سـنه حسـب الوثـائق أصـغر بقليـل مـن سـنه الحقيقـي[2] وكـان الحـي الـذي تقطنـه أسـرته يسـمى " سـبيرانغ بـيراك" حيـث نشـأ في ظـروف يميزهـا شـظف العـيش مـع البسـاطة، إذ يصـف الحـي الـذي كانـت تقطنـه أسـرته قـائلا: " عنـدما تُصـرّف ميـاه أرض حينـا المنتنـة، وتطفـو الأوسـاخ السـوداء علـى المـاء، يكـاد أن يصـبح زقاقـا قـذرا"[3] وهـو وصـف للحالـة الإجتماعيـة و المعيشـية المتدنيـة الـتي عاشها في صباه، وهي فترة سيطرة الاستعمار البريطاني على البلد.[4]

---

[1] محمد مهاتير: طبيب في رئاسة الوزراء، ترجمة أمين الأيوبي، الشبكة العربية للأبحاث والنشر، بيروت، ص 30.

[2] المصدر نفسه، ص31.

[3] المصدر نفسه، ص 31.

[4] عادل الجوجري: النمر الآسيوي محمد مهاتير، ط1 2008، دار الكتاب العربي، دمشق، ص 22

2-الأسرة: والده " محمد بن اسكندر" مالايوي من بينانغ، ترجع أصوله إلى الهند، لكن صلته بأجداده في الهند كانت منقطعة[1].ترك الأب في نفس ولده أثرا بالغا لتبجيله للعلم، وحرصه على إكمال تعليمه في المدارس البريطانية خفية عن والديه المعارضين لذلك خوفا على تحولهم من الإسلام إلى المسيحية، شأنه في ذلك شأن سائر الملايويين-، وأصبح بعدها مدرسا سنة 1908 فدعته حكومة "قدح" إلى فتح مدرسة إنجليزية لتعليم أبناء الأسر الملكية، ونخبة من الموظفين في السلك الحكومي[2]، وتتلمذ على يده تنكو عبد الرحمن الذي أصبح أول رئيس وزراء لماليزيا بعد الإستقلال. كان صارماوأبا صعب الطباع، يصفه مهاتير بأنه كان يستعين بعصا رفيعة من الخيزران في بعض الأحيانويقصد صرامته في التدريس، لكن هي ذات الصرامة في البيت، لحرصه على تعليم أولاده وحسن تأديبهم .

ووالدته " وان تمبوان" أيضا ملايوية من "قدح"، ممن كانوا يخدمون الأسرة الملكيةوقد انحدرت من أسرة عريقة، تشبعت فيها بالعادات والتقاليد المتبعة في التشريفات الملايوية، يقول عنها مهاتير: " لذلك نشَّأتنا على التصرف والظهور في مظهر الملايويين المهذبين"[3]، وكان لها أثر كبير في صقل شخصيته، والحرص على تعليمه تعاليم الإسلام وساعدها في ذلك حسن تدينها، وحبها للإسلام، وقد كانت تجيد ترتيل القرآن الكريم وتحرص على تحفيظ أولادها بعض سوره، كما ورثت عنها أبنتها الكبرى "رفيهة" حسن التلاوة مع صوتها الجميل.

المطلب الثاني:النشأة والقيم

1-النشأة:أمتد تأثير والدته في تربيته على مبادئ الدين وقيمه السمحة، إذ علمته التواضع، والطموح، وشرف العمل، ومما رواه عن حرصها في ترسيخ حب العمل في نفسه،أنها كانت تعطيه بعض الأجر مقابل مساعدته لها في العناية بالياسمين، والدجاج والبط الذي كانت تربيه[4].

---

[1] محمد مهاتير: طبيب في رئاسة الوزراء، ص 31.

[2] المصدر نفسه، ص 29

[3] المصدر نفسه، ص 32.

[4] المصدر نفسه، ص33.

والأم تغدو مثالا وقدوة لأولادها في حب العمل إذا كانت هي نفسها تعمل بجد وتتفانى في أداء أعمالها، وهو حال والدته التي اشتهرت بالبراعة في ميادين كثيرة من الصناعات اليدوية، كصناعة الكحل، وأكاليل الياسمين، ومراهم لتخفيف آلام العضلات ومن الطبيعي إذا أن يقدس أولادها العمل، وهي امرأة عظيمة دون شك، إذ أنها أثبتت فعلا أهمية دور المرأة في الأسرة بإعتبارها " اللبنة الأساسية، ودون المرأة لا يمكن للأسرة بصفتها مؤسسة أن تستمر"[1]، وتظهر قدرتها على الفعل في إنشاء الأفراد المؤهلين للدخول في المجتمع بزاد من القيم و الآداب التي ترافقهم طيلةمسيرتهم في الحياة، ذلك ما حدث مع محمد مهاتير و السيدة " وان تمبوان" التي حرصت على تربية أبنائها وحسن تأديبهم.

2-دور القيم:

كان محمد مهاتير الإبن الأصغر، مع أربعة إخوة أشقاء، ثلاث شقيقات: رفيهة،حابسة وجوهرة، وكذلك أخوان غير شقيقان، وأخت غير شقيقة، ما أتاح له أن يكون محل اهتمام في الأسرة باعتباره الأصغر، وأن يحظى بعناية الجميع في تربيته، ومراقبته[2]، ما كان عاملا آخر مؤثرا في تمييز شخصيته، إلى جانب كون الأسرة عرفت الإستقرار و السعادة، بقرب الوالدين من بعضهما،وحبهما لأبنائهما، ما جعل الوالد يموت في منزله بين أولاده وزوجته، سنة 1962م وقد كان في المستشفى فطلب منهم إخراجه إلى بيته ثم بعد وفاة الأب دفع الحزن بالأم إلى الإنزواء والعزلة لمدة ثلاث سنوات حتى لحقت بالرفيق الأعلى هي أيضا، فكان مهاتير بدوره زوجا مثاليا وأبا حنونا لم يسرقه من أسرته إلا رئاسة الوزراءكما يذكر أنه تعلم من أمه صلة الرحم، و العناية بالأقارب، وكانت صفة منتشرة في معظم الأسر الملايوية، لتكون دليلا على أن تعاليم الدين الإسلامي متجذرة في المجتمع الملايوي المسلم، ويذكر أن جدته لأمه عاشت عندهم، وهو ما يجعل أي طفل مثله ينشأ على فضيلة توقير الكبير و العناية به، ليكون ابنا بَارّاً، يقول: " تعلمت من والدتي أيضا أهمية الأسرة الكبيرة، إذ كنا شديدي الإلتصاق بأقاربنا، حتى أقاربنا في النسب ومن ذلك أن والدة أمّي عاشت معنا إلى أن وافتها المنية "[3]ويرى أن فكرة " دار العجزة" غريبة عن القيم الملايوية ويأسف لظهورها بينهم، يواصل:وقد شدّ انتباهه برنامج تلفزيوني يدور حول الأسرة الملايوية قرر الزوجان فيها وضع والدهم المسن في دار العجزة بعدما أصيب بسكتة دماغية خلفت له عجزا، وهي فكرة غريبة عن

[1] عبد الوهاب المسيري: الهوية والحركية الإسلامية، ط1، 1430هـ- 2006م، دار الفكر دمشق، ص63

[2] محمد مهاتير: طبيب في رئاسة الوزراء، ص 36.

[3] المصدر نفسه، ص 39.

المجتمعات الآسيوية عموما وعن المجتمع الملايوي أيضا، وهو ما استغربه محمد مهاتير الذي تربع على صلة الرحم، ورعاية الأقارب، وأبدى تخوفه من أفول العادات والقيم العائلية الجيدة، التي يغرسها الوالدان في أبنائهما[1]لإدراكه مدى تماسك أي مجتمع تكون علاقات أفراد الأسرة فيه جيدة، حيث ينمو الإنسان ويتربى على القيم وعلى الفضائل، ما يساعده على إكتساب شخصية متوازنة، مستعدة للتغيير والفعل الإيجابي وهو ما ذكره مالك بن نبي* حين صاغ مفهوم التربية كمشروع حضارة قائلا:" هي وسيلة فعالة لتغيير الإنسان، وتعليمه كيف يعيش مع أقرانه، وكيف يكون معهم مجموعة القوى التي تغير شرائط الوجود نحو الأحسن دائما "[2]ولأن محمد مهاتير تشرّبقيما كثيرة من وسطه العائلي و الإجتماعي، فقد أسهمت بقدر كبير في بناء شخصية ستنقل هذه الإيقاعات، وتحولها إلى عطاء وإبداع في قيادته لبلاده نحو الرفاهية التقدم و الإزدهار، وفي تربيته لأبنائه على النزاهة وحب العمل، كما أنه تعلم التسامح و التواضع، و الاحترام داخل أسرته،حيث غرستها فيه والدته والتي كان لها أثر بارز في عمله إذ أنه حتى عندما أصبح رئيسا للوزراء، لم ينقل أو يطرد أحدا من الموظفين في فريق عمله من منصبه لسوء عمله[3] وهذا تأكيد على أثر الأسرة في الإنسان، وأثر الوالدين في حسن أو سوء تربيته، ويبقى أكثر شيء يتذكره الإنسان، وينعكس على تصرفاته في ما سيأتي من مراحل حياته.

نشأ مهاتير في أسرة من الطبقة الوسطى الفقيرة، لكن، والداه بذلا جهدهما، ولم يبخلا على أولادهما بشيء وسعيا إلى إحاطتهم بالعناية والحب، ورغم حزم الأب الذي منعه من إبداء مشاعره لأبنائه إلا أنهم كانوا يحسونه، ما جعل الأبناء يدركون أن غايتهما أن يكون أبنائهما أولادا صالحين وأفرادا مستقيمين[4] وهو شعور لازم الطفل إلى أن أصبح على قمة أعلى هرم للسلطة في ماليزيا، كون الأسرة هي المربي الأول للإنسان " والمربي الذي يقوم على أمر تربية الإنسان، سواء أكان معلما أم والدا أم غير ذلك، هو الذي يضطلع بمهمة صياغة شخصية الفرد وبنائها وفق رؤية فكرية محددة، تتضمن النموذج

---

[1]محمد مهاتير: طبيب في رئاسة الوزراء ، ص39.

[**]مالك بن نبي: مفكر جزائري ولد سنة 1905 بقسنطينة، يمثل مدرسة فكرية تسعى إلى حل مشكلات الحضارة ضمن سلسلة متنوعة من الكتب تحمل عنوان، مشكلات الحضارة، توفي سنة 1973.

[2]مالك بن نبي: ميلاد مجتمع، ط2 ،1974، دار الفكر، لبنان، ت: عبد الصبور شاهين، ص 93

[3]محمد مهاتير: طبيب في رئاسة الوزراء، ص36.

[4]المصدر نفسه، ص34.

التربوي الذي يرى المجتمع أو المربي، على الأقل، أهمية تجسيده في شخصية هذا الفرد"[1] ليتضح أن العامل الأساسي في صياغة شخصية الانسان هو التربية، و ليس الفقر أو الغنى، و الفضيلة التي تغرسها الأم أو الأب أو المجتمع في الإنسان تزهر براعم للخير و الإستقامة فيه، فيغدو بها فردا صالحا، نافعا وفعالا في المجتمع.

المطلب الثالث: دراسته وتميزه:

1-الصفوف الأولى: بعد إنهائه لـ :" الصف الملايوي الخاص"،وقبوله في المدرسة الإنجليزية الأهلية بولاية قدح سنة 1933م، وكان من المحظوظين القلائل من الملايويين الذين قُبلوا في هذه المدرسة، ما كان سببا في أن أغلبية زملاءه في الصف كانوا غير ملايويين، ربطته بهم علاقات جيدة، وساد بينهم جو تنافسي ودي، وكان يحظى بالمركز الأول في غالب الأحيان، ولأنهم لم يكونوا ملايويين كانت اللغة السائدة بينهم والمشتركة لهم جميعا هي الإنجليزية التي أتقنها في السنوات الأولى، حتى أصبح في الصف السابع قادرا على التكلم بها بطلاقة[2] لكن وعلى إثر الحرب العالمية الثانية واحتلال اليابان لجزر الملايو يتوقف محمد مهاتير عن الدراسة،[3] لتبدأ معاناة الحرب، والظروف التي تصاحبها، إذ لم تكد تمضي أيام على اجتياز محمد مهاتير لاختبار كامبريدج الذي يسبق التخرج، حتى هاجمت اليابان ميناء "بيرل هاربور" في السابع من كانون الأول/ديسمبر والمناطق الخاضعة للحكم البريطانيين والهولنديين في جنوب شرق آسيا[4] واشتدت الحياة أكثر فأكثر، ونحن في بلد عانى شعبه ويلات الإستعمار، ليدرك بداهة ما يحل بالمستعمرات من شلل للحياة وتجهيل وتفقير لشعوبها،ونهب لخيراتها، وخير ما يلخص الفكرة قول مالك بن نبي " إنه لا حاجة بنا إلى القول دائما بأن الإستعمار ولاشك هو الشر، وأنه صورته المجسمة على الأرض"[5] ويستحق أن يوصف بمختلف نعوت الفساد، و التخريب، لما يسعى إليه من إهلاك الحرث و النسل مصداقا لقوله تعالى ﴿وَإِذَا تَوَلَّى سَعَى فِي الْأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا

[1] عمر النقيب: النموذج القرآني للتربية، ط1، 1434 هـ- 2013م، شركة الأصالة للنشر والتوزيع الجزائر، ص60.

[2] محمد مهاتير: طبيب في رئاسة الوزراء، ص 78.

[3] عادل الجوجري: النمر الآسيوي محمد مهاتير، ص22.

[4] محمد مهاتير: طبيب في رئاسة الوزراء، ص93

[5] مالك بن نبي: الصراع الفكري في البلاد المستعمرة، ط1 1434 هـ- 2013م، دار الوعي، الجزائر، ص61

وَيُهْلِكَ الْحَرْثَ وَالنَّسْلَ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْفَسَادَ﴾[1] يقول محمد الطاهر بن عاشور: " و الحرث هنا مرادفة الزرع والنسل أطفال الحيوان مشتق من نسل الصوف نسولا، إذا سقط وانفصل وعندي أن إهلاك الحرث والنسل كناية عن اختلال ما به قوام حياة الناس"[2] ، وهو بالضبط ما كان يقوم به أي إستعمار مهما إختلفت الأسماء والصفات، لأن الفساد والشر مرادفان له.

2-التفوق والالتحاق بكلية الطب :

بعد إغلاق المدارس أبوابها، وانقطاعه عن الدراسة، استمر محمد مهاتير في مطالعة كل ما تطاله يده من كتب، مجلات و صحف، لأنه لازم منزله ولم يكن أمامه إلا التفتيش فيه للعثور على كتب أو مجلات في مكتبة والده، وكان فيها كتبا ومجلات قال بأنه قرأها من قبل لكن الفراغ جعله يعيد قرائتها[3]وهذا دليل على نهمه للدراسة والمطالعة ومحاولة الإستفادة من كل شيء صالح للقراءة، وهي أمور سيظهر أثرها فيما بعد في شخصيته الفذة، وبعد عودته إلى الدراسة إلتحق بمدرسة يابانية، تعلم فيها الإنضباط، و الجد كثمرة للتدريبات الكثيرة المقررة عليهم في المدرسة،والشيء الذي كان يشده أكثر، تمارين يابانية معروفة بـ: "راديو تايشو" وتتمثل في حركات على وقع الموسيقى، وتعلم العزف إلى جانب الجري لمسافات طويلة في تشكيل عسكري[4] لكن ظروف الحرب منعته من المتابعة، إذ ترك المدرسة لاكتساب لقمة عيشه فزاول تجارة الموز، الأرز و الكاري، ثم بيع ماء الزنجبيل والحلوى الملايوية، كما كان يجيد قلي فطائر الموز وبيعها، إلى جانب ذلك باع سلال القصب، وكذلك الحطب ومنتجات خيزران الراتان...[5]وتبقى هذه المحطات المختلفة تطبع شخصية الطالب النجيب، الذي رغم بعده عن مقاعد الدراسة إلا أن قلبه مازال ينبض حنينا إلى العودة، وكان له ذلك، إذما إن أعادت المدارس فتح أبوابها، حتى رجع والتحق بالصف التاسع لإكمال دراسته، وقد كان متفوقا في الرياضيات و التاريخ و الإنجليزية، ما ساعده على افتكاك المراتب الأولى دائما، وعلامات النبوغ والتفوق لا تكون آنية، تمر في

---

[1] سورة البقرة، الآية: (205)

[2] محمد الطاهر بن عاشور: التحرير و التنوير، ط1 دار سحنون تونس، ج2، ص 270.

[3] محمد مهاتير: طبيب في رئاسة الوزراء، ص 100.

[4] المصدر نفسه، ص 104.

[5] محمد مهاتير: طبيب في رئاسة الوزراء، ص 105.

حياة الإنسان دون أن تطبع شخصيته خاصة، بل يكون لها الأثر البالغ في تنمية شخصية صاحبها ومساعدته على أن يكون شخصا غير عادي في جميع الميادين، وسيكون فعالا مؤثرا لا يعدم القدرة والإدارة لأن " الفرد يكون في أقصى حالات فعاليته الإجتماعية إذا ما وجد نفسه في الموقع الذي يفرض عليه القيام بأدوار تنسجم والمؤهلات الفطرية والمكتسبة التي يتمتع بها".[1] كانت هذه المحطات في حياة محمد مهاتير خطى تتسارع به إلى التعليم العالي، وكان أمله أن يلتحق بكلية الحقوق، بعد الحصول على منحة للدراسة في الخارج، حتى يتمكن بعد عودته من ممارسة السياسة، وإسماع صوته، وبعد طول انتظار قُبل طلبه للمنحة، لكنه كان مشروطا بدراسة الطب و ليس الحقوق، وهو التخصص الذي لم يكن محمد مهاتير يفكر فيه جديا ولم يكن ضمن خياراته الأولى قبل الحصول على المنحة التي كانت مشروطة بدراسة الطب في سنغافورة[2] ولم يدرك فائدة تخصصه إلا لاحقا، وكان الانطلاق نحو النجاح من كلية " الملك إدوارد السابع" بسنغافورة سنة 1947 وسنه آنذاك إثنين وعشرين سنة.

بقي الفقر يطبع يوميات طالب الطب الجديد، لكن ما مر به زمن الحرب من شظف العيش، بدا أثره على شخصيته، وأظهر أنه لم يدرس الطب للترف بل كخطوة أولى نحو تأشيرة تساعده على دخول عالم السياسة[3] ليحقق أحلامه بالسير نحو التغيير بدوائره السائرة نحو دائرة الأمة الإسلامية، وذلك عندما خُفّضت مخصصاته الحكومية من المنحة إلى 15 دولار بدل 25، ولأنه تعود على الإقتصاد وحسن تدبير أموره بما يملك، سارت أموره، وعَرَفَتْ انفراجا أكثر لما دعّم مدخوله بكتابة مقالات في صحيفتي ستريت تايمز (straits times) و صاندي تايمز (sundy times) وكانت مقالاتهمناقشة لمشاكل الملايويين، وما اتسمت به من جرأة ودقة تذر عليه مالا إضافيا وصل أجره في أحدها إلى 40 دولار، ما دفع " ألنغتون كينارد" محرر صحيفة ستريتس تامز (straits times) أن يعرض عليه منصبا بدوام كامل في الصحيفة، لكن الحلم كان عنده صاحب القرار واعتذر، ليكمل دراسته في كلية الطب، ساعده، ذكاؤه، رزانته وأدبه الملايوي الرفيع على عقد علاقات صداقة مع كثير من الطلاب بغض النظر عن أعراقهم أو عقائدهم، وعمله

[1] عمر النقيب: مقومات مشروع بناء إنسان الحضارة في فكر مالك بن نبي التربوي، ص 87.

[2] محمد مهاتير: طبيب في رئاسة الوزراء، ص163.

[3] عادل الجوجري: النمر الآسيوي محمد مهاتير، ص23.

السابق في الصحافة زكاه لينال منصب محرر مجلة كلية الطب "the medio" وهو في السنة الثالثة، وتعلم منه دروسا كثيرة خاصة من الأخطاء، وهو جزء من منهجه في الحياة العملية فيما بعد[1]، وبعد إنهاء الدراسة و التخرج سنة 1954 رجع إلى ألور ستار، ثم بعدها توجه إلى بينانغ لينهي مدة العمل كطبيب مقيم، لدى حكومة استعمارية اشترطت على أي عامل حكومي عدم الإنخراط في السياسة، وكان عليه القبول لضرورة المرور بمرحلة التدريب في مهنة الطب، وخاصة تخصصه في الجراحة، وهو الجراح الذي أصبح يمجد مهنته ويمارسها بمسؤولية وارتياح، ولم يخل الأمر من المغامرة إذ يروي أنه أجرى عملية فتق مختنق لمريض في لنكاوي، والمستشفى لا يملك قاعة عمليات، ولأن مستشفى ألور ستار بعيد ومدة الانتقال تحتاج إلى أكثر من عشر ساعات بالقارب، لم يكن أمامه إلا المغامرة وإجراء العملية على منضدة الفحص، ولانعدام الخيط الحريري، عوضه بخيط وتري، والمذهل أنه نجح في هذه العملية وتعافى المريض وبقيت زوجته تبعث له بسمك لنكاوي المملح كلما ذهب إلى هناك [2]، ليظهر بعد سرعة البديهة واتخاذ القرار في الوقت المناسب عند محمد مهاتير في بداية حياته.

المطلب الرابع: حياته العملية

1-"مها" وطبيب الفقراء:

صادف سنة استقلال ماليزيا 1957 إفتتاح محمد مهاتير لعيادته الخاصة في " ألور ستار"، وكان أمامه طريقان، الأول يسمو به نحو الشهرة و المال و المكانة المرموقة بين أثرياء البلد، و الثاني يتكبد فيه المشاق، و يقدم التضحيات من أجل أن يرى بلده يوما من الأيام قد تعافى من حالة الفقر والتخلف، وقد أستقر في وعيه أنه يتحمل مسؤولية التغيير لكونه من النخبة المثقفةالتي يتوجب عليها تحمل مسؤولية التخطيط لأية انطلاقة نحو التقدم والرقي، وترسم بدقة خطوات التغيير، وتستشرف ملامح المجتمع الجديد. ولاشك أن هذه النخبة تتميز عن غيرها بروح مسؤولة، ووعي كبير لما يتطلبه التغيير من أخلاق عالية وقيم إنسانية كبيرة لأن الأهداف نبيلة والغايات سامية، وهذا التاريخ كله يشهد على أنه لم تنطلق أمة أو شعب من سباته من دون وجود مثل هذه الطبقة القيادية المضحية، والمنكرة

[1] محمد مهاتير: طبيب في رئاسة الوزراء، ص 167.

[2] المصدر نفسه، ص 194.

لذاتها في سبيل بناء الصالح العام[1]،وهو الأمر الذي تمثله محمد مهاتير وهو يفتح عيادة يعالج فيها الفقراء مجاناويعيش معهم همومهم، لتنطبع في ذاكرته معاناة الملايويين، وتكون " مهاتير" عيادة خاصة بطعم شعبي، ما جعل أهالي ألورستار يحبون صاحبها، ويدركون إنسانيته وطيبته رغم أن الفرصة كانت مواتية له كي يصبح طبيبا مشهورا، من خلال عيادة خاصة، وأن يهتم بالعائد المادي ويجني ثروة طيبة، ويعيش في رغد بعيدا عن السياسة وهمومها. إلا أنه فضل أن يعمل بالمستشفى العام براتب زهيد، وأن يعالج الفقراء ويستمع إليهم ويحاورهم ويتعلم منهم[2] ما أسهم في إكسابه شعبية وثقة كبيرة في الأوساط الملايوية.

ويبدو أن طبعه الوفاء لمهنة طالما أحبها ونجح فيها، إذ وبعد عقود ثلاث مازال يشتاق للجراحة، التي منحته راحة كبيرة وعلمته انضباطا طبع شخصيته، وما زال بعد مرور أكثر من ثلاثين سنة من انقطاعه على ميدان الطب والجراحة، يشتاق ويحن إليهما أكثر من أي شيء آخر[3]، ولولا السياسة وثقل مهمة رئاسة الوزراء، ما ترك محمد مهاتير الطب والجراحة أبدا.

2- من القاعدة إلى القمة:

محطات حياة محمد مهاتير، كلها ساعدت في إعداد رجل سوف يغير التاريخ بفكره وبجده وحبه للرقي و الازدهار،بأن يكون متفوقا في دراسته، رافضا للفقر و الإستعمار، متمسكا بدينه وعقيدته، منكرا للجمود والقصور اللذان يميزان العقل المسلم معجبا بالأمم و الدول التي قامت من تحت أنقاض الظلم والعدوان، وصنعت لنفسها مجدا ومكانة فاقت من ظلموها وألحقوا بها الخراب و الدمار، وأقصد اليابانيين الذين كانوابالنسبة لمهاتير قدوة يجب الإفادة منها، وكذا حبه للسلام و الأمن، وتعايشه مع زملائه من الديانات الأخرى بل ومصادقته لهم، معناه أنه قائد ملهم، وبطل سوف يترك بصمتهفي ماليزيا وخارجها.

وكانت البداية بمعارضة مخططات المستعمر البريطاني، حسب معاهدة " ماك مايكل"* الظالمة والتي كانوا يخططون من خلالها لإنشاء الإتحاد الملايوي، فتصبح بموجبه الولايات

---

[1] عبد العزيز الدوري وآخرون: نحو مشروع حضاري نهضوي عربي، بحوث و مناقشات الندوة الفكرية من تنظيم مركز دراسات الوحدة العربية بيروت مركز دراسات الوحدة العربية، ط2 2005، ص 107.

[2] عادل الجوجري: النمر الآسيوي محمد مهاتير، ص24.

[3] محمد مهاتير طبيب في رئاسة الوزراء، ص 196.

الملايوية محميات بريطانية، يحكمها الملايويون صوريا، والحكم الفعلي يكون بيد المستشار البريطاني كأعلى سلطة في الإتحاد، ما جعل مهاتير ومجموعة من الطلاب يتحركون ولو بعد مرور وقت على المعاهدة، لكن المهم هو التحرك، إذ تم الاتفاق بينه وبين مجموعة من الطلاب الذين سبق له مصادقته في المدرسة سابقا، ويتفق معهم في هذا الشأن السياسي الملايوي، على رفض هذه المعاهدة التي تسعى إلى فرض الإتحاد الملايوي على طرف لم تتم استشارته وهم الملايويون أنفسهم[1] وتوسعت المعارضة، وأحبطت المعاهدة، ليدخل الطالب المتمرد عالم السياسة، ويتقلد مناصب متتالية، بدءًا بانتخابه عضوا في لجنة المنظمة الملايوية الوطنية المتحدة "أَمْنوُ"[2] في قدح، وترأس لجنتها الفرعية السياسية سنة 1958م، وبعد توالي المد و الجزر في علاقته مع تنكو عبد الرحمن، أشار عليه مساعده (مساعد رئيس الوزراء) تون رزاق أن يشارك في الإنتخابات البرلمانية، وفاز بمقعد فيها، كما تقلد منصب وزير التعليم العالي ورئاسة غرفة التجارة، وكذا منصب سيناتور وتواصلت نجاحاته حتى أصبح الرجل الأول على رأس الحكومة فأصبح تون محمد مهاتير، رابع رئيس وزراء لماليزيا المستقلة[3]،وينطلق من هذا المنصب في تغيير وجه ماليزيا والحفاظ للملايويين على بلادهم وضمان الأغلبية لهم فيه كما سيأتي في العناصر اللاحقة.

3-زواجه وأولاده:

تعرف محمد مهاتير إلى السيدة الملايوية المسلمة سيتي حاسمة من كوالالمبور، كانت الطالبة الملايوية الوحيدة في كلية الطب، وكان يساعدها في حمل وشرح بعض الدروس لأنه

---

* إتفاقية "ماك مايكل" أرادت منها بريطانيا إضعاف السكان الأصليين الملايويين وزيادة نسبة الصينيين ليصبحوا الأغلبية: محمد مهاتير، طبيب في رئاسة الوزراء، ص116.

[1] محمد مهاتير: طبيب في رئاسة الوزراء، ص116.

[2] "أمنو" تعني المنظمة الملايوية المتحدة، وقد نشأت كإتحاد لمقاومة خطر التحرك البريطاني، وكانت فكرة نشأتها كفكرة منظمة الأمم المتحدة، وسميت "Pekembar" وهي منظمة لتوحيد طاقات أبناء الملايو تحت شعار: "نقف عندما نتحد ونسقط عندما نتفرق"، تأسست في شهر ماي 1946، عبد الرحيم عبد الواحد، الدكتور محاضير محمد بعيون عربية و إسلامية، ط1، أكتوبر 2003، دار الأبواءلنشر، الإمارات العربية المتحدة، ص07.

[3] عبد الرحيم عبد الواحد:الدكتور محاضير محمدبعيون عربية وإسلامية، ط1 أكتوبر 2003، دار الأبواء للنشر الامارات العربية المتحدة، 2003، ص 7.

كان في صف أعلى، وتزوجها بعد إكمال دراستها، وإنهاء حاسمة خدمتها كطبيبة مقيمة وكان ذلك سنة 1956، وقد عرفنا فيما سبق أنه كان زوجا صالحا وأبا حنونا.[1]

أنجب محمد مهاتير أربعة أبناء، بنت وثلاثة ذكور: أول أولاده: " مارينا" أكثر أولاده شبها له في طباعه فهي مولعة بالجدال، وعنيدة وتعتقد أنها على صواب دائما. و الثاني ولد هو : " ميرزان" هادئ يحب العزلة، تخرج من أمريكا تخصص إدارة أعمال. أما الثالث : " موخزاني" يتميز بالطلاقة منذ طفولته وبروح مرحة، و الرابع: "مخرز"، تعلم في اليابان ثم أكمل دراسته في أمريكا، هو أكثر أبنائه ميلا إلى السياسة [2].

كما تبنى محمد مهاتير ثلاثة أبناء آخرين: "ميلندا" وهي ابنة أحد مرضاه، الذي وافقه على ضمها لأسرته، وطفلين من باكستان صبي: "مايزورا"، وفتاة: "مزهار". وكان مولعا بالأبوة حيث يقول: " أن تكون أبا إنجاز عظيم يشعرك أنك ذو حظ عظيم، لأن وجود أبناء ترعى شؤونهم يجعلك تشعر بالخلود، لأنك تعرف أنهم سيخلفونك وأنهم سيرزقون بأطفال وأن جزءًا منك سيبقى حيا فيهم دائما من خلالهم. واعترف أنني رغبت في أن يكون ولد أو اثنان منهم طبيبين، لكنهم أعرضوا جميعا عن مهنة الطب"[3]، وذلك لحبه وتمجيده لهذه المهنة الجليلة، ولم يولع منهم أحد بها رغم أن كلا من الأب والأم طبيب كما مر ذكره من قبل.

وقد نجح محمد مهاتير في أبوته، وقاد أسرته نحو الصلاح، وتقاسم مسؤولية تربية أولاده مع زوجته العاملة، وهذا جزء آخر من شخصيته، يوضح أن النجاح في رعاية الأسرة، و النجاح في إدارة العيادة، سهَّل عليه مهمة إدارة الدولة ومتابعة أمور الشعب بنفسه، وهي ميزة تميز بها صانع نهضة ماليزيا.

المطلبالخامس:أساتذته وبعض صفاته:

1-أساتذته:

كما ذكرنا سابقا كانت الأسرة محضنا صالحا لمحمد مهاتير، تربى فيها على القيم وعلى تمجيد الإسلام، وتطبيقه في الحياة، وهو الشيء الذي طبع شخصيته على الصدق و الأمانة والنزاهة، وبدت في سيرته وهو على أعلى مرتبة في هرم السلطة، فكان الأب "

[1] محمد مهاتير: طبيب في رئاسة الوزراء، ص 175-176.

[2] محمد مهاتير: طبيب في رئاسة الوزراء ، ص 264.

[3] محمد مهاتير: طبيب في رئاسة الوزراء،، ص 263.

محمد اسكندر" المعلم الأول في حياته إلى جانب الأم: " وان تيمبوان"[1] ثم تتلمذ في المرحلة الأولى على مجموعة من المدرسين منهم: زين رشيد، أم فيراموثو، ج-أف- أوغستين، ج-آي- ماريسون، أي ساند وشام، وكلهم تركوا بصماتهم على شخصيته.

كما يذكر أعز أصدقائه منهم: عزيز أحمد، ذو الكفل هاشم، عثمان أبوبكر، أما أساتذته في الطب فيذكر منهم السيد كامبل وهو طبيب بريطاني حاد الطباع، السيد فرايزر: هادئ ورزين، السيد هانتر: أحد أفضل الجراحين في المملكة المتحدة، السيد بنيامين شيرز...[2]

كان يحب مادة الرياضيات ويلوم أبناءه على استعمال الآلة الحاسبة، كما كان يحب التاريخ ويقول أنه مادة ساحرة لما فيه من عبر ودروس يمكن للإنسان أن يستخلصها ويستفيد منها في الحاضر و المستقبل، وحياته فيما بعد تؤكد طرحه، وأن الذي يهمل الماضي لن يستفيد من الحاضر ويصعب عليه استشراف المستقبل.

2- بعض صفاته:

تميز محمد ماهتير بصفات القائد الفذ، تدخلت في تكوين شخصيته عقيدته الإسلامية بنقائها، والقرآن الكريم و السنة النبوية بتوجيههما وفهمه الصحيح لهما، كذا القيم الملايوية الصالحة التي وَرَّثته إياها أسرته ومحيطه الذي تربى فيه، ومن أبرز صفاته:

***النزاهة:** حيث أن المنصب والسلطة لم يغريا على محاباة أسرته أو أقربائه، إذ يروي في مذكراته أنه تعامل مع أموال الدولة وأملاكها كالحارس الأمين، و المسؤول عن تضييعها، على أساس أنها أمانة في عنقه، سيحاسبه الله عليها، لهذا اكتفى الرجل براتبه وما يمنحه القانون له من امتيازات، لم يتجاوزها طوال سنين حكمه الطويلة يقول: " إن رؤيتي الخاصة بما ليزيا، والسياسات التي وضعتها إدارتي كانت للجميع، لا لنخبة تتمتع بصلات سياسية أو دائرة صغيرة مؤلفة من أسرتي وأصدقائي"[3]. وهنا يظهر جليا أثر القيم الإسلامية في سلوكه، ما جعله على درجة عالية من الأمانة والنزاهة والإخلاص.

***الصراحة و الجرأة:** إذا كانت مزاولة السياسة والحكم مرتبطة عند الكثرين بالتزام الصمت والمداهنة، فإنها في أجندة محمد مهاتير تعني الصدع بالحق وإسماع صوته إلى

---

[1] مي السيد: تاريخ شخصيات تاريخية، http ://www.arageek.com consulté le 14/06/2015

[2] -محمد مهاتير: طبيب في رئاسة الوزراء، ص112، 164، 193

[3] المصدر نفسه، ص112، 164، 193 .

الدنيا، وهو بشخصيته المتميزة وتصريحاته التي لا تنقصها الصراحة الحادة، بلا شك اشهر زعيم آسيوي بالنسبة للعالم الغربي الذي تعود على الصمت المطبق من قبيل زعماء آسيا، وعندما كان يصمت الآخرون كان مهاتير محمد يجد في نفسه الجرأة على الرد[1]، وهي صفة لابد أن تتوفر في حاكم أراد تغيير بلاده وقيادتها نحو الإزدهار.

***الذكاء**:وقد ذكرنا سابقا حبه للرياضيات وتفوقه فيها وتفوقه في الفيزياء وفي كل مراحل دراسته، ما ساعده على افتكاك المراتب الأولى، والفوز بالمنحة الدراسية من بين القلائل جدا من أبناء الملايو.

***قوة الشخصية**: حيث كان يحتمل ويصبر على تهكم الطلاب في كلية الطب الأكبر منه صفا، وقال أنها لم تزده إلا إصرارا على التفوق و فرض احترامه عليهم فيما بعد[2]، لأن أكثر شيء يحتاجه من يتولى مقاليد الأمور هو الإحتمال والصبر وقوة الشخصية، وإلا سيفشل في تحمل أعباء القيادة.

***الفضول**: كان يريد أن يعرف كل شيء، ويفهم كل شيء، اهتم بالأدوات الكهربائية، والتصميم، وكان يحب المغامرة إلى درجة أنه كاد يفجر قبو منزلهم عندما حاول صهر الحديد وهو في مراحل الدراسة الأولى[3] ، وهذه الصفة بالذات ستظهر آثارها في كاريزما الحاكم الذي يريد أن يفهم كل شيء ويتعلم كل ما ينفع بلاده.

***التواضع**: عندما دخل معترك السياسة، مارس الحكم بعقلية الملايوي الفقير وعندما كان طبيبا لم يبحث عن المال و الشهرة بقدر بحثه عن راحة مرضاه ومساعدة الفقراء بعلاجهم مجانا، ولما أصبح رئيسا للوزراء لم ينس ذلك أبدا فكان يقود سيارته بنفسه، ويشتري حاجاته أيضا بنفسه، وكان يكره البرتوكول، ويريد أن يكون إنسانا عاديا وسط عامة الناس.

---

[1] عادل الجوجري النمر الآسيوي محمد مهاتير، ص85.

[2] محمد مهاتير: طبيب في رئاسة الوزراء، ص 166.

[3] المصدر نفسه ، ص 267.

خاتمة الفصل:

بعد التعرض لأهم محطات محمد مهاتير، نستنتج أن ظروف نشأته وطبيعة العلاقات داخل الأسرة المسلمة، والوحافظة على القيم الروحية أسهمت بشكل ملحوظ في بناء شخصية محمد مهاتير وإعداده ليتحمل همّ ماليزيا، دون أن ننسى دور معايشته للإستعمار وما عاناه الماليزيون من آثاره، في صقل شخصيته، وتنمية النزعة التحررية في نفسه وفكره ليغدو رجل ماليزيا الأول وصانع نهضتها، وقائدا سيتحرك التاريخ على خطاه ويتغير حال ماليزيا على إيقاع أفكاره وصدى آماله وأحلامه.

كما يظهر لنا أهمية ضبط المصطلحات كخطوة منهجية تساعد في إيضاحها وتحريرها من التصولات الخاطئة، التي تتراكم بفعل أسباب متعددة، على اعتبار أن المصطلحات ليست ألفاظا عادية أو مجرد كلمات تفهم بمرادفاتها، إنما هي مفاتيح تسمح بتفكيك الحقل الدلالي، وتحديد النسق المعرفي الذي ينتمي إليه، فتتجلى المعاني، والدلالات التي تعكس حتما الأسس الفلسفية، والمعرفية، والفكرية للأمة.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

الفصل الثّاني:

المشروع الحضاري المهاتيري

تمهيد:

أمعن محمّد مهاتير في النظر إلى مشكل التخلّف الذي تعيشه ماليزيا، و العالم الإسلامي كلّه، متجاوزا الظواهر الطافية على السطح و راح يتغلغل في الأعمال، باحثا عن السنن و القوانين الكفيلة بتحوّل الشعوب من حالة العجز و الكلالة إلى القدرة و الفعاليّة، و كان القرآن الكريم و السنّة النبويّة الصحيحة و الفكر الإسلامي المستنير، مصابيح أنارت له الطريق لتترسّخ عنده قناعة أنّ كلّ شيء ينطلق من الذات و أنّ التغيير لابدّ أن يبدأ بالنفس، كما أنّ النجاح و التوفيق يحتاج إلى بذل الجهد اللازم، و السعي الكفيل بتبليغنا الأهداف المرجوّة.

لقد كان المسلم الذي يخلص لعقيدته و دينه، و يملؤه يقين أنّه و بلاده قادران على النهوض، بتحقيق التنمية الشاملة و القضاء على كلّ أشكال التبعيّة و الجمود، للإنطلاق في نهضة إسلاميّة واعية، يسعى فيها المسلم لتحقيق العزّة في الحياة الدنيا، و توفير حياة سعيدة يسودها الرخاء و تتحقّق له فيها الخيريّة و الأفضليّة، بعلمه و عمله و قيمه و أخلاقه، و هو ما سيظهر من خلال هذا الفصل الذي ضمّنته أربعة مباحث و جملة من المطالب.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

المبـحث الأول

الإنسان عند محمد مهاتير

تقوم معادلة الحضارة على الإنسان وهو الأمر الذي عليه محمد مهاتير وبدأ به في انطلاقه نحو إصلاح ماليزيا.

المطلب الأول: الإنسان والنهضة:

1- تأهيل الإنسان الملايوي:

قد لعبت منظومة القيم الثقافية المتأصلة في المجتمعات الآسيوية دورها في تهيئة الأرضية الصالحة للنجاح، إذ نجد الطفل الآسيوي ينشأ على حب العلم وتقديس العمل لأنهما واجبان مقدسان، أي تعاون فيها يعد خيانة لله وللوطن، يستحق بعدها الازدراء وينظر إلى العلم والعمل على أساس الواجب والتقديس لا على أساس أنهما وسيلة إلى الربح والرفاهية الشخصية، ومن القيم المتأصلة فيهم أيضا التأمل والمحاكاة[1]، والبحث عن أسباب نجاح الآخر، ومن ثم التعلم منه، وتقليده وصولا إلى طرح المنتجات بالبصمة الخاصة، ويتجلى في تجربة اليابان وماليزيا وغيرهما.

كذلك قيمة التسامح والتعايش والميل إلى السلم وحب التشارك مع الآخر ميزة أخرى ميزت الشعوب الآسيوية عموما، ما ساعدهم على العيش بسلام في بلدانهم رغم تعدد الأعراق والأديان.

والتنوع العرقي والاثني في ماليزيا، يفرض تنوعا فكريا ودينيا بالضرورة، إذ يتألف المجتمع الماليزي من ثلاث مجموعات عرقية أساسية هي المالاي ويشكلون 50.4%، والصينيون 23.7%، والهنود 7.1% بالإضافة إلى أعراق أخرى ويعد الإسلام ديانة الأغلبية الساحقة في ماليزيا بالإضافة إلى ديانات أخرى منها البوذية والهندوسية والمسيحية[2]، ويعتبر الملايويون الإسلام نظام حياة، ترجع إليه منظومتهم القيمية في عمومها، لأنهم مسلمون عن بكرة أبيهم، ويشكل تاريخ شبة جزيرة مالايا نموذجا للتعايش السلمي بين السكان الأصليين الذين يدينون بالإسلام وبين غير المالايويين الذين يعتنقون ديانات أخرى[3]، ورغم وقوع أعمال عنف

[1] عادل الجوجري: النمر الآسيوي محمد مهاتير، ص 61.

[2] Pascal Boniface : l'année stratégique, op.cit., PP468

[3] محمد مهاتير: الموسوعة، الإسلام والأمة الاسلامية، المجلد1، ص 102.

في العاصمة كوالالمبور 1969 إلا أنها لم تستبطن البعد الديني، ولم تنشب بسببه، بل كانت بسبب فوز الحزب الصيني الماليزي بعدد كبير من المقاعد في الإنتخابات، وخروج المناصرين للإحتفال ،كان احتفالا بالغوا فيه بعبارات الإهانة للملاويين، والإحتقار وما تحمله من استفزاز جرّ يوم 13 ماي، إلى أحداث شغب مقصودة، بعد الإحتقان الذي ساد الحملة الإنتخابية، إذ يذكر محمد مهاتير أنه عندما وصل إلى كوالالمبور في الأيام القليلة التالية، بدت المدينة أشبه بساحة حرب، وقد صُدم لرؤية فداحة الأضرار، إذ اكتست مباني عديدة بالسواد بسبب النيران، وتناثر هياكل عدد لا يحصى من السيارات المحترقة التي سادت الشوارع ولم تزل أعمدة الدخان الأسود تتصاعد هنا وهناك، وبحسب التقارير الرسمية قتل أكثر من مائة شخص عامتهم من الصينيين[1] فيما استغلت الصحافة الغربية هذه الأحداث لتحكم على زعم استحالة توافق الصينيين والملايويين، وأن الإصلاح في ماليزيا بات حلما لن يتحقق في الواقع أبدا، وقد تكهنت بذلك أكثر من جهة ، منها المراقبون الأجنب الذين جزموا مصرحين أكثر من مرة، بأن الصينيين والملايويين لن يتمكنوا أبدا من العيش معا[2] وهو ما دأبت عليه الصحافة الغربية التي تنتظر أي حدث لتؤكدصحة طرحها، وصحة حكمها على المستقبل، وقد أعلنت عقب تلك الأحداثبأن الديمقراطية في ماليزيا ماتت، واعتبرت ماليزيا دولة نامية تضاف إلى باقي الدول النامية التي سينتهي بها الحال في النهاية إلى مزبلة التاريخ[3]، وهو استشراف سيتولى التاريخ الإنتهاء به في مزبلة التاريخ، لأنّه في الواقع مبني على حقد وذاتية تميزت بها الصحافة الغربية سعيا منها في بيان أن الاستقلال عن الغرب مجازفة ستدفع كل المستعمرات القديمة ثمنه، حروبا أهلية وطائفية وتناحرا يجعلها تتمنى عودة الدول الغربية التي كانت تستعمرها.

وكي ينهضبماليزيا،كان لابد لمحمّد مهاتير من نظر وتدبر ، ثم تخطيط وتنظير ليأتي التطبيق، وهو فعلا ما سعى إليه مهندس النهضة الماليزية، الذي لم يَخْفَ عليه أن رأسمال الدولة هو الإنسان، وصانع النهضة الأهم هو العامل البشري، وهو بذلك يوافق مالك بن نبي الذي يلخص معادلة الحضارة في كونها "كل ناتج حضاري تنطبق عليه الصيغة التحليلية

[1] محمد مهاتير:طبيب في رئاسة الوزراء، ص 247.

[2] المصدر نفسه، ص 247

[3] محمد مهاتير: الموسوعة، الإسلام والأمة الإسلامية ،المجلد1، ص 255.

الآتية: ناتج حضاري =إنسان+ تراب+ وقت "[1] والإنسان هو المحرك لباقي العناصر، ولابد من التركيز على الإنسان في أية محاولة للتغيير ومن ثم النهوض، لكن بعد تأهيل الإنسان محور الفعل والتأثير، ليكون نقطة الإنطلاق لاستئناف دورة حضارية جديدة، بعد خروجه وانتقاله من وضعية التخلف وما تحمله من أسباب وآثار، إلى وضعية التقدم أو التحضر وجاهز يته للأداء الناجح، الموصل إلى الأهداف المرجوة، ويصر مالك بن نبي على هذه المشكلة أي مشكلة الإنسان لأنها أصل المشاكل كلها، وإذا كنا نبحث عن حل فأي حل خارج المشكلة الأم لن نجني منه إلا مزيدا من إهدار الوقت والطاقات دون أثر يذكر، وطالما يعجز مجتمعنا عن التخلص من هذه الوراثة السلبية، والتي كانت سببا في نكباته اللاحقة، ويعجز أيضا عن إيجاد وصياغة إنسان جديد، بتعاليم الإسلام الحقة، ومواكبة المناهج الحديثة، التي تعيد إليه التوازن من جديد ليستطيع الإبداع والفعل، سيكون سعينا باطلا عديم الجدوى[2]، وأي إصلاح خارج الإنسان سيكون عبثا.

ومحمد مهاتير أدرك ذلك حين توجه في سياسته إلى إعادة صياغة الفرد الملايوي الذي وصفه بالكسل والتقاعس في كتابه "المعضلة الملايوية"، واهتم بتعليمه وتربيته حيث بات التعليم متاحا للجميع، مادام الدافع إلى الرقي والحراك الإجتماعي مع تأكيده على نوعية التعليم، فلا يكون التعليم لذاته، إنما يكون وسيلة إلى الإدراك والنظر والتعمق في الأنفس والآفاق، والإستعانة بكل ما يوصل إلى حل المشكلات ومجابهة التحديات، فيصبح استثمارا حقيقيا لدولة تريد النهوض المؤسس على التوجيه الصحيح، لأنه إذا حظي كل القاطنين في ماليزيا "بالتوجيه الصحيح" لابد من أن تصبح دولة عظيمة وستساعد على إبطال الإعتقاد الشائع بأنه لا يمكن الدول الإسلامية أن تصبح دولا متطورة مثل الدول غير الإسلامية ، ما يجعل الإسلام دينا مبجلا قويا[3]، وهنا نلاحظ الخصوصية الحضارية في فكر محمد مهاتير، وإرادة الندية للحضارية الغربية، إذ يريد أن تكون المفارقة واضحة والتكافؤ واضح، حتى لا يشعر المسلمون عامة والآسيويون وبالأخص الملايويون أنهم ملزمون بالتبعية للغرب، وهي أقوى النقاط التي كان يركز عليها في مشروعه وسياسته في إعادة تأهيل الإنسان الملايوي، وإعداده ليكون قادرا على تحمل مسؤولياته نحو نفسه وبلده ودينه وأمته.

[1] مالك بن نبي: شروط النهضة، ص 49

[2] مالك بن نبي: وجهة العالم الإسلامي1، ص 36-37.

[3] محمد مهاتير: طبيب في رئاسة الوزراء، ص 581.

إنها فكرة اقتنع بها مهاتير، مثل كثير من الأفكار في أذهان القادة، لكن صيرورتها واقعا يحتاج من صاحبها منهجا تصاغ به في مظاهر مختلفة من الأوضاع التي تجري في الواقع، فتكون حركة سارية في المجتمع من خلال تطبيقاتها وتجلياتها الملموسة، ليكون الحكم على الفكرة بعيدا عن منهج التطبيق حكما واهيا، وهو ما جعل فكرة مهاتير تنجح لإدراكه وجوب اختيار المنهج الصحيح الذي يدفع بها لتخرج إلى الوجود مشروعا حضاريا يتجاوز الحاضر إلى المستقبل، ويشتق منها خططا عملية صالحة للتطبيق، رفعت التعليم ليصل إلى إنتاج جيل يختلف عمن سبقوه، وقد شمل اهتمامه بالتعليم جميع المستويات.

2-معضلة ومخرج:

من أسباب نجاح أي خطة، أن تلقى المتابعة اللازمة، وما نراه يفسد المخططات في دول العالم النامي، مشكلة البيروقراطية، والتي تعطل مصالح كثيرة وتؤجل فاعلية الخطط والأفكار إلى أن يتجاوزها الوقت، لكن مهاتير كان قائدا ميدانيا، حيث يشرف بنفسه على القرارات ومدى تنفيذها، وضبط نتائجها ثم تحليل هذه النتائج والوصول إلى أسباب النجاح وأسباب الفشل، ومنه إتخاذ الإجراءات اللازمة، وفي حينها، خاصة إذا ظهرت نقائص، نراه يعجل بتداركها حتى لا تتفاقم.

وقد كان من بين المعيقات التي منعت الملايويين عن التفاعل مع باقي الإثنيات ومنها إلى الإندماج الإجتماعي، هي مسألة اللغة الإنجليزية، التي أقبل عليها الطلبة الصينيون والتاميليون وأحجم الملايويون عن استيعابها[1]، وهو ما أسهم في بقاء الطلبة الملايويين في عزلة وتأخر، لكن محمد مهاتير لم يقبل بالوضع، وبحث عن أسبابه فوجد أن اللغة أهم العوامل، إضافة إلى إحجام الملايويين عن التحسن فيها، وخشي أن توجد في الجامعات كيانات منفصلة وفضاءات إجتماعية متوازية وهو خطر على دولة متعددة والأعراق والإثنيات مثل ماليزيا. [2]

وبعد طول التفكير في المعضلة، اهتدى إلى مقاربة ذكية وهي إقامة مبان تضم عدة مدارس تسمى "مدارس الرؤية" وتتمثل في بناء مدارس للأعراق الرئيسية الثلاثة داخل حرم واحد، تجتمع في أنشطة مدرسية معينة، مع حضور الصفوف في مدارس منفصلة حسب اللغة المقررة لكل عرق.

---

[1] محمد مهاتير: طبيب في رئاسة الوزراء ص213

[2] محمد الصادق إسماعيل:محمد مهاتير والتجربة الإقتصادية، ص 129

ويكمن ذكاء المقاربة في أن يجد الطلبة من خلالها، يجدون أنفسهم ملزمين على الإندماج في فرق تنشط خارج الصفوف باسم المدرسة ككل، أو في نشاطات أخرى تابعة للمدرسة، وفعلا وجد الماليزيون -وأقصد الطلبة- أنفسهم تحت منهج ذا موجهات عامة تتعلق بإلزامية تعليم اللغة الرسمية للبلاد "الباهاسا ملايا"[1] إلى جانب اللغة الإنجليزية، بجانب السماح باستعمال لغات المجموعات العرقية في ماليزيا (الصينية والهندية التاميلية) وطرائق الإشراف التربوي والتوجيه الإجتماعي والديني، حيث يسمح بتقديم تعليم ديني للأطفال المسلمين منذ الصغر، يزودهم بالقيم التي تحدد تعاملهم في المراحل الدراسية كلها، بل وتستمر معهم إلى حياتهم العملية. [2]

المطلب الثاني: مهاتير والإصلاح:

1- إصلاح الإنسان مدخل حضاري:

الإنسان هو الذي يصنع الحضارة باعتباره طرفا مهما في معادلتها، والصانع لا يستطيع الفعل والإنجاز إلا على قدر معرفته ومهارته، ما يحدد سلفا نجاحه وتميزه أو إخفاقه في ذلك، ونحن إذ نأمل في إيجاد مخرج للأمة مما هي فيه، لا بد من التركيز على محور الحياة و الحضارة والوجود كله وهو الانسان .

والقرآن الكريم تتعدد آياته وتتنوع في بيان محوريته في الكون وأهميته عند الخالق جل وعلا، ومكانته بين الموجودات التي خلقت وسخرت له مثلما ما ورد في قوله تعالى﴿ وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آَدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا﴾[3] ويؤكد هذه المكانة قوله تعلى ﴿ وَسَخَّرَ لَكُمْ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مِنْهُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴾[4] وغيرها من الآيات الكثيرة ذات الدلالة المباشرة أو الإيحائية على أهمية الإنسان وخطورة المهمة التي كُلف بها في الكون، وهي الخلافة المتمثلة في الكون وعبادة الله بالمفهوم الواسع للعبادة، بيانا للهدف الوجودي للإنسان والذي يجب أن يكون قائما على تصور شامل، يبدأ من توضيح مهمته وينتهي ببيان الهدف منوجوده، ومنه فإن طبيعة الهدف الذي يوضع غاية لوجود الإنسان هي التي تكون محددة

[1] محمد مهاتير: طبيب في رئاسة الوزراء، ص241.

[2] محمد الصادق إسماعيل:محمد مهاتير والتجربة الإقتصادية ، ص 148

[3] سورة الاسراء، الآية: (70)

[4] سورة الجاثية، الآية:(13).

لمدى ما تكون عليه تصاريفه لحياته من تآلف، وما تتصف به من رشد فإذا كان الهدف بعيدا، حشدت الطاقات، وجمعت القوى في سبيل البلوغ إليه، وإذا كان قريب المنال صُرفت أجزاء من الطاقات والقوى فيما يناقض تلك الأجزاء المحشودة لبلوغه إذ حاجة الهدف غير داعية إليها[1]، لأن الغاية هي التي تحدد طبيعة ونوع الوسائل اللازمة لتحقيقها، كمن وضع هدفا لحياته حسابا عسيرا في حياة أخرى على ما أنجز من عمران وما حقق من خير، ومن وضع هدفا لحياته، وغاية لها، ما يناله من لذة يهدمها الموت[2] فإن الأول بطبيعة الحال سيجتهد بما يحقق له هدفه ويحكّم كل أفعاله بمعيار ذلك الحساب ولا يقتنع أبدا بما يقدم، فيظل يكدح كدحاً بتوجيه كل مجهوده في العمران، والمعاملة فيما يجعله فائزا في امتحان الحساب، والثاني سينفق من الجهد والكدح ما يحقق له هدفه القريب، فإذا بجهوده الحياتية تصرف فيما يناقض الوجود الإنساني أصلا، وفيها يطمس قيمة الإنسان ككائن سيد للكون، بما أوتي من ملكات مميّزة، وليس ما نراه في عالم اليوم من جهود جبارة تُبذل في امتلاك وسائل الدمار على حساب الجوعى و المحرومين من بني الانسان، ومن جهود أخرى تنصرف بها الطاقات إلى الإستمتاع الرخيص، ليس ذلك كله إلا شاهدا على أثر هذا الهدف القصير الذي وُضع غاية لحياة الإنسان في صيرورة مصارف نشاطه إلى التناقض فيما بينها من جهة، ومناقضة كينونته أصلا من جهة أخرى[3] والإنسان يهتدي إلى هدفه بقدر اهتدائه بالوحي الإلاهي، وقد تولى القرآن الكريم بيان هذا الهدف، وكذا المنهج الكفيل بتحقيقه ليترك للفكر الإسلامي فهم وتنزيل هذا كله في واقع الإنسان وحياته، بما يسدد خطاه، ويعينه على الإنجاز، وهو ما أردت الوصول إليه من ضرورة الإهتمام بالإنسان كأول خطوة لأي إنجاز حضاري، وهو ذات ما فعله النبي صلى الله عليه وسلم في المرحلة الأولى للدعوة، والسيرة النبوية تخبرنا أنه بقي ثلاث عشرة سنة يربي الإنسان، ويصلح إلى جانب عقيدته، سلوكه وكل حياته، ونحن اليوم نعيش ظروف المجتمع الجاهلي في معظم مظاهر حياتنا، ونحتاج إلى الإنبعاث والنهوض من جديد، بالإنسان وتحويله من كل عاجز إلى فاعل ومؤثر، حاجتنا في ذلك إعادة تنظيم طاقة المسلم الحيوية، وتوجيهها، وأول ما يصادفنا في هذا السبيل هو أنه

[1] عبد المجيد النجار: خلافة الانسان بين الوحي والعقل، ط3، 1425هـ -2005م، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، الولايات المتحدة الأمريكية، ص27.

[2] المرجع نفسه ، ص28.

[3] المرجع نفسه، ص28.

يجب تنظيم تعليمه القرآن بحيث تتنزل من جديد إلى الضمير المسلم الحقيقة القرآنية، كما لو كانت اللحظة، نازلة من فورها من السماء على هذا الضمير[1] لتكون دفعة الروح التي خبت بعد فترة من اشتعالها مع الرعيل الأول هي ما نحن في حاجة إليه، وهي لا تعود إلا إذا عاودت معاني القرآن نزولها في فهم المسلم وأثرها في قلبه وأخلاقه وحياته كلها، كما كانت حية مع الرعيل الأول أثناء تنزلها على قلب النبي صلى الله عليه وسلم، فيجعلها تسري في أرواحهم وعقولهم وحياتهم ليتحمل المسلم رسالته الجديدة في العالم، وبهذا يستطيع منذ البداية أن يحتفظ باستقلاله الأخلاقي، حتى ولو عاش في مجتمع مخالف لمثله الأعلى ومبادئه، كما أنه يستطيع أن يواجه- رغم فقره أو ثرائه- مسؤولياته مهما يكن نوع الظروف المحيطة به[2] ليتمكن من إنشاء وسطه الخاص شيئا فشيئا، حين يؤثر على الظروف الخارجية بحياة نموذجية ينتقل أثرها إلى ما عداها، كما كانت حياة عدد قليل من الصحابة الذين عاشوا حول النبي بمكة، أيام الإسلام الأولى، ومع ذلك تمكنوا من تغيير حياة الإنسانية[3] ليكون أن رأسمال النهضة هو الإنسان، وهو أهم طرف في معادلتها، وإذا أردنا التأكيد على ذلك عمليا يكفي أن نتأمل بعمق ما فعله محمد مهاتير رئيس وزراء ماليزيا، تصديا للأزمة التي كادت أن تعصف ببلاده ولنأخذ موقفه من التعليم كمثال إذ تذكر التقارير أن وضع التعليم في ماليزيا عام 1980 كان لا يزيد عن وضع التعليم في بعض الدول العربية، حيث الفوضى و الدروس الخصوصية وهروب الطلاب من المدارس وتردي مستوى التعليم الجامعي، فضلا عن عدم وجود مدارس في المناطق الريفية النائية، وعدم رغبة أولياء الأمور في دفع أولادهم إلى التعليم، لكن خلال عشر سنوات فقط تغير وضع التعليم في ماليزيا كليا بفضل السياسة التي وضعها مهاتير[4] وكانت سببا خلال عشرية واحدة في تغير ملامح المجتمع الماليزي لأنه وضع إطارًا فكريايحدد وظيفة التعليم من حيث إعداد المواطنين بصورة أكثر ديناميكية، وإنتاجية، وإنسانية، لمواجهة تحديات العصر، وتوفير الكوادر القادرة على العمل في الورش والمصانع، فضلا عن كوادر الخدمات الصحية و التعليمية و القضائية و الإعلامية، كما يهدف التعليم إلى إعداد الأفراد عقليا وروحيا وعاطفيا وجسميا إعدادا قائما على الإيمان بالله

[1] مالك بن نبي: ميلاد مجتمع، ص106.
[2] المرجع نفسه ، ص106.
[3] مالك بن نبي: وجهة العالم الاسلامي ، ص 106.
[4] عادل الجوجري: النمر الآسيويمحمد مهاتير، ص99.

وطاعته[1] لنستنتج أن نجاح الإستثمار في الإنسان أساس ضروري لأية تنمية تهدف إلى نهضة حضارية حقيقة .

وعليه يكون الإلتفات إلى الإنسان وبذل الجهد في إعادة تأهيله من جديد، عمل مُلّح تفرضه الحالة المزرية التي وصل إليها في عصرنا، سواء في العالم المتقدم إثر فلسفات الحداثة وما بعد الحداثة التي زادته تهميشا وأهملت جوهره الروحي، ومركزيته الكونية، أو في العالم النامي أو لنقل المتخلف والذي تاه فيه الإنسان بين أقطاب الجذب المختلفة، ولا سبيل له لاستنقاذ نفسه، إلا الرجوع إلى ما صلح به الأولون، لا ليكون نسخة متكررة، بل ليكون ثمرة أخرى من ثمار التربية القرآنية للإنسان وللمجتمع، ولا مناص لأي محاولة إصلاح من مراعاة أهمية الإنسان ومحوريته في أي عمل أو محاولة للنهوض، لأنه مدار الإصلاح إذ هو الفاعل والمنفعل، وهو أساس الإصلاح، فمنه يبدأ وحوله يدور وإليه ينتهي، وعلى جهوده يُبنى نجاح أية حضارة وبيديه تتشكل حلقات التاريخ الذي يخزن حركته وسكونه، وفعله وجموده، ليعرضه للأجيال اللاحقة، لعله يوجد من يواصل مسيرة الإصلاح ويحقق بداية شهود جديد.

2- المهمشون في المجتمع:

يتحقق التوازن الإجتماعي بتقليص الفوارق بين الطبقات في أي مجتمع، وذلك بإدماج الفئات المهمشة بسبب الجهل أو الفقر، في مختلف أنواع النشاط داخل المجتمع لتكون لكل فرد منهم عضويته في المجتمع، ويكون من حقه أن تؤمن له الشروط الأساسية للحياة الكريمة، ويكون المقابل لهذا الإنخراط تحمله لمسؤولياته الإجتماعية، بالسعي والعمل الجاد في أي موضع يكون فيه، ومنه فإن أية محاولة لتغيير المجتمعات، والرقي بها لابد أن تمر عبر هذا التوازن وتحاول محو الفوارق، الأمر الذي يجعل التفكير في أي محاولة للنهوض مشروعا يحمل عوامل الفشل في ذاته إذا تم بمعزل عن مراعاة هذا الإعتبار، الأمر الذي جعل محمد مهاتير يقيم رؤيته الإصلاحية أو منظومته الإصلاحية على ضرورة جعل أبرز أهداف العملية التعليمية، تحقيق توازن إجتماعي تذوب فيه الفوارق بين الطبقات عن طريق تعليم الفئات الأكثر جهلا وفقرا وتهميشا، وهم الملايويون المسلمون إذا ما قورنوا بالماليزيين من الأجناس الأخرى كالصينيين أو الهنود، الأمر الذي جعل محمد مهاتير ينتهج أسلوب التعنيف للملايويين المسلمين حتى يستفيقوا، ويحاولوا حجز مكانة مرموقة لهم في

[1] عادل الجوجري: النمر الآسيوي بمحمد مهاتير ، ص103.

المجتمع الماليزي، وإلا سيكون مصيرهم مزيدا من العزلة والتهميش إذ يذكر [1] أنه سعى جديا لدراسة محنة الشعب الملايوي، وحاول إيجاد علاج لهذا الوضع، بعدما حدد الأسباب الأساسية الكامنة وراء الإقصاء الذي يعيشونه، والمتمثلة في العوامل الوراثية والمعاهد التعليمية الضعيفة، وزواج الأقارب، والأمراض المزمنة مثل الملاريا والسل وسياسات الحكومات الإستعمارية، ليضع نصب عينيه الحلول الناجحة لمعالجة هذه الأعراض، وكان النجاح حليفه إذ أنه سعى إلى توفير وإتاحة التعليم للجميع، وتوفير الصحة للجميع أيضا لتقوية البنية الجسمية والقدرة على أداء الوظائف والأعمال المختلفة، وبدأ اندماج أعداد كبيرة من الملايويين في النشاط الإقتصادي للدولة بثقافة جديدة[2] تتقبل الآخر، وتسعى للعمل في مناخ اقتصادي صحي وسليم، كما كان قرار الحكومة بشأن خصخصة بعض المشروعات الإقتصادية الكبرى سببا في إعطاء دفعة كبيرة للملايويين بساعدتهم في الحصول على ملكية تلك المشروعات وإدارتها، وبالتالي ضمان بقاء الأصول والحصص في أيدي الملايويين، حيث شاركوا في ملكية الأسهم، والمشاريع وإدارتها، وقد تبنت الحكومة عدة آليات لتحفيزهم على التملك ومحاولة الإرتقاء ورفع مستواهم ليكونوا جنبا إلى جنب مع نظرائهم من الصينيين والهنود الذين أبدوا استعدادات ومهارات عالية في إدارة الأعمال وامتلاك المشاريع دون استثناء أو مفاضلة، وأيضا حثهم على امتلاك العلوم والتكنولوجيا وتبني السياسة الإقتصادية الجديدة، التي كانت أساسا للتنمية القومية بدعم الملايويين في كافة المجالات دون الإضرار بالعرقيات الأخرى.

وفعلا نجد اليوم الملايويين ناجحون في مختلف الأصعدة، إذ نجحوا في داخل ماليزيا، بإدارة المنشآت المختلفة بمهارة عالية،[3] لأنه لم يكن يوجد من الناحية الفعلية ملايويون يعملون في الصيانة أو المهن الأخرى قبل تطبيق السياسة الإقتصادية الجديدة- واليوم- إذا انقطع التيار الكهربائي أو تعطل مكيف هواء، فإن من يتولون مهمة التصليح والصيانة ملايويون، يعملون بهمة ونشاط، وكذا الأمر في باقي المنشآت الوطنية للسيارات أو النفط، بل وأكثر من ذلك، تم تعيين مدراء ملايويين في تنفيذ مشاريع كبرى وشركات ومصارف أجنبية كبيرة، وقد أبلوا بلاء حسنا مظهرين ثقتهم بأنفسهم، وفرضوا أنفسهم

[1] محمد مهاتير: طبيب في رئاسة الوزراء، ص 280

[2] عادل الجوجري: النمر الآسيوي محمد مهاتير، ص 102.

[3] محمد مهاتير: طبيب في رئاسة الوزراء، ص 281

على زملائهم الأوروبيين والآسيويين كنظراء لهم، واليوم يشغل هذا المجتمع الذي كان متخلفا يوما طائفة واسعة من المسؤوليات التي تتجاوز إطار المهن والتجارة، إذ أن إدراة البلاد بأسرها في أيديهم.

وجدير بالتنويه أن المجتمع إذا عزم على الإقلاع الحضاري، ووقف وقفة التأمل التي تُبَصِّرُه بطبيعة المرحلة الحضارية التي يشهدها، وكذا طبيعة ذاته، وأدرك متطلبات ما هو مقبل عليه، وتهيأت له قيادة حكيمة، مخلصة في السعي الجاد للخروج به من ثالوث الفقر والجهل والتخلف، فإنه حتما سيجد شرارة الإنطلاق، والأرض الصلبة التي يقف عليها لحظات ميلاده، نحو إقلاعه الحضاري الذي تتحقق به طموحات المجتمع في التحضر والإزدهار، وهو ما تهيأ لماليزيا، بصانع نهضتها الذي بدأ طبيبا معالجا لأمراض الجسد فاكتسب خبرة عالية في تتبع الأمراض، وتحديد مكامن الداء، ثم إيجاد العلاج المناسب له فأزال عن مرضاه آلامهم وأعاد عليهم صحتهم وعافيتهم، ثم انتقل إلى أمراض المجتمع فدرس، وتأمل، وتتبع مكامن داء الملايويين، وبجرأة وجدارة توصل إلى الأمراض التي تشل قواهم وتؤدي بهم نحو التقهقر والتخلف، فوصف لها العلاجات المتتالية، وأجرى جميع التجارب اللازمة، ودون كلل أو ملل توصل إلى برء بلاده واستعادة عافيتها وصحتها لتزاحم الدول المتقدمة في التصنيع والتكنولوجيا ومجالات الإزدهار والتقدم.[1]

3- المرأة والنجاح:

إن استبعاد المرأة من أي مشروع نهضوي، سبب للفشل مسبقا، والتفكير في النهوض بها وتأهيلها هو نقطة البدء في أي إصلاح، والنهضة العربية الإسلامية لا يمكن أن تبدأ من دون تطوير منظومة جديدة للتعامل مع قضية المرأة والأسرة، خاصة مع تزايد الهجوم على مؤسسة الأسرة في الآونة الأخيرة، من قبل النظام العالمي الجديد، لأن النظم الغربية بعد أن أخفقت في المواجهة العسكرية المباشرة مع شعوب العالم الثالث، قررت الإلتفاف واللجوء إلى الإغواء بدلا من البطش[2] ومن طرائق الإغواء ما يعرف بحركة "الفيمينيزم" أي التمركز حول الأنثى، وهي عملية إغواء، الهدف منها ضرب الأسرة باعتبارها تمثل قلعة المقاومة الأخيرة في العالم الثالث، لأن الأسرة هي الممر الآمن لمنظومة القيم و نشرها بين الأجيال.

---

[1] عادل الجوجري: النمر الآسيوي محمد مهاتير، ص122

[2] عبد الوهاب المسيري: الهوية الحركية الإسلامية، ص 63.

وهو أمر فهمه محمد مهاتير، وجعله من الركائز المهمة في نظرته للإصلاح إذ ركز على ضرورة تعليم المرأة انطلاقا من قناعته بدورها المهم في النهضة وأن تجاوزها في أي عملية للإصلاح تهور سيقود إلى الفشل حتما لأنها رقم مهم في معادلة النهوض، ويحث محمد مهاتير المسلمين على السعي إلى تحصيل شتى أنواع العلوم والمعارف ليخرجوا من حالة الضعف والفقر، ويتمكنوا من الدفاع عن دينهم، ومن أجل تحقيق هذه الغاية يجب على جميع المسلمين، ودون استثناء، وسواء كانوا ذكورا أم إناثا، أن يسهموا بجهودهم، لأن المرأة هي نصف المجتمع، وأن استبعادها عن المشاركة في الحياة العامة معناه أننا ننتقص نصف قوتنا المؤهلة للنهوض والعمل على تحقيق الغايات[1] وقد نالت المرأة في ماليزيا حظها في التعليم مثل الرجل، وتشير بيانات وزارة التعليم في ماليزيا لسنة 2000 [2] إلى زيادة حصتها في قطاع التعليم، ويعود ذلك إلى إهتمام الدولة بتعليم البنات، لأن نسبتهن بين السكان كبيرة، وكذا مشاركتهن في قوة العمل تكاد تعادل مشاركة الذكور، ومن مظاهر اهتمام الدولة بهذا الأمر، أن الحكومة تقدم قروضا بدون فوائد لتمكين الآباء من إرسال بناتهم إلى المدارس، وتوفير مستلزمات المدرسة، بينما يعطي الفقراء مساعدات مجانية في هذا الصدد، وقد آتت هذه الجهود أكلها إذ يتبين من خلال البيانات المشار إليها سابقا أن نسبة البنات في المدارس الإبتدائية بلغت 64,6% من نسبة الإناث في إجمالي عدد السكان، ونسبة الإناث في المدارس الثانوية بلغت 62,8%، في المدارس الفنية 41,9%، وأخيرا نسبة الإناث في الجامعات 54,9%، وتدل هذهالإحصائيات على إهتمام السياسة الماليزية بالإستثمار في البشر، دون إهمال المرأة إدراكا لدورها العظيم في الإسهام بالنهوض، وهو بالفعل ما يبدو واضحا من النجاح الذي بلغته ماليزيا في افتكاك مكانتها بين الدول المتقدمة.

[1] محمد مهاتير:الموسوعة،الإسلام والأمة الإسلامية،المجلد1، ص 312

[2] محمد الصادق إسماعيل:محمد مهاتير والتجربة الإقتصادية، ص 185.

المبحـــث الثاني

نظرة مهاتير للتعليم

إن أي محاولة للنهوض سيحكم على فشلها منذ الانطلاق إذا لم تولي العناية اللازمة للتعليم باعتباره عصب الحياة ورقم مهم في معادلة النمو والتقدم.

المطلب الأول: تنمية الموارد البشرية:

1- التعليم والتخطيط:

تخصص الحكومة الماليزية 18% من الميزانية القومية لقطاع التعليم تشمل جميع المراحل التي ذكرناها سابقا إلى جانب تشجيع البحث وتحفيز الطلبة والأساتذة على المشاريع الهادفة والنافعة، وهي مبالغ فاقت ميزانية وزارة الدفاع[1]، والتعليم في ماليزيا مجاني، إلزامي، ما جعل ماليزيا تحقق درجات عالية من القضاء على الأمية حيث بلغت نسبة المتعلمين من عامة الشعب حوالي 93,8% سنة 2000، وكان الإهتمام الأكبر بالطفولة، والتكوين والبحث، إذ تذكر التقارير الصدارة عن ماليزيا بأنها قطعت أشواطاً كبيرة في هذا المجال، مثلا ذكر تقرير أصدرته وكالة رعاية الأطفال التابعة للأمم المتحدة "اليونيسيف" نشر شهر ماي سنة 2001 أن ماليزيا واحدة من عدة دول آسيوية مارست الإستثمار الناجح في الأطفال[2] وتربيتهم من سن صفر وحتى ثلاث سنوات من خلال برامج مدروسة، ومخططة، لإهتمامها البالغ بضمان الرعاية الصحية، والتعليمية في السنوات الأولى من عمر الطفل، إذ قال د.سانتوش مهروترا: «معجزة العقل الصغير تبدأ في السنوات الأولى، فكل دولار تنفقه على الطفل فإن ذلك يحقق عائدا مقداره 7 دولارات وماليزيا واحدة من تلك الدول التي أدركت هذا الأمر جيدا» [3] وذلك لأنها أنفقت بسخاء على التعليم، ولم تكتف بالإنفاق بل رافقته بالمتابعة والتقييم والنقد الدائم، حيث أنها عقدت المؤتمرات وكثفت الدراسات التقييمية لإستراتيجية التعليم،وخلال عشرية واحدة بدأت النتائج تظهر على شكل تغييرات في المناهج، وطرق التدريس، والمنح الدراسية الكثيرة للطلبة الملايويين إلى الخارج نحو الشرق أو الغرب، ليكون بهذه السياسة الرشيدة

[1] محمد مهاتير: الموسوعة، المجلد 7، العلم والتكنولوجيا وقوق الإنسان، ص22

[2] عادل الجوجري: النمر الآسيوي محمد مهاتير، ص102

[3] ماجدة علي صالح: سياسة التعليم وتنمية الكوادر البشرية في ماليزيا، ص 101.

التعليم وسيلة للنهوض وليس غاية في حد ذاته، تديره إدارة مركزية قومية، تقوم على مستويات أربع هي: [1]

أ-**مستوى الوزارة**: إذ تتكفل وزارة التعليم بترجمة السياسة التعليمية إلى برامج وخطط ومشروعات تربوية، لتحقق من خلالها الأهداف القومية، وفق منهجية إتخاذ اللجان عند إتخاذ القرارات.

ب-**مستوى الولاية**: يوجد في كل ولاية ماليزية إدارة للتعليم، يرأسها مدير للتعليم يسهر على تنفيذ البرامج، والأنشطة التعليمية، والإشراف على المؤسسات التعليمية وشؤون الموظفين، والتسيير المالي وتطوير المباني، وهي ملزمة برفع التقارير، والمعلومات الدائمة إلى الوزارة، لإتخاذ الإجراءات اللازمة والمناسبة لنجاح العملية التعليمية.

جـ-**المستوى المحلي**: وهي مكاتب التعليم التي تتولى مهمة الوصل بين الوزارة والإدارة والمدرسة، فتسهل الإتصال بين الأطراف كلها للتنسيق والإشراف والمتابعة.

د-**المدرسة**: وهي المؤسسة التعليمية، ويتولى إدارتها مدير يشرف على شؤون المتمدرسين والمعلمين والعمال، يساعده جمعية أولياء التلاميذ، بالدعم والتعاون، لتحقيق الصالح العام للمدرسة، ومن ثم الدولة.

وتتميز السياسة التعليمية الماليزية بربط المدرسة بالمعمل، وهي فكرة ذكية اقتضت تخصيص المدارس الثانوية المهنية، حيث تتخصص كل مدرسة مهنية في صناعة معينة، ولابد من تواجد هذه المدرسة في محيط المصنع المتخصص في تلك الصناعة بهدف مساعدة الطلبة على اكتساب خبرات علمية، ومهنية، من خلال التدريب التطبيقي في موقع العمل فيتخرج الطالب وقد ألَمَّ بكافة المهارات المطلوبة، جاهزا للدخول في سوق العمل والإبداع في سبيل نمو وطنه وازدهاره[2].

و الملفت للإنتباه في هذه السياسة هو ظهور التخطيط، والدراسة الجيدة للأفكار التي يثبت تطبيقها أنها كانت تستحق الاهتمام بها .

[1] محمد السيد سليم: سياسة العلم والتكنولوجيا، برنامج الدراسات الماليزية، كلية الإقتصاد، جامعة القاهرة، 2008، ص 145.

[2] عادل الجوجري،:النمر الآسيوي، محمد مهاتير، ص 104.

وهكذا فإن إحدى سمات المجتمع الماليزي في عام 2020 هي[1] أن يكون مجتمعا متقدما من الناحية العلمية، منتجا وليس مستهلكا للتكنولوجيا، مسهما في الحضارة العلمية والتكنولوجية، هذه الرؤية ليست حلما، لأن ماليزيا أدركت أهمية العلم والتكنولوجيا منذ الإستقلال عام 1957، والعلم يعتبر تخصصا رئيسيا لتخريج القوى العاملة المؤهلة والمدربة على كفاءة علمية مدروسة ومخططة، وآثار السعي الجاد للنهوض بالتعليم، ومن خلاله بالدولة الماليزية، تبدو واضحة في انتقال، إعتبره الكثيرون طفرة، من مجتمع متخلف فقير، جاهل إلى نمر من نمور آسيا التي تزاحم الدول الغربية المتقدمة، وهو إثبات وبرهنة على أن الأفكار الجادة لا تفشل ولا تموت إذا وجدت من يطبقها بصدق وجد.

2- ضرورة الانتقال من علم الكلام إلى علم العمل:

إذا تأملنا البدايات الأولى لنشأة علم الكلام نجد من بين أهم أسبابها التصدي للهجوم على العقيدة الإسلامية، وما يستدعيه من سعي إلى حماية العقيدة من منطلق دفاعي تبريري، تميز بمنطق الرد والاستجابة للتحدي ويبدو ذلك جليا في مسائل علم الكلام، الذي كان له ما يبرره في مرحلة الهجوم على العقيدة الإسلامية إبان اصطدام الحضارة الإسلامية بحضارات الأمم القديمة وحاجة المسلمين إلى البرهنة بأدوات تلك الحضارات من فلسفة ومنطق[2] على المسائل المطروحة للجدل والنقاش آنذاك والتي لم يعرفها الجيل الإسلامي الأول رغم مفارقة التوحيد والشرك وتباعد أحدهما عن الآخر إلى درجة التضاد، كذا عدم الحاجة لديهم إلى الحجاج والإستدلال، لأن الإيمان والإعتقاد انطبع في نفوس المؤمنين الأوائل وتلقوه من النبي ﷺ من باب الخروج من الظلمات إلى النور، وكذا الخروج من الباطل والشرك إلى التوحيد والحق، ما لاقى لديهم قبولا واسعا، أحيا في دواخلهم فطرة الله التي فطر الناس عليها، وتكونت لديهم مرجعية عقدية أساسها الوحي، وغايتها توجيه الفكر والسلوك وقد ظل هذا المدلول العام للعقيدة هو المدلول السائد في أذهان المسلمين طيلة العهد الأول حيث لم يظهر تخصيص لهذا المدلول بمعان دون غيرها مما هو مطلوب من الدين على وجه القطع، سواء كان طلبه تصديقا بالقلب، أو تصديقا باللسان والجوارح، وقد بدا ذلك بينا في أقوال الصحابة و التابعين كما بدا في طيات المؤلفات العلمية للعصور الذهبية والتي امتزجت فيها أحكام الإسلام المتعلقة بقضايا

[1] محمد مهاتير، الموسوعة،العلم و التكنولوجيا وحقوق الانسان،المجلد 7 ، ص 34

[2] شلتاغ عبود: الثقافة الاسلامية بين التغريب و التأصيل، ص215.

الإيمان وأركان الإعتقاد مع أحكام العبادات والمعاملات المتنوعة، لتدل جميعها على أن الإسلام عقيدة وشريعة يتحقق فيه الإيمان بالعمل كما يقوم العمل أساسا على الإيمان[1]. والربط واضح بين العقيدةو السلوك خلال هذه الحقبة التاريخية، خاصة قبل توسع الحركة العلمية مع نهايات القرن الهجري الأول وبدايات القرن الثاني إلا أنه بعد تقدم الحركة العلمية، ونشأة العلوم المختلفة، ظهر " الفقه الأكبر" كما سماه أبو حنيفة[2] ونتوقف عند ملابسات وظروف نشأته ولو بإيجاز للتوضيح أنه نشأ لدواعي دفاعية فرضها الهجوم الناشئ إثر اصطدام الحضارة الإسلامية بحضارات الأمم القديمة، وحاجة المسلمين إلى وسائل دفاعية لرد الشبه والإدعاءات، وهو ما يلخصه تعريف علم الكلام من حيث كونه " علم يقتدر معه على إثبات العقائد الدينية بإيراد الحجج ودفع الشبه"[3] ومعها دراسة المواضيع ذات الصلة بالتحدي والتصدي إلى أن تم انغلاق هذا العلم على المسائل المطروحة والتي شكلت حدوده ومواضيعه، ليأتي عصر الجمود وتصبح قضايا الإيمان بالله و النبوة والوحي والملائكة والقدر وما يندرج ضمنها هي مدلول العقيدة في أفهام عوام المسلمين وحتى خواصهم، وهو انحسار تسبب في بعث النزعة التجريدية والتي من الطبيعي أن يتوقف بها دفع العقيدة وأثرها في النفوس، واقتصارها على الإعتقاد دون العمل وعالم الغيب دون عالم الشهادة،لأن الكلام لا يتصل في الواقع بمشكلة النفس، إلا في ميدان العقيدة أو المبدأ و المسلم لم يتخل مطلقا عن عقيدته، إذ ظل مؤمنا متدينا،[4] والإشكال المطروح في هذه الفكرة أن مجال الحديث ليس العقيدة أو الايمان في حد ذاته، فلم يتجرد المؤمن من عقيدته أبدا " لكن عقيدته تجردت من فاعليتها، بفقدانها التأثير والدفع الإجتماعي فأصبحت جذبية فردية، وصار الإيمان، إيمان فرد انقطعت صِلاته الاجتماعية"[5] وهو مكمن الداء لأن سلب العقيدة لتأثيرها الفاعل في النفوس، وانحسارها في طروحات كلامية لا صلة لها بواقع الأمة، هو ما حذر منه الله تعالى في كتابه العزيز ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ (2) كَبُرَ مَقْتًا عِنْدَ اللَّهِ أَنْ تَقُولُوا مَا لَا**

[1] عبد المجيد النجار: مراجعات في الفكر الاسلامي، ص16.
[2] طه عبد الرحمن: تجديد المنهج في تقويم التراث، ص 142.
[3] المواقف، عضد الدين الايجي، ط بولاق القاهرة 1913م، ج1، ص14.
[4] مالك بن نبي: وجهة العالم الاسلامي، ج1، ص53-54
[5] المرجع نفسه، ص:54

﴿تَفْعَلُونَ﴾[1] وهو تحذير يوقظ في وعي المؤمن خطورة المفارقة التي يتحملها ذهنه حال الفصل بين عقيدته وأثرها في سلوكه، ليتمثله أحد أسباب ما آل إليه حال الأمة، التي رغم بقاء العقيدة في النفوس إلا أنها في حالة من التخلف والهوان، يجعل اعتبار أحد عوامل الدفع بالأمة نحو التعافي، و العودة إلى الحياة، إعادة ضبط فهم المسلمين للعقيدة الصحيحة، ثم تفعيل أثرها في التوجيه نحو الدور الإنجازي، والمهمة العملية التي ينبغي أن تتبناها من جديد " وعليه فليست المشكلة أن نعلم المسلم عقيدة هو يملكها، وإنما المهم أن نرد إلى هذه العقيدة فاعليتها وقوتها الإيجابية، وتأثيرها الإجتماعي، وفي كلمة واحدة: إن مشكلتنا ليست في أن (نبرهن) للمسلم على وجود الله، بقدر ما هي في أن نشعره بوجوده، ونملأ به نفسه باعتباره مصدرا للطاقة"[2] ولا تكون العقيدة مصدرا للطاقة إلا حين تسترجع دافعيتها الحضارية في النفوس كما كانت أول مرة واصلة بين عالمي الغيب و الشهادة، وبين العلم والعمل، حينها تكون عاملا من عوامل الدفع بالأمة نحو الرقي المعنوي و المادي و يتم ترشيد تحملها لمدلول العقيدة وتوسيع هذا المدلول في الأذهان حتى يشمل دائرة من المسائل أوسع من التي يشملها الآن، ولتكون صورته في النفوس كحقيقته في الواقع كما جاء في القرآن الكريم والحديث، وكصورته التي كان عليها في أذهان أوائل المسلمين حينما كانوا يفهمون انطلاقهم في الآفاق لنشر الدعوة و تحرير العباد من الإستبداد، والتعمير في الأرض على أن كل ذلك يندرج ضمن مدلول العقيدة، فكان انطلاقهم فاعلا، وإنجازهم الحضاري مشهودا، وما كانوا في ذلك الفهم لمدلول العقيدة إلا منطلقين من روح القرآن والحديث في توسيع هذا المدلول إلى دائرة أرحب، تستوعب تعاليم الدين ببعديها النظري والعلمي معا[3] ، وسيبقى حال الأمة على هذا المستوى من التخلف و التبعية والهوان، بل سيزداد كلما أزداد غبش الرؤية وخطأ الفهم الصحيح للعقيدة ومدلولاتها التي يجب أن تستغرق الحياة البشرية بكل جوانبها وإلا فحال المسلمين اليوم سوف يستمر على ما هو عليه ما داموا مستمرين في رفض تعاليم الإسلام الصحيحة التي تكسبهم القدرة على الدفاع عن أنفسهم، وتجعلهم يسعون لاكتساب المعارف التي تؤهلهم لذلك، وسوف يبقى الحال كذلك، طالما أن المسلمين لم يعملوا لدنياهم ولآخرتهم

[1] سورة الصف، الآيتان: (2-4)

[2] مالك بن نبي: وجهة العالم الاسلامي، ج1-ص54.

[3] عبد المجيد النجار: مراجعات في الفكر الاسلامي، ص19.

والتزموا بأوامر الإسلام وابتعدوا عن نواهيه، وجعلوا السعي والعمل هدفهم، وتقوى الله عز وجل دستورهم[1] ولا يكون المخرج من هذا الوضع إلا بالعودة إلى علم العمل عبر تفعيل العقيدة في النفوس والسلوك، وتوسيع مدلولها –كما كان– شاملا لمسار الحياة، وكذا تعدي البعد الغيبي لدلالة علم العقيدة إلى البعد العملي المتعلق بأوجه الحياة الفردية و الجماعية في مختلف مناحيها، عبر منظومة فكرية سليمة نظرا لارتباطسلوك الإنسان في الحياة بتفكيره ارتباطا وثيقا، و أفعاله ناشئة عن اعتقاداته، وأقواله إعراب عن تلك الاعتقادات[2] وهو يضمنالنجاح لأي إصلاح، عندمايترجم الفكر إلى عمل، و العقيدة إلى سلوك فيزول الركود الذي يسود المجتمع، ويعيد للعقيدة الموجودة حقيقتها وفاعليتها المفقودة . ومنه يكون أخذ هذا العامل بالجد الكافي يضع اليد على سبب من أسباب الوهن الحضاري الذي نعانيه، ليكون انطلاقا لمعالجته معالجة جادة، وجزءًا مهما من الحل لمعضلة الإنبعاث من جديد.

المطلب الثاني: دور التربية:

1- تربية الإنسان ضمان للتحضر:

ما تم طرحه من أفكار سابقا لا تتحقق فائدته إلا بتنزيل الأخلاق على أفعال الإنسان، وصياغته بها لتمكينه من الإنتقال إلى صفةالتحضر وامتلاك مؤهلات الآداء الناجح لوظيفته الوجودية، ساعيا إلى تحقيق إنسانيته عبر هذا الآداء.

ومنه فإن بناء المجتمع المتحضر لابد أن يمر ببناء إنسان[3] مستعد للدخول في دورة حضارية جديدة، ولا يتم له ذلك إلا بتربيته، باعتبارها البيئة التي تتوفر فيها شروط هذا التحضر، ومن ثم المناخ الذي تنمو فيه شخصية الإنسان متشربة معاني الحياة والخير والصلاح، وفن التعامل مع الآخرين لأنّ : "الحضارة هي تعليم الإنسان فن الحياة مع الغير من أجل التعاون على إنجاز الوظيفة التاريخية المشتركة"[4] والتربية إنما تهدف إلى تأهيل الإنسان بترسيخ قيم الخير والصلاح في نفسه، وتوجيهه إلى ما يتحقق له ولمجتمعه من

[1] محمد مهاتير: الموسوعة، المجلد1: ص171

[2] ابن باديس: مجالس التذكير من كلام الحكيم الخبير، جمع محمد الصالح الصديق، وتوفيق شاهي، ط3، دار الفكر بيروت،1979، ص154.

[3] محمد مهاتير: الموسوعة، الإسلام والأمة الإسلامية،المجلد 1، ص261.

[4] مالك بن نبي: ميلاد مجتمع، ص 99

الفائدة من جراء ذلك، ثم تنمية مواهبه واستعداداته ليكون فعالا في الحياة، وهذا التأهيل لا يؤتى أكله الطيب إلا بإعداد الإنسان على القيم والأخلاق الكريمة التي تسمو به نحو تحقيق معاني الكمال الإنساني، عبر الترقي الفردي والجماعي معا، من خلال حركة دائبة ومتجددة نحو المقصد الأسمى لوجود الإنسان كفرد، ووجود الأمة، وشهودها على غيرها من الأمم، إنه الأمر الذي ركز عليه الرسول ﷺ في بدايات دعوته الأولى وهو يتلقى القرآن في مكة، لفترة دامت ما يقارب الثلاث عشرة سنة، لم ينزل فيها تشريع، إذ نجد آيات القرآن وسوره آنذاك ركزت على تصحيح العقيدة وترسيخ مكارم الأخلاق، ضمن تربية إنسان الرسالة، وإنسان الخلافة في الآن ذاته، باعتبار أن الشريعة كانت -في وقتها- نقلة نوعية ضخمة نقلت الإنسان من جاهليته التي كان يعيش فيها إلى قيم ومبادئ ونظام لم تكن وتخطر في بال أحد في ذلك الحين، ورفعت الإنسان من وهدته التي كان جاثما فيها إلى آفاق أعلى بكثير مما تملكه البيئة، وتملكه النظم والثقافات السائدة يومئذ[1] ومعلوم أن الإسلام لم يأخذ من النظم والثقافات الموجودة آنذاك بل انفرد بما عجزت أن تأتي به هي لإصلاح الإنسان، ما جعل منهجه متميزا عن سابق المناهج ولاحقها، مهتما بتربية الإنسان الذي يعتبر سيدا في الأرض، تصلح الحياة بصلاحه وتندفع نحو الرقي والإزدهار أما فساده وخرابه، فيجر العالم إلى ظلام دامس، ويؤد سبه إلى شفير الهاوية، والإنسان عندما يهوي ويفقد الرؤية، يتحول هو نفسه إلى عامل هدم لنفسه ولمجتمعه ولحضارته[2] ومنهفأي بناء خارج الإنسان لن يقدم للإنسانية شيئا، وأي إهمال لتربيته سيتسبب في فساد كبير ، ولنا في هدي الأنبياء ومهامهم عبرة، حيث نجدهم صرفوا كامل جهودهم واهتمامهم إلى بناء الأخلاق وتشييدها في النفوس لإدراكهم أن مستوى الأمة الخلقي هو الذي يعيّن مكانها في سلم الحضارة كما يحدد قوتها، فإذا ما انحلت أخلاقها انحلت عرى بنائها الإجتماعي[3]، لتكون القيم والأخلاق هي روح الحضارة، وزاد نهضتها.

ولما كان الإنسان لا يحقق من إنسانيته إلا بقدر ما يحقق من تخلقه وتمسكه بالقيم والأخلاق الفاضلة، وجب توجيهه نحو الفضائل والخير وهو ما ركز عليه الرسول ﷺ في الفترة الأولى من دعوته، ليعد إنسان الخلافة من جهة، ويعلمنا الطريق الصحيح لتربية

[1] محمد قطب: هذا هو الإسلام، ط1 2008م، دار الشروق القاهرة، ص 13

[2] عامر الكفيشي: حركة التاريخ في القرآن الكريم، ص 197.

[3] غوستاف لوبون: روح التربية، ترجمة عادل زعيتر، دار إحياء الكتب العربية، القاهرة، 1949، ص 337.

الإنسان والوسائل المؤدية لهذه الوظيفة من جهة أخرى، وتحقيق حاجته إلى التخلق التي يرتفع بها عن البهيمية إلى الإنسانية والرقي نحو الكمالات،التي يدركها المتخلق الذي يطمع دائما في ربط الإنسان بآفاق تتعدى أفق الإنسان العادي كأفق الأنبياء والصالحين والملائكة المقربين، سعيا نحو الحضرة الإلاهية نفسها، ومن كان سعيه الدائم هو الإرتقاء بالأفق الإنساني، فلا بد أن يمتلك نظرة إلى الإنسان تشملما فيه الخير لهذا الإنسان وتسمو بقيمه إلى أكمل الدرجات[1] فالإنسان مركوز في فطرته أن يسعى نحو قيم الخير، والتربية الصالحة بغرس الأخلاق الطيبة فيه لتثمر إنسانا مؤهلا يحيا عصره بفاعلية أخذا وعطاءا، فعلا وانفعالا وهو ما فعله النبي ﷺ مصداقا لقوله تعالى﴿هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ ﴾[2] وكانت النتيجة جيلا لم يتكرر، من المؤمنين الصالحين حوله الرسول ﷺ إلى طاقة حيوية فردية واجتماعية تخدم المقاصد العليا للوجود البشري ضمن توازن نفسي، وتشبع روحي بالله تعالى، واستقامة خلقيه مكنتهم من توجيه مراكز القوى آنذاك نحو التوحيد، وقيادة البشرية إلى قيم الحق والخير المنشود.

هكذا تتجلى لنا قيمة الأخلاق ودورها في التربية من أجل صياغة الإنسان،وتأهيله لدخول التاريخ والتأثير في الأحداث فعلا وتوجيها، إذ بدون هذا البعد القيمي تضيع إنسانيته ولنا في الإنسان الغربي الذي وصل مستغنيا عنه إلى تدمير نفسه والكون من حوله، بعيدا عن الضوابط الخارجية عنه، فهو الذي أراد أن يميع الأخلاق، ويخضعها لهواه فيُحسِّنُ منها ما يشاء ويرفض أو يقبح منها ما لا يوافق أهواءه ونزواته، بدلا من إخضاع سلوكاته وأهوائه إلى ضوابط خارجية عنه، لا يتحكم فيها هو، بل هي التي تضبط أفعاله وتصرفاته، تكون مرجعيتها أعلى وأقوى منه وأدرى بما يصلحه ويصلح له، وإلا يكون كمن يصنع إلاها بيديه، يعبده ويعظمه وإذا مل منه غيره، أكله، أو رماه.

وكذا يكتمل تصورنا لأسس الإنبعاث الحضاري التي وضحها القرآن الكريم والسنة المطهرة، انطلاقا من العقيدة وضرورة تفعيلها لإستعادة قوتها الدافعة في النفوس، والرقي بها إلى مقامات الكمال، وتنزيلها منزل الوقود الحضاري اللازم، والعدة الدائمة لإصلاح الإنسان، وتقويم أفعاله وسلوكاته، ثم دور الإعتبار من دروس التاريخ في توضيح معالم

[1] طه عبد الرحمن: سؤال الأخلاق، ص 88.

[2] سورة الجمعة، الآية: (2)

الطريق للإنسان والأمة وتجنيبهم دفع الأثمان مكررة، لأخطاء من الممكن تجنبها بتوظيف النظر والتفكر، ووصولا إلى ضرورة انضباط أفعال الإنسان وتصرفاته بالمنهج القرآني من خلال منظومة قيمية مستعلية عن الإنسان، وغير خاضعة لأهوائه، ونزواته وهي أسس كفيلة بوضع قدم الإنسان على طريق النهوض وبتظافر الجهود يتحقق الإمكان في إنبعاث دورة حضارية جديدة بإذن الله.

2- **علاج المرض بدل الاهتمام بأعراضه:**

طرحنا فيما سبق إشكال فشل الحركات الإصلاحية المتعاقبة منذ ما يقارب الثلاثة قرون من الزمن، وأسباب الفشل متشعبة ومتشابكة يكون على خطأ من يدعي أنه يمكنه حصرها وتعدادها، لكن يمكن تقصي هذه العوامل من خلال الإطلاع على الدراسات الحضارية، وما توصل إليه المفكرون في محاولاتهم تحليل أسباب استمرار الأزمة الحضارية الإسلامية، وعدم قدرة الأمة على استعادة مكانتها من جديد كأمة جعلها الله تعالى خير أمة في قوله ﴿ وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا ﴾[1] وهو جعل لا يتحقق إلا بسعي الأمة وبذلها الجهد اللازم لاستحقاقه وفق سنن وقوانين لا يحصل في الواقع بدونها، فالجعل الذي ورد في الآية جعلا للوسطية و الشهادة على الناس ليس كما يتبادر إلى بعض الأذهان، جعلا تتحتم به في الواقع الوسطية والشهادة، فتكون به الأمة شاهدة على الناس في كل الأحوال، ومستحقة بذلك المدح والتمجيد في كل الأحوال أيضا. بل هو جعل تكليفي، على معنى أن الأمة جعلت مكلفة بالوسطية والشهادة، فإن هي وفت بذلك التكليف تحقق لها الشهود الحضاري فاستحقت المدح والتمجيد، وإن هي أخلت به تخلف ذلك الشهود فلا تستحق منهما إلا بقدر ما هي أمة مسلمة بإطلاق، ويلحقها من المؤاخذة بقدر ما تخل به من السعي الشهود الحضاري[2] وعليه فالأمة مطالبة بالسعي والترقي في درجات العمل والصلاح من أبسط صوره إلى أعلاها، وقد صور مهاتير محمد قيمة العمل و الكد وآثاره الطيبة على التدين وممارسة العبادات المتنوعة بين الماليويين بأنه السبب في تيسير سبل أداء العبادات المختلفة على المسلمي، متمثلا فيما وصل إليه الإنسان، من ابتكارات وإبداعات مختلفة،

[1] سورة البقرة، الآية: (143)

[2] عبد المجيد النجار: الشهود الحضاري للأمة،فقه التحضر، ج1، ص11.

في وسائل النقل والتكنولوجيا وغيرها[1] وهو هنا يشير إلى ضرورة التكامل المعرفي المؤدي إلى نتائج فعلية في حال صحة المنهج المتبع الموصل إلى الغاية المرجوة ويضرب لنا مثالا توضيحيا يصور العلاقة بين أشكال المعارف المختلفة وطقوس العبادة في الاسلام في ماليزيا هو "مشروع ري مودا"، وهذا المشروع أعتمد على دراسة اجتماعية اقتصادية لمجتمع الفلاحين في منطقة زراعة الأرز في ولاية كيداه[2] مع العلم أن هذه الولاية عرفت بالفقر والحاجة نتيجة اعتماد سكانها على الزراعة البسيطة للأرز وكانوا مسلمين ويعيشون في ظروف صعبة لكن بعد ذلك تم تخطيط مشروع للري بواسطة خبراء في هندسة الري وغيرها من تخصصات أخرى، ثم درس خبراء المال والبنوك، المشروع وأوجدوا الوسائل لتدبير 340 مليون دولار لتمويل هذا المشروع العملاق، وقد شارك في بنائه مئات الهندسيين، ورجال الأعمال والعمال المهرة وغير المهرة والموظفين[3] أي السعي الجاد للتغيير وتمثل قوله تعالى ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ﴾[4] لأن التغيير منوط بالسعي الجاد وبذل الوسع لإدراك النجاح باستخدام أنواع مختلفة من المعدات والأساليب الفنية المتقدمة[5]ليظهر لنا أخذه بالأسباب وفهمه للتدين الذي كان واضحا، وإذا قلنا التدين فنعني إقامة الدين وهو واجب كلفنا الله تعالى به في قوله﴿أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ﴾[6]أي طالبنا بجعل الدين منهج حياة، وآلية للطاعة الكاملة لله، والتي ترفع الإنسان والأمة إلى مرتبة الشهود فيتحقق بها تحضره، هذا حتى لا ينحسر التدين في عدد من الطقوس والشعائر الميتة والتي تهدد التدين، وتفرغ الطاعة من محتواها وجوهرها، لتغدو مجرد طقوس شكلية ورموز جوفاء خالية من الروح التي تجعلها روافع يسمو بها المخلوق نحو الحضرة الإلاهية وقد تحررت نفسه من قيود الدنيا ومغرياتها وتوجهت إلى الله بالطاعات المختلفة والمناسك المتنوعة التي تترك آثارها في نفسه لتتحقق لها الحياة وجوارحه ليتحقق لها الصلاح تحقيقا لقوله تعالى ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا

[1]محمد مهاتير:الموسوعة، التحدي، المجلد2، ص44.
[2]المصدرنفسه ، ص44.
[3]المصدر نفسه، ص44.
[4]سورة الرعد، الآية: (11)
[5]محمد مهاتير:الموسوعة، التحدي، المجلد2، ص44.
[6]سورة الشورى، الآية:(13).

يُحْيِيكُمْ﴾[1] وإذا كان العصر الذي نعيش فيه يتميز بتعاظم وطغيان المادة على النحو الذي يتجاهل الإرادة والضمير الإنساني، فإن الحاجة تتزايد للتدين الذي ينمي الضمير الإنساني في مواجهة تحديات المادة و الآلة [2]، و هو الأمر الذي أراد محمد مهاتير التأكيد عليه للدلالة على أن أحد عوامل نجاح التجربة الماليزية هو فهم التدين الصحيح، وجعل الإسلام منهج حياة، مستدلابمشروع "ري مودا" الذي حقق نجاحات متعددة منها تضاعف إنتاج الأرز ونتيجة لهذا المشروع تضاعف إنتاج الأرز، وأصبح من الممكن جمع الكثير من أموال الزكاة وأستطاع عدد كبير من المزارعين أن يؤدوا فريضة الحج، كما نتجت عنه فوائد أخرى كثيرة متعلقة بالدين، وفي النهاية أصبح بإمكان المزارعين المسلمين أن يعيشوا ويموتوا في ظروف عمل أفضل، وسعادة أكبر كما هو مطلوب في الإسلام[3] لنخلص بعد هذا المثال المهاتيري إلى ضرورة سعي الأمة لاستعادة فاعليتها في التاريخ، واستئناف دورة حضارية جديدة، وهو ما لم يتحقق حتى الآن رغم الجهود الإصلاحية المتتالية، ويكون من اللازم البحث عن أسباب هذا الإخفاق الذي لا تلقى اللائمة فيه على المصلحين، بل تلقى على من يأتي بعدهم وتترتب مواصلة هذه الجهود المخلصة حتى تحقق الأمة ما تصبو إليه والبحث عن مكمن الخلل، وكانت فعلا دراسات متعددة في هذه المسألة لكنها تاهت هي أيضا وتنكبت عن العوامل الحقيقة، وقد أشار مالك بن نبي إلى هذه القضية بمعالجة تستحق الوقوف عندها، وهي انشغال الباحثين والمفكرين بقضايا فرعية تاركين القضية الجوهرية، ويعتبرهم كالطبيب يترك المرض ويهتم بمعالجة مضاعفاته وأعراضه إذ يقول: " وقد نتج عن هذا أنهم منذ خمسين عاما لا يعالجون المرض، وإنما يعالجون الأعراض"[4]، ثم يضرب مثلا بطبيب عرضت عليه حالة مريض بالسل الجرثومي، فراح يبحث عن طرق تسكين هيجان الحمى بدل البحث في المرض ذاته والعلاج الذي يحقق له الشفاء والبرء من المرض، وهذا يعتبر في الطب تشخيص خاطئ للمرض، فالحمى عارض عن أعراض المرض ودليل عليه، ولعلاج الحمى لا بد من معالجة المرض نفسه، وهو ما قامت به الحركات الاصلاحية طوال القرنين أو الثلاث، إلا أن الخطأ في التشخيص لا يعني

[1] سورة الأنفال، الآية:(24)

[2] محمد عمارة: فقه الحضارة الاسلامية، ص46.

[3] محمد مهاتير:الموسوعة، التحدي، المجلد2، ص44.

[4] مالك بن نبي: شروط النهضة، ص45

بالضرورة الخطأ في المنطلقات، لكنه يعني عدم اكتمال التشخيص والفحص والتدقيق[1] والتشخيص الجيد لحال الأمة يكون بالرجوع إلى التاريخ، و الوقوف على حقائقه بدقة لتتبع عوامل وهن الأمة الإسلامية وأسباب كلاتها عن الفعل والتأثير، ثم الربط بينها لإدراك أهم الأسباب لذلك، ومن ثم تتضح الرؤية ويمكن تصور بداية الحل،كما يرجع مالك بن نبيأي تصور للحل بالرجوع إلى التاريخ، واستلهام الدروس والعبر منه، ولنا في تاريخنا العديد من الدروس كما يستدل بمعركة صفين ويجعلها بدايةً لكل مآسي الأمة لاحقا، إذ أخرجت العالم الإسلامي الفتي من جو روح المدينة المنورة إلى جو مادي فترت فيه تأثيرات الروح بدمشق أين أصبحت السيادة للترف وغياب الوازع الإيماني[2] وهو يعتبر هذه النقطة تحولا مفصليا في تاريخ الأمة الإسلامية، إذ يلاحظ أن معركة صفين التي انقلبت بها الخلافة الراشدة إلى ملك عضوض، لتترتب عليها المآسي اللاحقة، و تبدأ أجنة الضعف والأفول الحضاري في التكون والنمو، لتولد حينما تكتمل الشروط وتتهيأ لها الظروف، وقد أفرز هذا التحول السياسي واقعا اجتماعيا وثقافيا جديدا، بدأت الروح تفقد سيطرتها على العقل وكان الفقد في البداية ضئيلا، لكنه بقي يتكاثر ويعظم حتى حصلت النكبات، وقد تكرر هذا الأمر مرة أخرى حيث يعتبر سقوط الأندلس حلقةً أخرى من الحلقات المتكررة في التاريخ الإسلامي، ويعتبره مأساة كبيرة لأنه في حقيقته ليس سقوط دولة، بل هو سقوط حضارة، كان من الممكن أن تصلح العالم، وكون حضارة كونية، تسمو بالإنسان وبالقيم، وعلى العكس من ذلك كان سقوطا دفع ثمنه شعبٌ بأكمله اقتلع من جذوره، وعان الويلات والإبادة، بالتقتيل والتشريد والتعذيب المرعب[3] وسقوط الأندلس رغم تعدد أسبابه وعوامله إلا أن الأهم منها هو البعد عن روح الإسلام وتعاليمه، والإنغماس في التقدم العمراني المذهل والمبالغة في الرفاهية والترف إلى حد كبير، و القرآن الكريم يعلمنا أنه ما من أمة من الأمم السابقة هلكت بسبب قصور عمراني، وإنما بسبب الحيدة عن منهج الله –تعالى– واستدبار رسالات الأنبياء– عليهم السلام – وينبغي تحديد نقطة مهمة في هذا الطرح وهي عدم إرتباط سقوط الأندلس بالمبالغة في التشييد والعمران، بمعنى أن السبب في ذلك يكمن في كون بناء الأبنية الفخمة في الأندلس

[1] عبد الحميد أبو سليمان: أزمة الإدارة والوجدان المسلم ، ص30.

[2] مالك بن نبي: شروط النهضة، ص52-53.

[3] عبد الكريم بكار: المشروع الحضاري، ط1، 1431هـ -2010م، دار السلام، مصر، ص 97

قد تجاوز حدود الخيال بسبب الأموال الهائلة التي أنفقت فيها، وكان ذلك مصادما للبنية العميقة للتدين الحق، ومخالفا لكل الأدبيات التي تهوّن من شأن الدنيا وترغّب في الآخرة، ولنا أن نسأل عن أعداد الفقراء الذين تم اقتطاع تكاليف أشكال الرفاهية من قوتهم اليومي، ومن حصتهم من ناتج البلاد الأندلسية وخيراتها وإ ذا رجعنا إلى حقيقة عمارة الأرض التي جعلها الله وظيفة الإنسان على أساس إيماني أخلاقي تعبدي محض، نجد المفارقة واضحة بين العمارة المطلوبة في الإسلام ببعديها المادي والأخلاقي، وبين ما كان يجري في الأندلس، من عمارة ذات بعد واحد وهو البعد المادي ودافعه المتمثل في أن أكثر الأبنية والمشروعات العمرانية تمت في سياق التنافس في إثبات الذات و الغلبة على النظراء، وسياق التفاخر و التكاثر، فهي من ثم شواهد تراجع حضاري أكثر منها أمارات نهوض وتقدم[1] وهو ما يشير إليه مالك بن نبي في تحديد مراحل الحضارة، بمرحلة الغريزة التي تؤذن بالزوال،ودليله حقيقة الترف في الأندلس إذ أنّقصر الزهراء- مثلا- والذي أشتغل فيه عشرة آلاف رجل و ثلاثون ألف دابة، والذي كانت سواريه- كما زعموا- من الأنواع الفاخرة من مواد البناء، والحجر الشفاف، وكانت رؤوسها مرصعة باللؤلؤ و الياقوت، هذا القصر منسوب إلى الزهراء حظيّة عبد الرحمن الناصر، و هو آية في الإتقان والجمال لكن تختفي فيه كلّ صلة بتديّن أو رجولة أو إصلاح[2] ليكون هذا المثل تأكيدا لسنتي قيام و سقوط الحضارات، ويرجع بنا إلى ما بدأنا به العنصر، وهو أن النجاح في معالجة المرض هو حسن التشخيص، ثم الاهتمام بمعالجة المرض نفسه عوض الإنشغال بتسكين الألم ومتابعة الأعراض لتكون فتنة صفين هي فعلا رأس الداء وبداية نمو أجنّة السقوط، وعلى رواد الحركات الاصلاحية ورجال الفكر أن يعيدوا قراءة التاريخ للوقوف على سنن الماضي، وهي سنن لا تتغير لقوله تعالى :﴿ سُنَّةَ اللَّهِ الَّتِي قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلُ وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلًا﴾[3] ثم إمعان النظر والمقاربة بينهما وبين الأحداث المختلفة، والحفر في ذاكرة الزمن حتى إدراك العلل الحقيقيّة والأمراض التي أصابت جسد الأمة تباعا، فإذا تم التشخيص بالطريقة الصحيحة، وعُرف المرض، سهل حينئذ الشروع في إيجاد الدواء من أمهر الأطباء وأكفأ الصيدليات، ولن يكون إلا من هدي القرآن الكريم والسنة النبوية الصحيحة، ويكفي الأمّة

[1] عبد الكريم بكار: المشروع الحضاري ، ص98

[2] المرجع نفسه، ص99

[3] سورة الفتح، الآية: (24).

تضييعا للأوقات والبحث في المسكنات التي لم تزد المرض إلا تفاقما، مادام العالم يعالج أمراضه المتّصلة ببعضها، علاجا انفراديّا، يقوم على المسارعة إلى تسكين الآلام هنا و هناك، ببناء مدرسة تارة و مصنع تارة أخرى، لكنّها كلّها أبعد من أن تكون حضارة تخرجه من الجهل و المرض و مظاهر التخلّف التي تتجذّر أكثر فأكثر بهذه السياسة الترقيعيّة[1] ليكون العلاج المناسب والذي يعيد للأمة حيويتها هو استرجاع دافعية الروح الإسلامية في النفوس، و العودة إلى المنهج الرباني، مع تمثل الصراط السوي الذي رسمه رب العباد، وجعله سبب الصلاح، رحمة منه لعباده حيث كفاهم عناء البحث عنه، والتاريخ يعلّمنا أن الروح التي مست شرارتها الجيل الأول وانفعلوا بها، أوصلتهم إلى صناعة الحضارة، وسيادة الإنسانية،فيجب أن يكون الانطلاق، كما كان من قبل، بدفع روحي وفق منظومة إسلامية متكاملة، ينبثق عنها منهج قويم يوقظ الأمة من سباتها ويجعل الحياة تسري في أوصالها، لتعود إلى الفعل والإنتاج، واضعة نصب عينيها غايات الوجود الكبرى، ومحملة لأبنائها أمانة الشهود والريادة على الأمم الأخرى، مادامت تملك ملا يملك غيرها من الوحي والهدي.

[1] مالك بن نبي: شروط النهضة، ص46.

المبـــحث الثالـث

مهاتـير والقيـم

تلعب القيم دورا هاما في توجيه الإنسان وضبط سلوكه، وقد أولاها محمد مهاتير أهمية خاصة ستظهر في العناصر الموالية.

المطلب الأول:القيم وتوجيه الإنسان:

1- القيم الملاوية:

لا تتقـوم الحيـاة الإنسـانية إلا بمـنهج قـادر علـى اسـتيعاب الفعـل البشـري وتوجيهـه علـى مسـتوى التفكـير ، الشـعور و السـلوك بشـكل يجعـل الإنسـان كائنـا مسـتعدا للفعـل و التغيـير، ومباشـرة مهمتـه الوجوديـة، ولـيس أرقـى مـن القـرآن الكـريم الـذي يمثـل منهجـا متكـاملا، يحقـق للإنسـان الحيـاة الطيبـة في الـدنيا و النعـيم الأبـدي في الآخـرة بـالفلاح و الفـوز برضـوان الله تعـالى، مـن حيـث كونـه خطابـا ربانيـا يسـتغرق كـل جوانـب الحيـاة البشـرية وقـد باشـر الرسـول – صـلى الله عليـه وسـلم– بتطبيـق هـذا المـنهج، في تربيـة الصـحابة الكـرام علـى نمـط مـن الصـلاح مكـنهم مـن إحـداث نقلـة نوعيـة في الأفكـار و السـلوك أهلـتهم لقيـادة البشرية بأخلاقهم وقيمهم وفهمهم الصحيح للوجود والحياة.[1]

وقـد أدرك مهـاتير دور القـيم في توجيـه الإنسـان، وفي الحفـاظ علـى المجتمعـات مـن التفسـخ والانحـلال، وربـط مجـيء الإسـلام وتغـير المجتمـع العـربي إلى أنّ الإسـلام واحـد مـن أقـوى المـؤثرات في إحـلال القـيم الجيـدة محـل السـيئة[2]، والإنقـلاب الـذي حـدث في منظومـة القـيم الجاهليـة بـدا واضـحا في كـلّ نـواحي الحيـاة بعـد مجـيء الإسـلام بـإقرار التـاريخ، إذ انقلبـت مظـاهر الظلـم و التعسـف و الجهـل إلى قـيم الخـير و العـدل و الصـلاحفكان الخـير الـذي عـمّ المجتمـع العـربي ثمـرةللتغيرات الـتي حـدثت في نظـام القـيم العـربي[3]،وهـو الأمـر ذاتـه الـذي حـدث مـع كـلّ بقعـة في الأرض وصـلها الإسـلام. وماليزيـا مـن الـدول الـتي دانـت بالإسـلام منـذ زمـن طويـل، وأسـتقر في ثقافـة المجتمـع الملايـوي منظومـة القـيم الإسـلامية، حـتى أضـحت جـزءً مهمّـا فيهـا، وبقـي المـاليزيون يتمثّلـون هـذه القيمويعيشـونها في معـاملتهم، و يـذكر عمـر النقيـب

[1]عبد الحميد أبو سليمان: أزمة الإدارة والوجدان المسلم،ط3، 1428هـ، 2008، دار الفكر، دمشق ص 15.

[2] محمد مهاتير:الموسوعة، التحدي، المجلد2، ص 118.

[3]المصدر نفسه، ص118.

الذي عايش الماليزيين لفترة طويلة قضاها بينهم أنّه من جميل ما لاحظ من الذوق الراقي في الفعل الذي يقوم به الإنسان المتحضّر، أدب الإنسان الماليزي في الأخذ و العطاء، حيث إن أراد أن يقدّم لك شيئا مما يحب و أن يظهر لك الإحترام، قدّمه لك بكلتا يديه وليس بيد واحدة فقط، حتى لو كان الشيء المعطى وريقة بسيطة يمكن أن يمسكها بإصبعين، وكأن لسان حاله يريد أن يقول لك: خذها من القلب[1]. وقد ركّز محمد مهاتير على القيم، بغض النظر عن مصدرها، المهم أن تكون قيمًا حسنة وفاعلة، مثل القيم اليابانية في العمل ومنها الإخلاص، التفاني، الإتقان، إحترام الوقت وغيرها، وقد تجسد حبه للإنضباط و التفاني في أنّه ينبغي للجميع بدءًا برئيس الوزراء وانتهاء بالمواطن العادي، أداء وظائفهم على أكمل وجه ممكن وألا يكون العنصر المادي دافعهم الأساسي، لأنّ الجميع في حاجة إلى تطوير المواقف الصحيحة وأخلاقيات العمل التي تساعد على بناء أمة ناجحة[2]، وهو في هذا يتمثل قيم الإسلام من جهة والمتمثلة في الإخلاص والإحسان و الإحتساب، ومن جهة أخرى القيم اليابانية التي أصبحت مضربا للمثل في النزاهة و المثابرة و الإتقان، ونجاحهم دليل على ذلك، ولأن الرجل يقرن الفكرة بالتطبيق فقد أقر نظام القيم التي تحدد نجاح الفرد و المجتمع، بل وجعلها شعارا لحملته الانتخابية، يقول: أطلقنا حملة: النظافة و الكفاءة و الأمانة في سنة 1982 لاستخدامها في أول انتخابات عامة وأنا رئيس الوزراء"[3] وكانت شعارات للتطبيق لا لمجرد الكلام، وأتت أكلها بزرع ثقة الملايويين في حكامهم، و الإطمئنان إلى نزاهتهم و أمانتهم، ما دفع بهم إلى السعي جميعا لتحقيق النجاح ومساعدة ماليزيا على النهوض.

وبالرجوع إلى التاريخ، وتتبع أعمال الصحابة، والأمة الإسلامية في قمة العطاء المادي و الروحي، يسهل استخلاص قدرة النموذج الاسلامي ليكون قابلا للتطبيق وبذور انبعاث حضارة على أساسه موجودة تحتاج من الأمّة بعث الحياة فيها بالعمل الصالح، و الفاعلية المدفوعة بالإيمان المثمر، واليقين في القدرة على النهوض مرّة أخرى والاضطلاع بمهمة الإستخلاف وأمانة الشهود على الأمم من جديد .

---

[1] عمر النقيب: مقومات مشروع بناء إنسان الحضارة في فكر مالك بن نبي التربوي، ط1 1430هـ- 2009م، الشركة الجزائرية اللبنانية، الجزائر، ص 97.

[2] محمد مهاتير: طبيب في رئاسة الوزراء، ص 438

[3] المصدر نفسه ص 429.

2- القيم الإسلامية:

تعرض القرآن الكريم في آيات عديدة إلى أوضاع الأمم والأقوام السابقة، مبينا عبر القصص القرآني دورها في حركة التاريخ وأثرها فيه إيجابياوسلبا، من خلال عرض الأفعال والأحداث، والقيم الأخلاقية التي مارسوها أفراد وجماعات ليكون في قصصهم عبرة لمن بعدهم، ولا يخفى على أحد انفرا القرآن الكريم بالصدق والواقعية والحق دون غيره من كتب الوحي الأخرى، زيادة على انفراد بالمنهج القويم والإعجاز البين، وقد أمرنا الله تعالى بأن نحسن قراءته والانتفاع به لأنه دستور حياة، ومنهج حضارة وسبيل فوز ونجاة في الدنيا والآخرة.

وقد عرض من خلال القصص نماذج تصلح لأن تكون مثالا أعلى وهي نماذج أبلى أصحابها بلاء حسنا في خط الإصلاح وتحقيق الخير والعدل وتبصير العباد بما يوصلهم إلى الرقي والتقدم والحضارة، ونماذج أخرى تصلح أن تكون المثل المنحط الذي غرق أهله في الفساد والانحراف والضلال، أدوا بأنفسهم وأقوامهم إلى الدمار والهلاك، بتنكبهم عن الصراط المستقيم، وعدم إدراكهم لأسباب وغايات وجود الإنسان، ولحقيقته وقد تمثل عبد الرحمن ابن خلدون دور القيم من حيث حضورها أو غيابها في الأفراد والمجتمعات في فكره الذي سبق به عصره وأسس وأدرك أبعاد المؤثرات الخارجية والداخلية فيها، ليفسر لنا السلوك الفردي والجماعي، معتبرا قيم الخير والحق والجمال تتحقق للإنسان متى ملك الاستعداد لقبولها أيمّا بقي على الفطرة، فإن تغيرت وتلونت فطرته[1] جاء النوع الثاني من الاستعداد للشر والتنازع والفساد.

لأجل هذا أولى علماء التربية اهتمامها بالغا في وجوب صقل سلوك الإنسان وتصرفاته بتعاليم الدين وتوجيهاته ليغدو بها إنسانا يمتاز على غيره بالمرونة والقدرة الواسعة على التكيف مستجيبا في ذلك للقرآن الكريم ويكون على الدوام متحليا[2] بمكارم الأخلاق الذي تتقوم المجتمعات بصلاحه أو فساده، ممّا جعل محمد مهاتير يعتبر وجود أيّ مجتمع متجذّرٌ في نظام قيمه[3]، لأن نظام القيم يلعب الدور الأول في تحديد مصير المجتمعات ولا يتحقق للإنسان أو المجتمع رقيه وتحضره إلا بقدار ما يتمسك به من قيم، والقيم الإسلامية، إنما جاءت لتمكن المسلمين أفرادا وجماعات من الحياة الكريمة الطيبة، ومن تحقيق

[1] ابن خلدون، المقدمة، ص197.

[2] موسوعة أخلاق القرآن، أحمد الشرباصيج1، ص 8.

[3] طه عبد الرحمن، سؤال الأخلاق، ص14.

التحضر المطلوب للعيش في حرية وأمن واستقرار ضمن منظومة متكاملة تقوم على الخير والحق والعدل والمساواة لتكون القيم عنوانا للإنسانية ولا تتحقق إلا بها.

المطلب الثاني: القيم والتغيير:

1- إدراك بداية التاريخ:

نقطة البداية، ونقطة التحول ونقطة السقوط محطات لها دلالاتها في أي تاريخ، ليس من حيث كونها أحداثا بعينها وبآثارها، بل من حيث كونها تاريخا يتكرر، ويحتاج منا الوقوف عنده لتأمله وإدراك سنن الله في الخلق، ثم إيجاد علاج المشكلات المتعددة، وتحديد عوامل النهوض، يقول مالك بن نبي "وعلاج أي مشكلة يرتبط بعوامل زمنية نفسية ناتجة عن فكرة معينة، تؤرخ من ميلادها عمليات التطور الاجتماعي"[1] وهو بهذا الطرح يوضح مسألة بداية أي دورة حضارية وأهمية تحديدها، لما لها من خطورة وتأثير في حياة المجتمعات والأمم، ويلاحظ أنّتسلسل و دوران الأحداث يجعل التاريخ يسجّل للأمة مآثر عظيمة ومفاخر كبرى تارة، و تارة أخرى يدخلها في نفق لتستسلم إلى نوم عميق. وهو أمر إذا انتبهنا إليه و وعته بصائرنا، أدركنا أنّ حلّ مشكلاتنا يبدأ من تحديد موقعنا في دورة التاريخ، ونعرف خطورة الأوضاع التي نعيشها متمثّلة في عوامل الإنحطاط و التخلّف و العجز، فإن توصّلنا إلى تحديد ذلك سهل علينا إدراك نقاط الضعف فينا لعلاجها ونقاط القوّة للإنطلاق منها[2] من حيث كون الدراسة الجادة لهذه المحطات في حياتنا تساعدنا على تحديد نقطة انطلاقنا، وميلاد حضارتنا وما تولد بعد ذلك من ظروف وأسباب وجهت هذا الميلاد وهذه الإنطلاقة، وما آلت إليه بعد قرون من الزمن كل ذلك كفيل بجعلنا ندرس المراحل المختلفة والظواهر الإجتماعية المتعددة لتحديد المنعطفات التي أثرت في سيرنا كأمة وتركت بصماتها في تاريخنا الطويل، ولا بد من وعيها جيدا ودراستها لاستخلاص العبر و الدروس، وإدراك سنن الله في الخلق لأننا حين نعجز عن مقاربة رؤانا للماضي سنكون أعجز عن التقارب في فهم الحاضر، و حينئذ لن نستطيع بالضّرورة التخطيط للمستقبل مادام لم يتقارب تقويمنا للماضي و الحاضر، و منه نعجز عن الفعل و الإنجاز[3]،و لن ننطلق في دورة حضارية جديدة ما لم ندرك جيدا من أين انطلقنا أول مرة؟ وكيف؟ وما أسباب نجاحنا؟ وما أسباب تقهقرنا وتخلفنا؟ ومتى حصلت لنا المعرفة المقصودة من الفكرة كلها ستكون بمثابة المحفز و الدافع لنا نحو الإنجازات الكبرى، والشهود بعد الغياب ثم بعد ذلك لابد لنا

[1] مالك بن نبي: شروط النهضة، ص53.

[2] المرجع نفسه ، ص52.

[3] عبد الكريم بكار: من أجل انطلاقة حضارية شاملة ، ط4، 2011م، دار القلم دمشق، ص12

من معرفة أخرى ملازمة للسابقة، إذا بعد إدراك النقطة التي بدأت منها حضارتنا وهي لحظة نزول قوله تعالى ﴿اقرأ﴾والتي اتحدت بها الأرض مع السماء في غار حراء ومنه انطلقت شرارة الحضارة الأولى، التي تحول بها البسطاء ذووا الحياة الراكدة، عندما مستهم شرارة الروح، إلى دعاة إسلاميين، تتمثل فيهم خلاصة الحضارة الجديدة، وأن يدفعوا بروحها وثبة واحدة، إلى تلك القمة الخلقية الرفيعة التي انتشرت منها حياة فكرية واسعة متجددة[1] وبعد انطلاق وشهود وبلوغ الذروة، عرفت الدروة الحضارية الاسلامية الأفول والإنحسار.

وما أريد الوصول إليه أنه من المهم أن يعرف المسلمون النقطة التي يقفون عندها الآن بمشاكلهم ومآسيهم لتتضح لهم من جديد نقطة بداية دورة جديدة ، وبذلك فإنّنا نكون قد ضبطنا موضع المشكلة في مكانه من التاريخ، ونكون أيضا قد وفّقنا في وضع مشكلتنا في المكان الذي يجب أن تكون فيه، حيث تستطيع أن تبدأ الحضارة دورها[2]، لأنّه عندما تتحقق المعرفتان مع بعض، الأولى حين ندرك النقطة التي بدأ منها تاريخ حضارتنا الإسلامية، والثانية حين ندرك نقطة التأهب و الإستعداد لبداية دورة جديدة نحيي من خلالها حضارتنا ونبعثها من جديد،لأنها في حالة ركود فقط وليست في حالة موت، مادامت مرجعيتها موجودة وقابلة للفعل والتأثير متى استعاد الإنسان المسلم وعيه الحضاري وحسه الرسالي، وذلك ما أخبرنا به رسول الله ﷺ في حديثه :«يوشك أن تداعى عليكم الأمم كما تداعى الأكلة إلى قصعتها. قالوا: أو من قلة نحن يومئذ يا رسول الله؟ قال: لا، بل أنتم كثير ولكنكم غثاء كغثاء السيل، ولينزعن الله المهابة من قلوب أعدائكم، وليقذفن في قلبوكم الوهن. قيل: وما الوهن يا رسول الله؟ قال: حب الدنيا وكراهية الموت»[3] ودقة ألفاظه ﷺ تجعلنا نقف مليا نمعن النظر و التفكير فيها، ولا غرابة فهو الذي لا ينطق عن الهوى، إذ ذكر الوهن مشيرا إلى أنّ الوهن الحضاري، والذي هو مرض قابل للشفاء، سيصيب الأمة متى توافرت أسبابه وشروطه، ولم يعن بحال من الأحوال الموت الميؤوس منه، ذلك أنّمواثيق الله تعالى لهذه الأمة، صاحبة الرسالة الخالدة، ومبشرات الرسول ﷺ يؤكّدان أن إمكانيّة النهوض موجودة، ودائمة ومستمرّة، إذا أبصرنا شروطه ومقوماته، وتحققنا بأسباب التمكين في الأرض وأحسنا التعامل مع السنن الجارية[4] وهو ما

[1] مالك بن نبي: شروط النهضة، ص57.

[2] المرجع نفسه ، ص53-54.

[3] أبو عيسى محمد الترمذي: سنن الترمذي، المجلد الثاني، كتاب الملاحم، باب في تداعي الأمم، حديث رقم 4297، ص : 210، حكم الألباني صحيح، حديث رقم 8183، في صحيح الجامع.

[4] محمود محمد سفر: دراسة في البناء الحضاري، ص9.

تتميّز به الحضارة الإسلامية عن غيرها من الحضارات السابقة التي بادت و عجزت عن حمل أجنة الحياة و الإنبعاث من جديد.

2- المراجعة والنقد:

إن سعادة الإنسان بكل النجاحات التي يحققها على الدوام، وكذلك شقاؤه واستياؤه بالإخفاقات التي تعترض طريقه، وهو الأمر ذاته بالنسبة للدول والمجتمعات ذ، ويكون من العبث مواصلة السير في طريق يحتمل الأمرين بكل تأكيد دون التوقف بين الحين والآخر للتقييم والمراجعة والنقد الجاد بل للتشريح الدقيق لأسباب الإحسان وكذا أسباب الإخفاق والإساءة وهذا أمر مهم جدا يطبع سلوك الأفراد والدول والأمم ويحدد الخلفية الموضوعية بمدى الاقتراب أو الابتعاد عنها وإلى خلق النقد والمحاسبة، وهو سلوك حضاري، وضامن للنجاح على أسس صلبة تُبصر أصحابها بمواضع الخلل خاصة لاجتنابه وعدم دفع أثمان الأخطاء مكررة، ما دام نجاح العمل مرهون ببذل الجهد الكافي وتحري أسباب النجاح، ومن أكبر المعوقات التي يعاني الإنسان المسلم نتائجها فشلا وعدم النجاح في أغلب وأهم شؤون الحياة على الأصعدة جميعها ودون أن نكون مبالغين في القول، أنه يكتفي ببذل الجهد ويحاول إقناع نفسه بأنه أدى ما عليه وجاءت النتائج على غير ما أراد لأمر أراده الله، وهي قناعة تحول نظر المسلم عن رؤية أسباب الإخفاق تجنب تكرارها، والبحث عن الحل الذي يكلل حتما عمله بالنجاح، و أنّ اعتقاد المسلمين بأن النجاح ليس نتيجة حتمية للسعي الصالح، هو من أشد المعوقات التي تمنعهم من مراجعة أعمالهم ونقدها، لأنهم لا يفرضون فيها الخطأ، بل يفرضون أنها كانت صائبة، ولكن لم تأت النتيجة المطلوبة لأمر أراده الله، إن مواجهة هذه القناعات أمر جوهري لتحويل نظر المسلم في رؤية سبب الإخفاق[1] بل وعلى قدر المراجعات والنقد الجاد يتحقق النجاح، وهو أمر أشار إليه محمد مهاتير وجعله أسلوب حياة، وكان دائم المراجعة والبحث عن أسباب الخفاق خاصة، أنّ الوقت والجهد يتحركان بشكل متّصل، وهي حقيقة بدهية أن كل إنجازات الإنسان إنما جاءت نتيجة للعمل الجاد على نحو مستمر، ونتيجة الاستجابة للتغيرات والتحديات في مواقف دائمة التغيير ومن الصحيح أيضا وبالدرجة نفسها أن الإنجازات الرئيسية تكون ممكنة عندما نتوقف قليلا على الطريق لتقويم الموقف وإجراء بعض المراجعات النقدية قبل أن نواصل مسيرتنا، وهي فعلا فرصة لإلقاء نظرة نقدية على عملنا وعلى ما أنجزناه في الماضي، الأمر الذي سيساعدنا على أن نتحسّن و نتخذ

[1] جودت سعيد، العمل قدرة و إرادة، ص107

قرارات مناسبة في المستقبل، ثمّ ننطلق في بداية جديدة تكون مسعى مهمّا لبحث وتقوية الإرادة الفردية والجماعية، وهو حقيقة ما يحتاجه المسلمون كأفراد وكدول، ويستطيعون إدراك النجاح والعودة إلى التأثير والفعل.

3- الإرادة والإصرار:

محمد مهاتير طبيب الجسد الذي برع في معالجة الناس وتخفيف آلامهم، وقد كان ماهرا في العمليات الجراحية التي أجراها والتي كانت ناجحة كلها، يشرح حال الملايويين في كتابه المعضلة الملايوية، محاولا تشخيص أدوائهم، وتحديد مكامن المرض، لإيجاد ما يلزم لها من دواء، فتوقف عن ممارسته طب الجسد وانتقل إلى ممارسة طب المجتمع، وحسن التشخيص أول أسباب النجاح، أما التشخيص السيء أو الخاطئ فيفاقم المرض، ويزيد المشاكل عمقا، ليمضي في تطبيق السياسة الاقتصادية الجديدة، والتي لاقت صعوبات كبيرة في بدايات تطبيقها، ربما لكون مهاتير توقع أن تكون النتائج منذ البداية حسنة، يقول، :" لم يظهر في بلداتنا ومدننا أي تغيير واضح على صعيد مشاركة المواطنين الأصلين في المهن، إذ لا يزال قاطني المناطق الحضرية صينيين، والمباني الجديدة التي لا يمتلكها الصينيون ليست ملكا لملاك العقارات وأقطاب الممتلكات الملايويين"[1] وهو يتأسف ويشعر بالإحباط عندما يلاحظ عدم استجابة الملايويين إلى طموحات الحكومة، والتي تحاول جهودها جعلهم أسيادا في بلادهم، لكن السيادة تعني امتلاك زمام الاقتصاد، وشريان الحياة فيها، و تقدير الجهود التي تبذلها الحكومة لجذب الملايويين إلى قطاع التجارة بالتجزئة، من خلال منحهم امتيازات عديدة تجعلهم أصحاب الكلمة و القرار[2] ويلخّص مهاتير أهم أسباب المشكلة الملايوية في أن الملايوين يعتبرون المال الذي في أيديهم أداة للإستهلاك، بدل اعتباره مولدا للثروة، ورصيدا يمكن إذا أحسنوا إدارته سيضاعف أضعافا كثيرة، ويبقى في أيديهم دائما، ويكون مصدرا لذر الثراء والربح المتواصل عليهم، أما العقلية الإستهلاكية التي أوقعتهم في هذه الحالة من العوز والفقر، فتُصَوِرّ لهم المال الذي يملكونه كاف لسد حاجياتهم وهو أقصى ما يريدون، إلى درجة أن منهم من تعطى له سندات كامتياز من الحكومة تكون عونا منها له على بداية تكوين رأسمال والدخول في الجارة، وأو تمنح له قطعة أرض ليقيم عليها مشروعا مربحا، فيلجأ إلى الربح السريع ويقوم ببيع السندات أو الأراضي الممنوحة له، ويقبض ثمنها ويكتفي بما يجنيه من

[1]-محمد مهاتير، طبيب في رئاسة الوزراء، ص282.

[2]-المصدر نفسه ص 283.

مال ولو قليل، والذين يشترون منهم هم الصينيون الذين برعوا في تكوين تجارة وحرف وأعمال تغطي معظم النشاط في البلدات الملايوية.[1]

كما يرجع مهاتير إخفاق السياسة الاقتصادية في تحقيق نهضة الملايويين، إلى سبب آخر وهو استكانتهم للواقع وحبهم للعيش السهل وكرههم للتغيير ومعاناته وأثمانه، لأنهم يفضّلون الأعمال الهينةو لا يستطيعون تجاوز التحديات، وسرعان ما ظهرت فيهم سمات ثقافة غالبة شجعت على التكيف المتهاود، وصدت عن بدل الجهد، لذلك كف الملايويون عن التكيف مع الظروف المتغيرة، وبقوا مستكينين ومذعنين[2] .

لهذا ركزت السياسة المهاتيرية على إعطاء المزيد من الفرص للملايويين، ومنحهم تحفيزات أكثر، مع الاستمرار في النقد وإبداء عدم الرضا من تفاعلهم الذي ما يزال سلبيا، وعلى عدم سعيهم إلى التغيير من أحوالهم حتى يغير الله ما بمجتمعهم من آفات، خاصة وهم يرون الصينيين و الهنود ويعتبرون أقلية بالنسبة إليهم، كيف يعملون بجد، وكيف يسعى الصينيون إلى تطوير أنفسهم وتجارتهم وزيادة هوامش أرباحهم على مرأى من الملايويين الكسالى، وكذلك الهنود كيف يعملون كل ما يجدونه متاحا لهم في فرص العمالة، ويقبلون بالأجور الزهيدة ويبذلون لأجلها جهودا مضنية، ومع هذا لا يتحركون لتبلد حسهم وانطفاء شعلة الحماس و الإقبال على العمل في نفوسهم.

ويطرح مهاتير أمثلة من التاريخ، بنجاح المسلمين الأوائل في الانتقال من مجتمع قبلي مشتت وجاهل، ومتناحر، إلى قوة أرعبت إمبراطوريتي الفرس والروم، بشيء واحد هو الايمان الراسخ بقيمة العمل والانضباط والطاعة.[3]

ومن التاريخ أيضا النهضة الأوروبية التي انبعثت بعد قرون من التخلف و الجهل و المطيق على أنفاسها، واقتبست من حضارة المسلمين وبنت عليها حضارة، هي اليوم شاهدة على الجهد الكبير المبذول لأجلها.[4]

أما من الواقع فالجارة اليابان، والتي قامت من تحت انقاض "هيروشيما" و "ناجازاكي" وانطلقت تلقن الظلمة و الطغاة دروسا مازالوا مندهشين من قوة هذا المارد الذي

---

[1]-عادل الجوجري، النمر الآسيوي محمد مهاتير، ص 25.

[2]-المرجع نفسه، ص285.

[3]-محمد مهاتير، الموسوعة، الجزء1، ص 157.

[4]-المصدر نفسه، ص 164.

غزاهم في عقر دارهم بالتقدم و التكنولوجيا وضرب لهم مثلا في التحضر، وحب العمل و الإنضباط المنعدم عند سواهم .

وإذا كان حال الملايويين بعد الإستقلال، كما تم وصفه من الفقر و الكسل، و القعود عن الاستفادة من الفرص الممنوحة، و الإكتفاء بالربح القريب، السريع ولو كان قليلا، فإن حالهم في العلوم المعاصرة، لم يكن أحسن منه في الإقتصاد، إذ أن المستعمر لم يفتح باب التعلم للملايويين ما دام يريد بقاءهم على جهالتهم لتحقيق مصالحه، و تمرير بنود اتفاقية "ماك مايكل" الظالمة دون أن يقوم منهم من يعارض، وبعد الإستقلال لا بد أن يبقوا بعيدين عن الصحوة و التعليم حتى يسلموا عن طواعية ثروات بلادهم، وساعدهم على ذلك تخوف الناس على أولادهم من المدارس البريطانية أن تنشر بينهم التبشير وتزعزع عقيدة التوحيد في نفوسهم، لهذا كان أغلبهم يحجم عن تسجيل أولاده في مدارسهم مما رفع نسبة الأمية بين الملايويين .

ويتواصل سعي محمد مهاتير إلى تمدين الملايويين وإخراجهم من قراهم، وتكييفهم مع نمط عيش جديد بعيدا عن أكواخهم البسيطة، وما يحيط بها من دواجن وبعض المزروعات الضرورية، حتى يتقبلوا العيش في المدينة في سكنات لائقة، ومظاهر حياة أكثر رفاهية و تقدم، ولا نتصور أن التغيير يكون بإشارة إصبع، بل كان انتقالا بطيئا وصعبا، يقول مهاتير:" عندما أشاهد أغلبية الملايويين اليوم أشعر بأسى لأسباب يعود اكثرها إلى عدم تكيُّفهم كما يجب، ولم يخطر ببالي إمكانية حصول ذلك حين اقترحت على الملايويين الإنتقال إلى البلدات والمدن، كان ذلك سذاجة مني، فالحكومات تخطط، لكنَّ رد الناس وسلوكهم هو الذي يملي النتائج"[1].

كما أنّ من أسباب بطء النتائج المرجوة، أن الملايويين وخاصة الشباب، حين انتقلوا إلى المدن، سحرهم هذا التحول وراحوا يستمتعون بمظاهر المدينة، ولم يأبهوا إلى العمل والجد لتطوير أنفسهم وللدخول في حياة المدن بعقلية الإنتاج وبذل الجهد لتطوير البلاد والرقي بها نحو المزيد من الرفاهية.[2]

لكن رغم الصعوبات، والإحباطات التي عايشها محمد مهاتير إلا أنه كان رجل نهضة ماليزيا، وعقلها المدبر، فمحاولاته لم تكلّ ولم تتوقف، والإحباط كان دافعا له على التحسين

[1]-محمد مهاتير، طبيب في رئاسة الوزراء، ص300.

[2]-عادل الجوجري، النمر الآسيوي محمد مهاتير، ص 76.

و تغيير السياسة والتفكير في الحلول الجديدة، حتى النجاح، فكان يرى أنّه ما إن تبرز المشكلات حتى تخطر حلولها المحتملة في ذهنه، ربما لا تكون مثالية في البداية، لكن مع إدخال بعض الخطط يمكن أن تخرج عن مسارها المرسوم، وكان يستحضر دائما مقولة أنّ الإنسان يفكر والله يقدر، فيضع الخطط ويبذل غاية ما في وسعه،و ينصح الإنسان أن يكون مرنا و ذكيّا إذا واجهته مشكلات، وجاهزا لتجربة حل آخر، هذا هو الادراك الذي جعله يسعى و يحث الملايويين على امتلاكه[1]. و التاريخ يسجل باعتباره مذكرة الشعوب، وذاكرة الزمن، أن مهاتير لم يَأْلُ جهدا، ولم يذخر وسعا في سبيل الخروج بالملايويين من حالة البؤس والفقر، والصعود بهم نحو قمم التقدم ومصاف العمالقة، بتعنيفهم أحيانا كثيرة، ومواجهتهم بضعفهم واستكانتهم وبإشفاقه عليهم أحيانا أخرى إذ أن نظرهم لا يمتد إلى جيرانهم ليعلموا يقينا أن التقدم ممكن، وتحسين الظروف سهل، وسنة التغيير لم تتبدل إنما لا بد من المبادرة والمثابرة وبذل الجهد اللازم.

[1]- عادل الجوجري، النمر الآسيوي محمد مهاتير ، 308.

المبـحث الرابع

مهـاتير والهوية

لا يـدخل الإنسـان دورة حضـارية جديـدة، ولا يبـدع إلا إذا كانـت هويتـه حاضـرة حضـورا يدفعـه إلى إثبـات الـذات وفـرد الوجـود، وهـو أمـر أحسـه محمـد مهـاتير واسـتقر في وعيـه مثلمـا سيبينه هذا المبحث.

المطلب الأول: ضرورة الإحساس بالهوية:

1- الهوية والإستلاب:

لا تكتسـب أمـة مـن الأمـم هويتهـا وخصوصـيتها إلا بقـدر إنجازهـا الحضـاري، وحضـورها في التـاريخ البشـري، ويكـون إحساسـها بهويتهـا حـائلا بينهـا وبـين الإسـتلاب و الـذوبان، وكيـف بأمـة كأمتنـا تميـزت بحضـارتها عـن بـاقي الحضـارات كمـا أشـرنا إلى ذلـك في العناصـر السـابقة وامتـدت حضـارتها طـولا وعرضـا عـبر الزمـان و المكـان، وجـد فيهـا الإنسـان توازنـه بـين ماديتـه وروحانيتـه، وكانـت إنجازاتهـا بـاهرة ومشـاركتها الحضـارية واسـعة، بالقـدر الـذي سـجل حضـورها وفعلهـا في التـاريخ، وأعطاهـا إحساسـا بالخصوصـية لا يمكـن لمـا تعرضـت لـه مـن حصـار وضـغوط متنوعـة أن يفقـدها إيـاه، لأن الأمـم الـتي فقـدت إحساسـها بهويتهـا لم يحـدث لهـا ذلـك إلا بسـبب ضـعف مشـاركتها الحضـارية، وضـعف فعاليتهـا، ممـا جعـل تحديـد علاقتهـا بـالآخرين، وتمييـز ذاتهـا عـن غيرهـا أمـر عسـيرا ولا معـنى لـه[1] وهـو الأمـر الـذي- مـن المفـروض- ألا يحـدث مـع الأمـة الاسـلامية، وقـد جعلهـا الله تعـالى خـير أمـة في قولـه ﴿كُنْـتُمْ خَيْـرَ أُمَّـةٍ أُخْرِجَـتْ لِلنَّـاسِ تَـأْمُرُونَ بِـالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَـوْنَ عَـنِ الْمُنْكَـرِ وَتُؤْمِنُـونَ بِاللَّـهِ وَلَـوْ آمَـنَ أَهْـلُ الْكِتَـابِ لَكَـانَ خَيْـرًا لَهُـمْ مِـنْهُمُ الْمُؤْمِنُـونَ وَأَكْثَـرُهُمُ الْفَاسِـقُونَ﴾[2] وحققـت الأمـة خيريتهـا في أسمـى معانيهـا طيلـة تمسـكها بكتـاب الله وسـنة نبيـه، مـا دفعهـا إلى الابـداع والتميـز لأنّ الإنسـان الـذي لا يملـك هويّـة لا يمكنـه أن يبـدع، إلا إذا كـان متميّـزا بنظرتـه للعـالم نظـرة خاصّـة بـه دون سـواه، إذ لـو تبـنّى نظـرة الآخـرين، فقـد هويتـه، لأنّـه حينئـذ سـيفكّر كمـا يفكّـرون و يكـرر مـا يقولـون فيصـبح تابعـا لهـم، لا هـمّ لهـإاّ تقليـدهم و الإلتـزام بـنمطهم و مـن ثمّ الإبـداع داخـل إطارهم،فيصـير مسـاهما في تشـكيل

[1]- محمود مراد، نحو مشروع حضاري عربي، وقائع ندوة الأهرام بالقاهرة، ط1، 1994، وكالة الأهرام للنشر، مصر، ص236.

[2]-سورة آل عمران، الآية (110).

حضارتهم، كما يحدث لكثير من العلماء العرب الذين يهاجرون إلى الغرب[1] وهو رأي صائب إذ الإبداع لا يتحقق بجهد منطلق من خارج الذات، أو ينتظر من إنسان مهزوم، مشتت الوعي لشعوره العميق بالدونية الحضارية، بل يكون من إنسان استقر في وعيه تاريخ أمته المجيد، لا من جهة التغني بأمجاد الماضي، ولكن من جهة عدم نكران الذات التاريخية والكينونة الحضارية التي تدفعه أشواقه إلى استرجاعها، وتتطلع روحه إلى التحليق من جديد في سماء الريادة والفاعلية، من خلال سعيه إلى توازن جديد لحياته، واستئناف جديد لدورته الحضارية عبر حركة متناسقة يشق بها مجتمعه مسيرته في التاريخ، لتسجيل حضوره كشاهد بالمعنى القرآني للشهادة في قوله تعالى ﴿ وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا ﴾[2] وما الشهود المقصود في الآية إلا التحضر بأحد معانيه وقد مر بنا توضيحه في فصل سابق من البحث، حينما يتحقق انبعاثه من جديد، ويعود حاملا مشعل الحضارة مرة أخرى كما كان قبل قرون، حين كان العلماء المسلمون روادا للإكتشافات العلمية، من خلال إتقانهم للعلوم التي عاصروها عبر إطلاعهم على ثرات اليونانيين والهنود والصينيين والفرس بعدما أتقنوا لغاتهم، ثم زادوا عليها بما توصلوا إليه من جديد في علم الفلك، والجبر، ودراسة الطب والصيدلة فنقلوا هذه العلوم نقلات عملاقة مازالت بصماتهم عليها إلى الآن وهو ما يحز في نفس محمد مهاتير ويكرر في كلامه حلم كل مسلم أن يرى الحضارة الإسلامية تنهض مرّة أخرى على أيدي أجيال تشبعت بالإنتماء، وأعدت العدة اللازمة للإنبعاث من جديد.

2- الهوية في مجتمع متعدد الأعراق والديانات:

يشير محمد مهاتير أن ماليزيا دولة متعددة الأعراف والإثنيات، وهو واقع فرضه التاريخ، وقد حاول الاستعمار البريطاني استغلال التعدد العرقي والإثني في ماليزيا لصالحه مع ادعائه أن الحكومة البريطانية ليبرالية وغير عنصرية،[3] حتى يتسنّى له الإستيلاء على خيرات البلاد، ووضع اليد على المواد الأولية التي تقوم عليها الصناعة في بلادهم، ولإدراكهم بخطورة أمر الهوية ودورها في يقظة الشعوب حاولوا القضاء على هذا المقوم الأساسي للعنصر الملايوي في

[1]-عبد الوهاب المسيري، ص63.

[2]-سورة البقرة، الآية: (143)

[3]محمد مهاتير، طبيب في رئاسة الوزراء، ص57.

ماليزيا، بجعله ينحسر واضطراره إلى ممارسة مهنة الزراعة البسيطة،[1] في حين فتح الباب واسعا أمام الصينيين والهنود للهجرة إلى ماليزيا والسيطرة على الصناعة ليوفروا القوة الاقتصادية والقوة العاملة للتجارة ومختلف الأنشطة التجارية البريطانية، لكن لم يدم الأمر بعد الاستقلال، وخاصة في ولاية محمد مهاتير الذي كان يدرك خطورة المكيدة البريطانية، لتأتي السياسة الاقتصادية التي انتهجها بعد ما عنف العرق الملايوي واتهمه بالكسل والضعف[2]، ثم اتخاذ التدابير المتتالية والإجراءات المناسبة لاستفاقة العنصر الملايوي والإحساس بخطر الذوبان في الأعراق خاصة الصينيين والذين فرضوا اجتهادهم وجديتهم في العمل وتفوقوا في جميع الميادين، لكن السياسة الرشيدة الماليزية حالت دون اضمحلال العنصر الملايوي، بل بالعكس اتخذت التدابير المناسبة ليتفوق السكان الأصليون في العدد، وفي افتكاك المفاصل الحساسة في الصناعة والزراعة والتكنولوجيا وغيرها[3] ، وبهذا حافظ الملايويون المسلمون على هويتهم، واستعادوا عافيتهم، وساعدهم على ذلك سماحة أخلاقهم، وسهولة معشرهم. فاستوعبوا الأعراق والإثنيات الأخرى، وعاشوا جميعا في ماليزيا نعمة وليس نقمة[4] لأنها جمعت المواطنين من مختلف الديانات إلى بعضهم بعضا، وساهمت في تعزيز الوحدة الوطنية وتحقيق السلم الاجتماعي، ليكون الوطن للجميع والدين للجميع، من كان مسلما يجد الحرية في ممارسة شعائر دينه، ومن كان مسيحيا أو بوذيا أو غيره، له أيضا أن يمارس طقوس دينه.

وأثناء زيارتي لماليزيا[5] رأيت بالعاصمة كوالالمبور مساجد غاية في الروعة والنظافة والإتقان، ورأيت معابد صينية ساحرة وكذا معابد هندية قمة في الجمال والخصوصية، وأحسست بالسلام والتعايش يمشي على قدميه في ماليزيا.

وهذا كله من ثمار سعي حكام ماليزيا وخاصة محمد مهاتير الذي قال بأن الكثيرين وصفوه بالعنصرية أو الانحياز إلى الملاي، لكنه لا يأبه ما دام هدفه هو الحفاظ على الهوية وإثبات وجود السكان الأصليين الذين عانوا التهميش والظلم من الإدارة الاستعمارية يقول:" سيرى بعض الأشخاص نزعة عنصرية في أسوأ الأحوال نرجسية في أحسنها، لكن لا وجود

---

[1] عادل الجوجري، النمر الآسيوي محمد مهاتير، ص76.

2 محمد مهاتير، طبيب في رئاسة الوزراء، ص58

[3] المصدر نفسه، ص59

4محمد مهاتير، الموسوعة، المجلد 1 ، ص104.

5 زرت ماليزيا سنة 2016 في شهر جويلية.

للصفتين: أنا ملايوي وأفتخر بذلك وهناك أسباب كثيرة تدفعني إلى قول ذلك بهذه القوة والجرأة"[1] ما دام مقتنعا أنه من حق الملايويين إثبات وجودهم وجدارتهم بالأغلبية ما داموا أصحاب الأرض.

المطلب الثاني: الإعتزاز بالانتماء:

1- الماليزي يمكنه أن يفعل:Malaysian can do

الإنطلاق في أي بناء حضاري لا ينفك عن الشعور بالوجود وبالإنتماء مما سيكون دافعا إلى الفعل ثم الإبداع، والإنسان ما لم يحس أنه موجود وأنه قادر على الفعل والتغيير، سيكون عبئا على نفسه، ومجتمعه وأمته، على عكس من يدرك حقيقة نفسه، ومدى قدرته على الفعل، وذلك حين يعي هويته، وتميزه، وسلامته من القولبة والتنميط، فيكون في مقدوره النظر إلى العالم بعيونه هو[2] وليس بمنظار الآخرين، ويفكر بعقله هو لا بعقول الآخرين، حينئذ يكون بمعزل عن التبعية، ويشعر بهويته واستقلاله الحقيقي، ويفرح إذا وصل إلى أي إبداع لأنه سيكون إبداعه هو، بفكره هو، أما إن فقد هويته، فسيفقد معها لسانه، وفكره، وما تبدعه يده سيكون تابعا لتفكير وإرادة من اقتنع بتقليدهم، والتفكير بمنهجهم والحياة داخل النموذج الذي يفرضوه عليه، ويدخل إبداعه في تشكيلهم الحضاري، وهو الأمر الذي أدركه لورد ماكولي[3] حين أقر أمام البرلمان الإنجليزي بحقيقة قوة الشعب الهندي، واستحالة استعماره مادام متحصنا بقيمه الأخلاقية التي يراها جزءا من وجوده، ما جعله يقدّر أنّ هزيمة هذه الأمّة لن تكون إلا بكسر عمودها الفقري وهو تراثها الروحي والثقافي لأنّهم سيفقدون إحترامهم لأنفسهم وثقافتهم المحلية وسيصبحون ما نريدهم أن يكونوا[4]، أي عندما يقتنعون أن ما يأتي من الغرب وإنجلترا هو الأحسن، ويقل بذلك تمسكهم بهويتهم وثقافتهم.

وإستثمار الشعور بالإنتماء في الإنسان أحد مقومات النهوض الحضاري وقد استوعبها محمد مهاتير، وبدت واضحة في ثقافته وكتاباته، وفي السياسة التي انتهجها لحل

---

[1] محمد مهاتير، طبيب في رئاسة الوزراء، ص59.

[2] عبد الوهاب المسيري: الهوية الحركية الإسلامية، ص 148

[3] كاتب وسياسي أنجليزي: في خطابه للبرلمان الإنجليزي في 2 فيفري 1835م، عن كتاب عبد الوهاب المسيري، الهوية والحركية الإسلامية، ص 148

[4] عبد الوهاب المسيري: الهوية والحركية الإسلامية، ص 148

مشكلات بلاده، إدراكا منه بأن البشر لا يتحركون في إطار عام، بل يتحركون ضمن إطار خاص تتحدد من خلاله حاجاتهم، وتوجهاتهم، وآمالهم، وغاياتهم، وتظهر حرقته على الملايويين وخوفه من تهميشهم في تعنيفه الشديد لهم في كتابه "المعضلة الملايوية" والذي كان هجوما على الملايويين وتبصيرهم بعيوبهم ولا مبالاتهم التي ستجعل منهم مواطنين من الدرجة الثانية[1] في بلدهم وهم سكانه الأصليون، وقد كان بمثابة صفعة قوية لهم استفاقوا بها من الوهن الذي كان يميز حياتهم، وهو في هذا يحي فيهم عناصر هويتهم، وضرورة إرتباطهم بملايويتهم والمحافظة على ماليزيا للملايويين بالدرجة الأولى.

مهاتير لم يبال بالإنتقادات الكثيرة التي وجهت إليه، خاصة لما ورد في هذا الكتاب بالذات، وأتهم بالعنصرية والنرجسية والتعصب، وقد قالها صراحة: "أنا ملايوي وأفتخر بذلك، وهناك أسباب كثيرة تدفعني إلى قول ذلك بهذه القوة والجرأة"[2]، ليبث هذا الشعور في كل ملايوي، يعتز بهويته ويفتخر بإنتسابه إلى بلاده، والحقيقة أن هذا الحماس فطرة في الإنسان عامة، والإنسان العربي رصيده كبير منه، وهناك فرق بين من يشعر به ويتحمس له وبين من يترجمه إلى عمل وحافز للتغيير نحو الأفضل، وهو ما يصنع الفارق بين بقاء الأول في رحم الماضي، والخيال، وأقصى ما يصل إليه التغني بالشعار، والثاني الذي رفع به همة الملايويين، وعنفهم بما جرح مشاعر الخيال والتيه فيهم، وأيقظهم من غفلتهم، فنهضوا وغيروا ما بأنفسهم فتغير التاريخ بفعلهم، وبدأت الحياة تسري فيهم من جديد بالإقبال على العلم والعمل، والتواصل مع العالم من حولهم معرفيا وثقافيا، وإمتلاك مؤهلات تمكنهم من رسم مكان لهم عالم متغير، ومتسارع نحو النمو التقدم في المناهج والوسائل، وبفضل التخطيط السديد والرؤية الواضحة التي صاغها محمد مهاتير تحقق لماليزيا نمو إقتصادي فاق كل تقدير، واعتبر من معجزات القرن[3]، لأن إعتناق قيم إيجابية عامل من عوامل النجاح.

وأصبح الملايوي الجديد يعمل وهو مقتنع بالنجاح، وشعاره في الحياة: [4] "أعتز بكوني ماليزي" والمترجمة إلى اللغة الإنجليزية "Proud to be Malaysian" وكذلك:

---

[1] محمد بابا عمي: القاموس الحضاري للمجدد محمد مهاتير، ص23

[2] محمد مهاتير: طبيب في رئاسة الوزراء، ص 43.

[3] محمد باب عمي: القاموس الحضاري للمجدد محمد مهاتير، ص 25

[4] عمر النقيب: مقومات مشروع بناء إنسان الحضارة، ص 113.

"الماليزي يمكن أن يفعل ما يريد" بالإنجليزية "Malaysian can do" وهي في الواقع حوافز قدسها الماليزيون، وسعوا إلى تحقيقها، لتكون ماليزيا نموذجا يحتذى به في تجاوز مشكلة الإمكان، والمرور إلى الوجود الحضاري ضمن نمور آسيا العملاقة.

وإعتزاز مهاتير بإنتمائه بلغ حدا كبيرا، حيث يذكر في مذكراته وهو يصف الملايويين بلون بشرتهم وتوسط قاماتهم، وأن "فتياتهم جميلات على نحو مذهل إلى حد أن المرء –ولاسيما إذا كان مالايويا مثلي- يساوره حس عميق بالإعتزاز عندما يراهم"[1] ثم بعدها بنتقل إلى بيان صفات شعب ملايا الطيب والمثقف، والمهذب، وهو أمر يبعث في نفسه الإعتزاز أكثر فأكثر.

من هنا نستنتج أن القائد الناجح هو من يهز شعبه ولو بالتعنيف، لكن يصل إلى أعماق وعيه ويلقي في نفسه الشعور بالمسؤولية التي يجب عليه الإضطلاع بها وإلا فلا يستحق العيش الكريم، ولا مكان له في عالم لا يرحم الضعفاء وقد كان محمد مهاتير كما قال عن نفسه، أنه ليس ملايويا على الورق فحسب، بل هو ملايوي بالحس والشعور والروح، ربط نفسه بالمطلق بكل ما هو ملايوي، وسخر حياته وجهوده لمشاكل الملايويين، لحاضرهم وماضيهم ومستقبلهم، يريدهم ولم بإستفزازهم أن يطورا أنفسهم، ويقفوا مستعدين متأهبين عوض الإتكاء على العكازات بكل أشكالها مثل برامج رفع المظالم، وغيرها من الشعارات المزيفة والأكاذيب المخدرة لإرادة الشعوب[2]. وهو بهذا يعلمنا أن بذل الجهد في الوقوف يحقق للإنسان التوازن بينما الإتكال على العكازات يكون سببا لفقدان التوازن حال ميلها أو سقوطها، وأن الأمة التي تريد إثبات وجودها، عليها أن تجعل من مكان إنطلاقها أرضا صلبة، ومن وقوفها ثباتا لن يتزعزع ولن يفقد التوازن مادامت متوفرة والإخلاص موجود.

2- عين على المستقبل:

مسيرة الزمن ممتدة، لا تعرف الانقطاع، و تياره متدفق، تتداخل فيه الأحداث وتتشابك باستمرار، فاليوم هو امتداد الأمس، وهو أمس الغد الذي هو سيكون محصلة لما قررناه وننجزه اليوم.

---

[1] محمد مهاتير: طبيب في رئاسة الوزراء، ص 53

[2] -المصدر نفسه ،ص53

والقرآن الكريم لا يروي لنا قصص السابقين للتسلية، بل ضمنها الله تعالى سننا وشرائط، وطلب من الإنسان النظر والتدبر فيها، لا ليراكم بها رصيد معلوماته، ولكن لتكون له منفذا يتطلع به إلى الحاضر و المستقبل فيُحكّم إليها حاضره، ليحدد موضعه من التاريخ، ومكانه بين الصلاح أو الفساد، ومن ثم يستشرف المستقبل ويحاول تلمس طريقه إلى الخير وإلى النهوض. وكما أن للتاريخ علم له مؤلفاته وبحوثه، فقد أصبح للمستقبل علم :" المستقبليات Futurlogt " له علماؤه ورواده، الذين يسعون إلى استشراف آفاقه، والبحث في كنفه المجهول، من خلال مبادئ وأسس عملية، تحكم عملية التوقع للمستقبل"[1] إذا أن الغفلة عن الماضي تورث الأمة ذهولا عن الحاضر، وغياب فكرة المستقبل تصبح حتما، حتى يراها سواد الأمة الخاملة، ترفا عقليا لا حاجة للبحث وتضييع الجهد فيه، إذ لو تفطنت للآيات القرآنية الكثيرة التي تخبرنا عن الأمم السابقة خاصة التي حل بها غضب الله، واستحقت عقابه، ويبين لنا الله تعالى سبب هلاكها، لأدركت أن الحكمة من القصص القرآني هي البحث عن السنن في أعماق الآيات وثنايا القصة، ثم تَمثُلها لرسم خارطة طريق يكون الحاضر أولى خطواتها نحو المستقبل، وكذلك أكد الرسول -صلى الله عليه وسلم- على عدم إهمال التاريخ حتى لا نكرر الأخطاء ونكرر دفع الثمن، كقوله ﷺ: " لا يلدغ المؤمن من جحر مرتين"[2] وهو يدربنا على تلمس الحق في أحداث التاريخ لأنّ في ذلك تزكية لأسمى ما في الإنسان، ووضعه على طريق الهداية"[3]، وإلى جانب ذلك، نكتسب مهارة التطلع إلى المستقبل إذ أن إيصال الإنسان إلى تعرف الماضي والأمور التي كانت خافية عليه، وعلى كيفية إبداع الأشياء الجديدة، وإيصالها إلى الناس، و فتح عين الإنسان وقلبه على هذا التاريخ، يجعله يعيش مستنير الفكر، وتكون رؤيته واضحة للعالم بشكل جديد ومبدع[4] وجعل الماضي منطلقا للمستقبل يكون بالإفادة من دروسه، من مواضيع الإحسان لآتباعها والزيادة عليها، ومواضع السوء والتعثر لاستخلاص الأسباب ومن تم تفادي تكرار النتائج، و الواقع الذي نعيشه يبين لنا أن

[1] -محمود محمد سفر: دراسة في بناء الحضاري، ص 57.

[2] -محمد بن اسماعيل البخاري: صحيح البخاري، كتاب الأدب، باب "لا يلدغ المؤمن من جحر مرتان، رقم 5782، ص547.

[3] -جودت سعيد، محمد عنبر: الإنسان و الحق، ط1 1417هـ- 1996م، دار الآفاق والنفس، دمشق، ص 34.

[4] -جودت سعيد: كن كابن آدام، ط1 1997، دار الفكر دمشق، ص127.

الدول التي تحسن التخطيط للمستقبل هي التي تنجح دوما، والتخطيط للحاضر و المستقبل لا بد أن يمر عبر الماضي، الذي يكون أرضا صلبة لبناء مخطط ومدروس، وهو الأمر الذي أدركه محمد مهاتير في قوله : "نحن الذين يمكننا أن نحدد المستقبل إذا أردنا، وإن لم نفعل فسوف يحدده لنا غيرنا ولا يمكن أن نلومهم إن جاء ذلك المستقبل لصالحهم، والأمر متروك لنا"[1] وهو قد استوعب من دروس التاريخ ثنائية الحركة المتمثلة في الفاعل والمفعول، والأمة أو المجتمع إن لم تفعل فستجبر على تقبل ما يفعله الآخر وهو دفعه إلى تطبيق قناعته في ضرورة استشراف المستقبل في " الرؤية 2020" التي تمثل هدف مسار التنمية الاجتماعية و الإقتصادية والسياسية لدولته، لأنها تضمنت فكرة واضحة عن المكان الذي ينوي الوصول إليه والحال التي ينبغي أن يكون عليها بلده بحلول سنة 2020[2]، والسبب في اختيار الرقم 2020 هو كون "تون مهاتير" طبيب، ورقم 20 يمثل نسبة الرؤية في كلتا العينين كاملة أي مائة بالمائة، دلالة على وضوح الرؤية ووضوح الهدف، والخروج بماليزيا في نهاية المدة من حالة التخلف إلى مصاف الدول المتقدمة، وتنتقل إلى الرقي السياسي والتقدم الإجتماعي والثقافي ليكون لدى أبناء ماليزيا ما يبرز اعتزازهم بكونهم ماليزيين[3] وهو ما جعل شعار الماليزيين "Malaysian can do" بالإنجليزية و باللغة الماليزية : "Malaysia boleh"[4] وإن كان المعتاد أن الشعارات عندنا كأمة –مسلمة– جوفاء لا تعكس أبدا محتواها، إلا أنه شعار تلمسه في ماليزيا أينما توجهت، وتراه في الإنجازات الضخمة هناك، لأنه لم يكن مجرد حماس بل كان دافعا إلى انتفاضة غيرت ماليزيا.

المطلب الثالث: الهوية الغرب:

1– معاهدات ماك مايكل:

إنها معاهدات قررت الإدارة البريطانية إبرامها لدمج الولايات الملايوية تحت محمية بريطانية واحدة وسمتها "الاتحاد الملايوي «حيث يكون الحكم المباشر في يد المستشار البريطاني

[1] –محمد مهاتير: الموسوعة، العلم والتكنلوجيا وحقوق الإنسان،المجلد7، ص 18.

[2] – محمد مهاتير: طبيب في رئاسة الوزراء، ص701.

[3] – المصدر نفسه، ص702.

[4] –عمر النقيب: مقومات مشروع بناء إنسان الحضارة في فكر مالك بن نبي التربوي، ص 113.

وتكون مهمة الحكام الملايويين صورية مقتصرة على الإشراف على المسائل المتعلقة بالعادات الملايوية، والإسلام فقط.

وسميت بهذا الاسم لأن الذي كان يسعى جاهدا في أن يحوز موافقة جميع حكام ملايا على الاتحاد الملايوي الذي يعني أن الأرض الملايوية ستكون وطنا لمن يريد الاستقرار بها، وأن الصينيين والهنود سيكون لهم الحق في جنسيتين، واحدة أصلية والثانية ملايوية على عكس الملايويين الذين سيصبحون مجرد رعايا وخدام للبريطانيين في أرض آبائهم وأجدادهم.

إنها اتفاقية مجحفة كان الملايويون سيفقدون وجودهم وهويتهم في أرضهم بعدها، لولا أن محمد مهاتير وكان سنه تسعة عشر سنة اتفق مع جملة من زملائه في المدرسة ليقود حملة معارضة شرسة، وهو شاب سنة 1944م بعد خروج اليابانيين من حزب مالايا بعامين سنة 1942[1] وكانت معارضة بسيطة جدا ولكن أشعلت فتيل الوعي لدى الملايويين الذين قادوا فيها بعد حملة شرسة وتم إفشالها.

يظهر من هذا الحدث الحسن الثوري عند مهاتير وهو ما زال شابا في المدرسة، وحبه لبلده ويقظته للخطر المحدق بها والذي غاب عن الملايويين لأسباب متعددة.

2- الإدارة الإستعمارية والملايو:

كأي دولة حديثة العهد بالإستقلال، كانت ماليزيا دولة فقيرة، يعتمد اقتصادها على الزراعة و إنتاج المواد الأولية، خاصة القصدير و المطاط، فكان مجتمعا زراعيا بامتياز، وأبرز العوامل المساعدة على بقائهم مزارعين فقراء هي السياسية البريطانية من جهة و من جهة أخرى طبيعة الملايويين، أما العامل الأول- أي السياسة الاستعمارية- فإن جهود المستعمر تركزت على إبقاء الأعراق الثلاث على بعد وانفصال، لينغمس الملايويون في الحياة الزراعية مما يعني استقرارهم في المناطق الريفية، وفي المقابل توجهت أنظار الصينيين إلى المراكز الحضرية و الهنود إلى مناطق المطاط، وقد أقنع الملايويون أنفسهم أن حالهم في الزراعة أفضل بكثير من العمالة المضنية عند البريطانيين بأجور بخسة ومعاملة سيئة والتي يرضى بها الهنود ولا يأبهون ما داموا يعملون، ولئن كان القرار حكيما آنيا إلا أنه على المدى البعيد ترتب عليه انغلاق المجتمع، وتخلفه عن ركاب التنمية[2] ومن الطبيعي أن هذا التخلف لن يقتصر على الجانب الاقتصادي بل سيغطي كل المجالات، إذ لا فاصل

[1] محمد مهاتير: طبيب في رئاسة الوزراء، ص115.

[2] المصدر نفسه، ص 91.

بينهما، وسيصبح المجتمع متخلفا بكل المقاييس وهي رغبة المستعمر، لأن تقدمه وثراءه قائم على افقار المستعمرات حتى بعد استقلالها، وعمليات الظلم التي قامت بها الدول الأوروبية، وما تبعها من استنزاف للموارد الطبيعية و البشرية وخلخلة وتشويه المسار الطبيعي لهذه المجتمعات، أدى إلى حدوث وضعين متزامنين متعاكسين: النمو و التقدم- بمعناه الأوروبي- في دول الشمال، والركود والتخلف في دول الجنوب[1] . وحتما تكون السياسة الأوروبية مبينة على النهب و الافقار لمستعمراتها ما دامت تؤمن بنظرية :" إن تنمية مجموعة ما تتم على حساب افقار مجموعة أخرى"[2] وتسعى إلى المزيد من الضغوط على أوضاع مستعمراتها مادامت المورد الوحيد للتموين عبر الاستنزاف.

والدول الاستعمارية ليست مستعدة لتقبل ضياع هذه الامتيازات فنجدها تتحايل لإقامة العلاقات الاقتصادية والسياسية مع مستعمراتها القديمة وهي في الظاهر علاقات جوار أو تعاون، لكنها في الحقيقة مقاربة بدلية للهيمنة الاستعمارية التي انقضت باستقلال مستعمراتها وهو الأمر الذي سلكه البريطانيون مع الملايويين خاصة، باعتبارهم أصحاب الأرض، في ابقائهم خارجا عن مساندة الحداثة والتطور باكتساب العلوم و المعارف، وراقت لهم فكرة مجتمع ملايوي بسيط، يعتمد على الفلاحة وتسد حوله المنافذ إلى النظر بعيدا، ويبقى جامدا يكتفي بالربح البسيط ويبيع خيراته وكنوزه بأبخس الأثمان، وتكريس فكرة الاتحاد الملايوي الذي يحكم نفسه في الظاهر، وله سلاطين يتولون الحكم المفترض، أما الحكم الفعلي فهو بريطانيا، وقد تفطن محمد مهاتير إلى هذا الأمر متأخرا، يقول: " في الواقع تنبع كراهيتي للبريطانيين وللاستعمار البريطاني من دراستي لأحداث الماضي، ومن الحقائق التي تفطنت إليها متأخرا"[3]، ويبدو أن الأمور كانت مشوشة في ذهنه، خاصة عندما غزا اليابانيون بلاده، وكان صغيرا، كما أن وسائل الاتصال كانت ضئيلة وغير متاحة، والقليل منها يفرض رؤيته، فكان البريطانيون يصورون اليابانيون غزاة، ومنه يبرؤون

[1]- نصر محمد عارف، نظريات التنمية السياسية المعاصرة، ط4، 1427هـ 2006 م، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، مكتب بيروت، ص 370.

[2]-محمد بجاوي، من اجل نظام اقتصادي دولي جديد، ت: جمال مرسي، الشركة الوطنية للنشر و التوزيع، 1980، ص14.

[3]-محمد مهاتير، طبيب في رئاسة الوزراء، ص 92.

أنفسهم وهم أشد ظلما وخطرا وبطشا من اليابانيين، وبعد اتضاح الرؤية، وإدراك الحقيقة، ونضج مهاتير تولى قيادة معارضة شرسة لفكرة الاتحاد الملايوي .

أما العامل الثاني في بقاء المجتمع الملايوي في عتبة الفقر هي الطبيعة الملايوية التي تحبذ الركون إلى الزراعة والمهن البسيطة على غيرها من المهن المتعبة، ولم يكن يهم الفرد الملايوي أن يجني ملا كثيرا بل كان القليل كافيا له، ما يفسر إنعدام الطموح في آمتلاك وسائل العمل الحديثة، و الإنطلاق في أعمل كبيرة، وهو الأمر الذي حاربه مهاتير في كتابه (المعضلة الملايوية) الذي تمحور حول ضرورة إيجاد حل للسلبية المميزة للملايويين، وهو بهذا يوافق مالك بن نبي في فكرته الشهيرة: " القابلية للاستعمار"** المتمثلة في الإستعداد الذي تبديه النفوس المنهزمة والكالة إلى أن تستعمر، وهي وضعية نفسية يكون بها الانسان مقنعا نفسه بعدم جدوى التغيير، وأنه لا بد من قبوله بالواقع وإن كان هيمنة إستعمارية أو غيرها وينبهنا مالك بن نبي في هذه الفكرة إلى تسمية الأشياء بمسمياتها، وضرورة إرجاع الحوادث لأسبابها، حتى لا نوهم أنفسنا إن كنا ضعفاء، وفقراء، بأن سبب ما نعانيه هو الإستعمار، إذ الأصل ونحن نبحث في أسباب أحوالنا، أن نسأل لماذا استعمرنا؟ هنالك سنعرف أننا نتحمل جزءا مهمامن تبعات الإستعمار، إذ يرى مالك بن نبي أنه لكي نتحرر من الإستعمار لابد لنا أن نتحرر أولا من سببه وهو القابلية للاستعمار[1]. وهو ما أدركه محمد مهاتير وهو يحلل أسباب المعضلة الملايوية، وبيان أن مجرد نيل الإستقلال لن يحل الإشكال، بل لا بد من تغيير العقلية الملايوية نفسها إذ تتمحور المعضلة الملايوية حول حال الملايويين، وهل ينبغي لهم القناعة بكونهم فقراء[2]، وحبهم للربح السهل جعلهم يبيعون قطع أراضي، أو أسهم يكون لهم امتياز استهلاكها إلى الصينيين مقابل أثمانها، عوض استغلالها في تكوين أرباح طائلة، ما جعل مهاتير يعنفهم ويصفهم بالكسل و الإستسلام للأمر الواقع، والرضا بأن تظل بلادهم دولة متخلفة تعتمد على الزراعة، دون أن تسعى إلى أي تغيير، ما جعل مسؤولي الحزب الحاكم " أمْنو" يتهمونه بالتعصب و التمرد، ويطردوه من الحزب مع منعهم لكتابه من الصدور.[3]

**القابلية للاستعمار: تعني الإستسلام والخنوع عن كتاب مالك بن نبي، وجهة العالم الإسلامي ص،32

[1]-مالك بن نبي، وجهة العالم الإسلامي، ط1 1434 هـ- 2013م، دار الوعي الجزائر، ص32.

[2]- محمد مهاتير، طبيب في رئاسة الوزراء، ص280

[3]-عادل الجوجري، النمر الآسيوي محمد مهاتير، ص76.

وإلى جانب هذه العوامل، تجتمع عوامل الخروج من الاستعمار، و عدم اكتساب العلوم والمعارف اللازمة للتطلع نحو التغير، وغيرها في استمرار الملايويين على حالة الفقر التي كانوا عليها. ما دفع المهتمين بالشؤون الاقتصادية الآسيوية يدرسون ويكتبون عنها، ومن بينهم الاقتصادي السويدي: جونار ميردال، الذي أطلق وصف المعاناة على الاقتصاديات الآسيوية في كتابه الصادر عام 1968، وكان عنوانه: " المأساة الآسيوية: دراسة لفهم أسباب فقر الأمم"[1] وهو يوافق في دراسته، الحقيقة التي لم يخفها مهاتير حول الطبيعة الملايوية، وانزعاجه من السلبية و الإتكالية التي يتميزون بها، والتي لا تعطي أملا قريبا بتغيرها، ورأى- أي مهاتير- أنه من الضروري مواجهة الملايويين بهذه الحقائق، و العيوب التي تحول بينهم وبين تغيير أحوالهم، تحقيقا لقوله تعالى(**إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ**)[2]، و المجتمع كالإنسان، إن كان مريضا ولا يشعر بالألم، ولا بخطورة المرض فلن يبحث عن علاج مناسب له، أو إذا شعر بالمرض لكنه تعايش معه، فسيكتفي بتناول المهدئات ويستكين لحالته، أما المريض الفطن فنجده حال إحساسه بأن شيئا ما يزعجه، فتجده يبحث في أسباب ما يقلقه، ويبحث عن الطبيب الأمهر ليجد له علاجا، ويحافظ على صحته، وكذا المجتمع الذي يعاني من الفقر و التخلف، إما أنه يحس بالألم وضرورة إيجاد الحل، للخروج إلى حال الصحة و الرفاهية، ومنه نفهم بلاغة تشبيه الرسول صلى الله عليه وسلم للمؤمنين في قوله: "مثل المؤمنين في تراحمهم وتوادهم وتعاطفهم كمثل الجسد الواحد ،ذا اشتكى عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى"[3] إذ المجتمع مثل الجسم، معرض للأمراض والالام، حتى ينتبه الانسان الذي وصل إلى طب الجسد أنه يمكنه أن يصل إلى طب المجتمع، وأكيد أن أمراض المجتمع أشد خطورة، وهي قابلة للتفاقم في غياب طب المجتمع، وانعدام الطبيب المعالج، الذي يعيد العافية والصحة للمجتمع السائر نحو الرقي، وكما يشفى الجسد بالدواء، كذلك يعالج المجتمع الفقير، المتخلف بالعلم و العمل والمثابرة، وهي النتيجة التي يستخلصها من يتبع كيفية تقدم طب الأجساد والذي أصبح بإمكانه معالجة الإنسان وتخفيف آلامه، وتحقيق

[1]- المرجع نفسه، ص53.

[2]-سورة الرعد، الآية: (11) .

[3]- محمّد بن اسماعيل البخاري، صحيح البخاري، كتاب الأدب، باب رحمة الناس والبهائم، رقم الحديث، 6011، ص1508 .

الشفاء له في أكثر الأحيان، بأنه من الممكن أيضا أن يوجد الصفوة من أطباء المجتمع وهم المصلحون والقادة الذين يضعون أمراض المجتمع في مختبراتهم ويسهرون ويجدون لإيجاد العلاجات المناسبة لها، و الجرعات المناسبة من كل دواء، ولنا في اليابان خير مثال حيث وجدت أطباء مهرة قاموا بتطهير جروحها النازفة، ومعالجتها، وإعطاء المجتمع وصفة ساحرة من العزم و التصميم و التفاني من أجل الوطن، حتى أوقفوه على قدميه وبقي يرتقي إلى أن نافس من حاولوا من قبل تهديم كل بناه التحتية و تفجير حقدهم في ناجازاكي وهيروشيما.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

اتمة الفصل:

لا مجال للإختلاف حول كون محمّد مهاتير دخل التاريخ مناضلا، لكن بالعلم و التكنولوجيا، فكان النمر الآسيوي الذي استطاع أن يخرج بلاده من دائرة التخلّف، و يبنيها على أسس إسلاميّة و حضاريّة، في جوّ من السلام و الأمن، و برؤية طبيب ماهر نجح في تشريح أدوائه و إيجاد العلاجات المناسبة لها، مدركا أنّ أيّ نهوض خارج الإستثمار في الإنسان محكوم عليه بالفشل، على اعتبار أنّ الإنسان هو محور كلّ بناء حضاري، و على قدر الإهتمام يكون النجاح، و هو ما لمسناه عند محمد مهاتير الذي بنى مشروعه النهوضي على الإنسان فتحقّق له النجاح، و ركّز على الإنسان الملايوي فاستعمل معه التعنيف و اللوم تارة، و السياسات الإقتصاديّة و الإجتماعيّة و التعليميّة المتنوّعة تارة أخرى، ليصل إلى تخليصه من الذلّ و الضعف و الفقر و يصنع منه رجل حضارة يتحرّك التاريخ بخطواته.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

الفصل الثّالث:

مرجعية مهاتير الإسلامية

وأسس الإبعاث الحضاري عنده

تمهيد:

إنّ المتتبع لمسيرة الحضارات يلاحظ أنها تقوم وتفرض نفسها ما تيسر لها من الزمن ثم تسقط، ولا توجد إشارة في التاريخ على قيامها من جديد، أو حتى إمكان ذلك، والسبب أن الفلسفة التي قامت عليها، هذه الحضارة أو تلك وضعيّة، أدت دورها في قيامها واستهلكت، لكن الأمر مختلف مع الحضارة الإسلامية والسبب هو أن المرجعية التي قامت عليها تختلف عن باقي المرجعيات من فلسفات وإيديولوجيات، وهو الوحي الإلاهي الخاتم والخالد، الذي استمدت أسسها منه فكان المحرك الحضاري لها بما يحتويه من عقائد وقيم وقصص للإعتبار، وتشريع يوجه الحياة في كل جوانبها، قامت على أساسه حضارة الأمة لقرون من الزمن، تلتها مراحل وهن حضاري لأسباب حجبت عن الأمة الرؤية والنظر اللذان كلفت بهما في الآفاق والأنفس وآيات الوحي، وزوال هذه الحجب كفيل بعودة الأمة إلى الفعل وخروجها من التيه، مادامت أسس انبعاثها قائمة بوجود القرآن الكريم والسنة النبوية، لاسيما أنها أدركت يقينا بأن قيام الحضارات أو سقوطها محكوم بسنن بينها الله تعالى في كتابه العزيز، كما أن جعلها أمة وسطا، واصطباغها بالخيرية على الأمم كسب[1] يحتاج منها إلى تحقيق أسبابه، وتوفير شروطه، والسعي الجاد إلى إدراك أسس انبعاثها الحضاري من جديد. فما هي أسس الإنبعاث الحضاري المطلوب من الأمّة الإسلاميّة تحقيقها و تفعيل دورها من جديد؟

و لقد ضمّنت هذا الفصل مباحث ثلاث و جملة من المطالب، هي:

المبحث الأوّل: أسس الإنبعاث الحضاري الإسلامي في القرآن و السنّة، و يشتمل على مطالب أربعة تتنوّع بين الأساس العقيدي، و العقلي النظري، و السنن التاريخي ثم الأخلاقي التربوي.

المبحث الثاني: أسس الإنبعاث الحضاري الإسلامي في الفكر الإسلامي المعاصر، ويشتمل على مطالب ثلاث تدور حول التاريخ و دوره في حفظ الحضارات، ثمّ الهويّة و الحركيّة، ثمّ التغيير و دور الإجتهاد.

المبحث الثالث: أسس الإنبعاث الحضاري عند محمّد مهاتير، وضمّنته مطالب ثلاث حول، حبّ العمل، واستقامة الفهم، واستشراق المستقبل.

[1] عبد المجيد النجار، الشهود الحضاري للأمة الإسلامية، عوامل الشهود الحضاري، الجزء2، ص6.

المبحث الأول

أسس الانبعاث الحضاري في القرآن والسنة

لابد من بيان أسس الإنبعاث الحضاري للأمة الإسلامية حت يكون تحديدها منطلقا له وجزء من العلاج اللازم لوهنها المتد عبر القرون، وأول هه الأسس:

المطلب الأول: الأساس العقيدي:

1- **دور العقيدة:**

لم تقم حضارة من الحضارات البائدة إلا وكانت العقيدة هي العامل المحرك لها،سواء تمثلت هذه العقيدة في فكرة دينية أو فلسفة أو إديولوجية تستقر في وعي الأفراد والمجتمعات لتحدث واقعا مغايرا وإدراكا جديدا لقضايا الحياة كلها[1]، تبني على أساسه رؤى جديدة تمهد للتغيير وبالتالي لبداية دورة حضارية دوامها مرهون بأثر تلك العقيدة قوة أو ضعفا، ما يؤكد أن العقيدة هي الأساس المحدد لأفعال الأمة في طريق بناء حضارتها والموجه لحياة الأفراد فيها.

والعقيدة الإسلامية هي أساس الدين كله، بما تحمله من دلائل تشمل مساحة واسعة من الحقائق الغيبية الثابتة بالوحي، وكذا الحقائق الإيمانية الضرورية للإنسان متمثلة في رؤية كونية حددت معالم العلائق بين أركانها، وبنت عليها مختلف الأحكام والتشريعات انطلاقا من التوحيد الذي تنضبط به، ووصولا إلى المنظومة القيمية[2] الواسعة المنبثقة عن الوحي قرآنا وسنة.

والمقصود من هذا العنصر ليس تعريف أو ضبط مصطلح العقيدة فهو مسألة كثر الكلام والبحث فيها منذ زمن بعيد والمسلم الآن لا يحتاج إلى شرح كلمة "عقيدة" أو بيان مدلولاتها، فالرعيل الأول الذي أطلق الدورة الحضارية الإسلامية لم يتمثل معانيها فهما وجدلا بل تمثل آثار العقيدة الإسلامية استيعابا وتطبيقا فعليا في واقع الحياة، فكان أثرها ثورة عظيمة هزت أركان الشرك والجاهلية وغيرت معالم الحياة كلها، وفي هذا المعنى يقول مالك بن نبي: " وعليه فليست المشكلة أن نُعلِّم المسلم عقيدة هو يملكها وإنما المهم أن

[1] مالك بن نبي: شروط النهضة،ترجمة عمر مسقاوي وعبد الصبور شاهين، ط11،(1433هـ-2012م) دار الوعي للنشر والتوزيع، الجزائر، ص45. ص 56.

[2] محمد مهاتير، الموسوعة، الإسلام والأمة الإسلامية، ص153.

نـرد إلى هـذه العقيـدة فاعليتهـا وقوتهـا الإيجابيـة وتأثيرهـا الإجتمـاعي"[1] وأقصـد مـن هـذه الفكـرة ان العقيـدة الإسـلامية كانـت الـدافع للفعـل الحضـاري إلى أن فقـدت خاصـية الـدفع هـذه لـيس لسـبب ذاتي فيهـا، بـل لخلـل في أذهـان المسـلمين حـال دون اسـتقرار هـذا الـدفع في وعـيهم، كمـا منـع إحـداث الأثـر العقـدي الفاعـل لهـا، وهـو مـا يثبـت القـول بـأن العقيـدة الإسـلامية تملـك خاصـية الـدفع في ذاتهـا، كمـا تملـك القـدرة علـى صـياغة البنـاء الحضـاري للأمـة، مـتى تـوافرت الظـروف والعوامـل الـتي توقعهـا في النفـوس موقـع الفاعليـة والإنجـاز الحضـاري، مـا يجعـل الحضـارة الإسـلامية القائمـة عليهـا قابلـة للإنبعـاث مـن جديـد، ونـدرك ذلـك إذا انطلقنـا مـن آيـات كتـاب الله، وحاولنـا تتبـع معـاني ودلالاتهـا حـول ذلـك، وهـي العقيـدة الـتي حـددت معـالم النظـرة الكونيـة التوحيديـة وربطـت بـين أركانهـا الـثلاث الله، الإنسـان، الكـون، لتقـوم علـى حقيقـة الوجـود المتمحـور حـول وجـود الله، ووظيفـة الإنسـان وغايتـه الممتـدة بـين الـدنيا والآخـرة، ثم حقيقـة الكـون كمسـرح يمـارس فيـه الإنسـان عبوديتـه لله، ومهمتـه الاسـتخلافية وفق علاقة الطاعة لله والارتفاق[2] للكون على الأساس الأهم وهو التوحيد:

أ- حقيقة التوحيد:

التوحيـد هـو جـوهر العقيـدة الإسـلامية وعمودهـا الـذي ترتكـز عليـه قضـاياها الأخـرى إذ يشكل محور إنطلاق ودوران ومرجع فروع وجزئيات الدين كله.

فـالله سـبحانه وتعـالى هـو أصـل وعلـة كـل موجـود، وهـو إلـه مطلـق الكمـال﴿لَيْسَ كَمِثْلِـهِ شَـيْءٌ وَهُـوَ السَّـمِيعُ الْبَصِـيرُ﴾[3] ومـا عـداه عـالم مخلـوق كـل مـا فيـه راجـع إلى علتـه الأولى، وخاضـع في سـيرورته وتـدبيره لهـا، لا غايـة لـه أكـبر مـن إبتغـاء مرضـاته، بالسـير وفـق أمره ونهيه وخلقه، في منظومة عقدية تشريعية منشؤها ومنتهاها التوحيد.

[1] مالك بن نبي: وجهة العالم الإسلامي، ط1، 1434هـ-2013م، دار الوعي، الجزائر، ج1، ص54.

[2] كلمة الإرتفاق مصطلح يستعمله عبد المجيد النجار في كتابه الشهود الحضاري للأمة الإسلامية ، وله دلالة راقية في تحديد علاقة الإنسان بالكون المسخر له برفق وبما يحقق الخير دون الاضرار به أو استنزافه أو إفساده، الشهود الحضاري للأمة الإسلامية، ج1: فقه التحضر، ص127.

[3] سورة الشورى، الآية: (11)

وإذا تأملنا الجيل الأول من المسلمين نجد أن التوحيد كان قناعة إيمانية انتظمت على أساسها رؤاهم وتوجهاتهم[1]، ترجموها إلى سلوكات وأفعال تسامت بها هممهم نحو إبتغاء مرضاة الله كغاية أسمى للوجود.

لنفهم من ذلك أن العقيدة الإسلامية لا تقتصر على التصديق واليقين الجازم وحده، بل لابد لها من شق ثان ملازم، وهو أثر هذا التصديق واليقين بما يستغرق الحياة بجوانبها الفكرية والعملية[2]، ويشمل حركة الإنسان ويراقبها ليعيدها إن انحرفت أو حصل لها تشويش أو غبش، وهو تفسير اقتران الإيمان بالعمل الصالح في معظم آيات القرآن الكريموما يترتب على هذا الإقتران من جزاء في الآخرة، وفي ذلك يقول الله تعالى: ﴿ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ﴾[3] وهو الفرق بينها وبين العقائد في الأديان الأخرى إذ لا نجد ذلك الإتحاد بين حركة الفكر والعواطف، ودوافع العمل، ما يفصل بين الفكر والعمل، وهو أمر خطير أشارت آيات القرآن الكريم وأحاديث الرسول ﷺ إليه في تبديد طاقات الإنسان وقتل البواعث الداخلية فيه من أن تنطلق ليترجمها إلى سلوك مندفع نحو بناء الحضارة.

كما أن إرهاصات الإنحراف عن هذا النهج الأصيل إنما بدأت من وقت الفصل بين التوحيد وأثره في السلوك[4]، ليبدأ التشويه في التصور والفكر لها، وما صاحبه من ضعف لأثره وأثر الإسلام ككل، مهد للفصل بين أجزاء الدين وجوانبه المتعددة التي كانت تؤلف وحدة وكلا متماسكا لا يتجزأ، تظهر هذه اللحمة في آيات القرآن كله مثل قوله تعالى: ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنْزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ وَأَنْزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ وَرُسُلَهُ بِالْغَيْبِ إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ ﴾[5] وهو شمول أدركته فهوم الصحابة الكرام بالعمق الذي جعل أهدافهم أبعد مدى وأعلى من الأهداف المادية القريبة، فقد كان الإسلام بالنسبة إليهم قناعة عقلية بحقائقه الإيمانية وفهما وتطبيقا لأحكامه العملية سواء في مجال العبادات أو المعاملات (التشريع

[1] محمد مهاتير: الموسوعة،الإسلام والأمة الإسلامية،المجلد 1، ص160.

[2] عبد المجيد النجار: الشهود الحضاري للأمة الإسلامية، الجزء 1: فقه التحضر الإسلامي،ج1، ص 35.

[3] سورة النور، الآية: (55)

[4] محمد مهاتير: الموسوعة، التحدي،المجلد2، ص91.

[5] سورة الحديد، الآية: (24).

الإجتماعي) ثم شعورا نفسيا بالمسؤولية أمام الله في إنزال تلك الأحكام موضع التطبيق، سواء منها ما تعلق بهم أو بغيرهم [1] دون أن يكون في أذهانهم تصور يقصر التوحيد على بعده النظري بقضاياه التجريدية الغيبية، بل على العكس من ذلك ربطوا الإيمان بالعمل، والعبادة بمعناها الواسع في تحقيق الخلافة في الكون، تمثلا لطاعة الله في أقوالهم وأفعالهم وسلوكاتهم ضمن رؤية تنطلق من التوحيد لتعود إليه بتوجيه من القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة ليظهر لنا أن الضرورةتوجب على الأمة إذا أرادت النجاح والرقي من الناحيتين المادية والمعنوية، أن توسع مدلول العقيدة وأثرها في النفوس، لتشمل مساحة أوسع مما هي عليه الآن[2] إذ أنه ما لم يمتد مدلول العقيدة ليشمل حياة الإنسان، فإنه لن يتحقق أثرها في ذلك الدفع ولن تكون صورته في صافية كما جاء في القرآن والحديث، وكصورته التي استقرت في أذهان أوائل المسلمين الذين أدركوا انطلاقتهم في الآفاق لنشر الدعوة وتحرير العباد من الاستبداد، والتعمير في الأرض على أن كل ذلك يندرج ضمن مدلول العقيدة، فكان انطلاقهم فاعلا، وانجازهم الحضاري مشهودا، وقد كانوا في ذلك الفهم لمدلول العقيدة منطلقين من روح القرآن والحديث في تعدية هذا المدلول إلى دائرة واسعة من تعاليم الدين ذات البعد العملي وهي أوسع بكثير من تلك التعاليم ذات البعد النظري وإن تكن هي الأساس الأول للاعتقاد[3]، فالوصل إذن بين الإيمان والعمل النافع المثمر والذي سماه القرآن عملا صالحا أي محققا للنفع والخير أو لنقل للمصلحة، ومقاصد الشريعة الإسلامية التي عرفها العلماء بكونها تحقيق مصالح العباد في الدارين [4]، والقرآن الكريم يحمل هذه الدلالة في آياته وسوره، حيث لا تخلو آية تذكر تشريعا أو حكما مهما كانت صفته إلا وكانت المصلحة هي غايته ومقصده، يقول تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى الْمَرَافِقِ وَامْسَحُوا بِرُءُوسِكُمْوَأَرْجُلَكُمْ إِلَى الْكَعْبَيْنِ وَإِنْ كُنْتُمْ جُنُبًا فَاطَّهَّرُوا وَإِنْ كُنْتُمْ مَرْضَىٰ أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ أَوْ جَاءَ أَحَدٌ مِنْكُمْ مِنَالْغَائِطِ أَوْ لَامَسْتُمُ النِّسَاءَ فَلَمْ تَجِدُوا مَاءً فَتَيَمَّمُوا صَعِيدًا طَيِّبًا فَامْسَحُوا بِوُجُوهِكُمْ وَأَيْدِيكُمْ مِنْهُ ۚ مَايُرِيدُ اللَّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُمْ مِنْ حَرَجٍ وَلَٰكِنْ يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمْ وَلِيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾[5]

---

[1] محمد المبارك: نظام الإسلام العقيدة والعبادة، ط4، دار الفكر 1975م- 1395 هـ، بيروت، لبنان، ص 21.

[2] عبد المجيد النجار: مراجعات في الفكر الإسلامي، ط1، دار الغرب الإسلامي، تونس 2008، ص 19.

[3] المرجع نفسه ، ص 19.

[4] أبو إسحاق الشاطبي: الموافقات في أصول الشريعة، د.ط، د.ت، دار المعرفة لبنان،،المجلد الثاني: ص 5.

[5] سورة المائدة، الآية: (6)

ويكفي ما وصل إليه العلم من إثبات لفوائد الطهارة وأثرها على الإنسان، في صحته الجسمية والنفسية معا ويقول أيضا: ﴿لَا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِنْ نَجْوَاهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَاحٍ بَيْنَ النَّاسِ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ ابْتِغَاءَ مَرْضَاةِ اللَّهِ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا﴾[1] فتربط الآية بين النجوى وفعل الخيرات والأجر العظيم حال الإخلاص " في إطار العبادة والتقوى، يحدد الله عز وجل إطار الخير في أحاديث الناس بعضهم مع بعض، وهو مظهر من مظاهر العبادة والتقوى عظيم، فبين أن الحديث الخير هو ما كان أمرًا بصدقة أو أمرًا بمعروف، وهو الحق والعدل أو كان إصلاحا بين الناس وهو من ألصق آثار التقوى "[2] وقال تعالى أيضا: ﴿ وَإِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ فَبَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَلَا تَعْضُلُوهُنَّ أَنْ يَنْكِحْنَ أَزْوَاجَهُنَّ إِذَا تَرَاضَوْا بَيْنَهُمْ بِالْمَعْرُوفِ ذَلِكَ يُوعَظُ بِهِ مَنْ كَانَ مِنْكُمْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآَخِرِ ذَلِكُمْ أَزْكَى لَكُمْ وَأَطْهَرُ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾[3] والآيات كثيرة جدا في ربط الأحكام بمقاصدها التي هي علة التشريع، والتي ندرك بها البعد العملي للعقيدة والمتعلق بجوانب الحياة، الفردية منها والجماعية، والذي بغيابه تفقد الأمة أساسا مهما من أسس الدفع الحضاري، وهو ما حذر منه رسول الله ﷺ أمته حين أشار في حديث رواه زياد بن لبيد رضي الله عنه قال « ذكر النبي ﷺ شيئا فقال: وذاك عند ذهاب العلم، قلنا يا رسول الله وكيف يذهب العلم ونحن نقرأ القرآن ونقرئه أبناءنا وأبناؤنا يقرئونه أبناءهم إلى يوم القيامة؟ فقال: ثكلتك أمك يا ابن لبيد، إن كنت لأراك من أفقه رجل بالمدينة، أو ليس هذه اليهود والنصارى يقرؤون التوراة والإنجيل ولا ينتفعون مما فيهما بشيء» [4] والحديث واضح في بيان أن فاعلية العقيدة إنما تتحدد بمدى تأثيرها في الإنسان وتمكنها من توجيه طاقاته إلى الحق والخير والفعل في الواقع.

---

[1] سورة النساء، الآية: (114).

[2] سعيد حوى: الأساس في التفسير، ط7، 1430 هـ - 2007 م، دار السلام، مصر، ج1، ص 579.

[3] سورة البقرة، الآية: (232).

[4] أبو عيسى محمد الترمذي: سنن الترمذي، كتاب العلم، باب ما جاء في ذهاب العلم، رقم 2653، ج3، ص 58-59أخرجه ابن ماجه فى الفتن: باب ذهاب القرآن والعلم: 1344/2. وقال الهيثمي فى الزوائد: هذا إسناد صحيح رجاله ثقات إلا أنه منقطع. قال البخارى فى التاريخ الصغير: «لم يسمع سالم بن أبى الجعد من زياد بن لبيد، وتبعه على ذلك الذهبى فى الكاشف، وقال: ليس لزياد عند المصنف سوى هذا الحديث، وليس له شيء فى بقية الكتب» انتهى. وعبارة البخارى فى الصغير هى: وهو مرسل لا يصح. التاريخ الصغير: 41/1.

والعقيدة الإسلامية تملك خاصية الدفع من حيث كونها نابعة من القرآن والسنة، وحي الله الخالد إلى قيام الساعة، ما يعني أن الخلل في وقوع التوحيد والعقيدة عموما موقع الضعف في النفوس سببه انحسار الفهم وقصر العقيدة على مواضيع مجردة كما انتهى إليه الأمر منذ زمن بعيد، وكما هو الأمر اليوم عند عامة المسلمين، بل عند كثير من خاصتهم المتعلمين وعند بعض من المختصين في علوم الدين، لو تأملت ذلك لوجدت أن هذا المدلول يتركز على القضايا الأساسية في العقيدة، وهي الإيمان بالله والنبوة والوحي والملائكة والقدر، وما هو مندرج ضمنها [1] ليضيق مدلول العقيدة وينحسر أثره في النفوس، ويفقد القدرة على أن يتسع ليشمل مسائل أخرى ذات معان عقدية أيضا يدخل التصديق بها إلى دائرة الإيمان ويخرج التكذيب بها إلى دائرة الكفر، ومن أمثلتها مسألة شمولية الدين والروح كجزء من التركيب الإنساني، ومهمة الخلافة في الأرض كغاية لحياة الإنسان والعدالة الإجتماعية كقاعدة في بناء المجتمع. [2] أي أن مسائل العقيدة أخذت تضيق وتنفصل أجزاؤها لتختص بالقضايا الأساسية الظاهرة، ويبدأ انحراف مدلول التوحيد في النفوس ويظهر ضعف تأثيره فيها بينما آيات القرآن الكريم ربطت بين الإيمان بالله وكل أعمال الإنسان ففي قوله تعالى﴿مَا سَلَكَكُمْ فِي سَقَرَ (42) قَالُوا لَمْ نَكُ مِنَ الْمُصَلِّينَ (43) وَلَمْ نَكُ نُطْعِمُ الْمِسْكِينَ (44) وَكُنَّا نَخُوضُ مَعَ الْخَائِضِينَ (45) وَكُنَّا نُكَذِّبُ بِيَوْمِ الدِّينِ (46) ﴾[3] فكان سبب هلاكهم واستحقاقهم للعقاب في النار تركهم للطاعات المختلفة من فرائض كالصلاة، وكأخلاق سامية كإطعام المساكين إلى جانب تكذيبهم بيوم الدين يقول سيد قطب:"﴿ قَالُوا لَمْ نَكُ مِنَ الْمُصَلِّينَ ﴾وهي كناية عن الإيمان كله، تشير إلى أهمية الصلاة في كيان هذه العقيدة، وتجعلها رمز الإيمان ودليله، يدل إنكارها على الكفر، ويعزل صاحبها عن صف المؤمنين"[4] لنلمس الربط بين الإيمان وطاعة هي أهم الطاعات والفرائض، وتتواصل الآيات ونواصل معها عرض سيد قطب ﴿ وَلَمْ نَكُ نُطْعِمُ الْمِسْكِينَ ﴾ وهذه تلي عدم الإيمان، بوصفها عبادة الله في خلقه بعد عبادته –سبحانه– في ذاته، ويدل ذكرها بهذه القوة في مواضع شتى على الحالة الإجتماعية التي كان القرآن يواجهها، وانقطاع الإحسان للفقير في هذه البيئة القاسية، على الرغم من الفخر بالكرم في مواضع المفاخرة والإختيال، مع تركه في مواضع الحاجة

[1] عبد المجيد النجار: مراجعات في الفكر الإسلامي، ص 18

المرجع نفسه، ص 18.

[3] سورة المدثر، الآيات: 42-46.

[4] سيد قطب :في ظلال القرآن، ط3، دار الشروق، القاهرة، 1397 هـ- 1977م، م 6، ص 3761

والعطف الخالص البريء» [1] إذ نلاحظ تغير معنى السلوك الواحد بفعل العقيدة التي تبعث عليه، ففي حالة انبعاث الكرم من مجرد المفاخرة سيكون متى أعتُقِد أنه سيحقق ذلك وإلا فلن يُلتفت إليه، بينما إذا إنبعث من الإيمان كان قناعة راسخة في النفس تسعى دائما إلى الإجتهاد فيها. وقد عبر ابن خلدون عن ذلك تعبيرا دقيقا من العمق بما يلخص كل ما سبقت الإشارة إليه في تأثير التوحيد في النفس إذ يقول أنه: "حصول كيفية من ذلك الإعتقاد القلبي (التوحيد) وما يتبعه من العمل مستولية على القلب، فيستتبع الجوارح، وتندرج في طاعتها جميع التصرفات حتى تنخرط الأفعال كلها في طاعة ذلك التصديق الإيماني"[2] هذا على المستوى الفردي حيث نلاحظ كيف يؤثر التوحيد على الجوارح، ويوجهها لتنضبط حركاتها في الطاعة والإنقياد لله تعالى، وهو الأمر ذاته على المستوى الجماعي، إذ يقول مبينا أثر التوحيد: " إن القلوب إذ انصرفت إلى الحق ورفضت الدنيا والباطل وأقبلت على الله اتحدت وجهتها، فذهب التنافس، وقل الخلاف وحسن التعاون والتعاضد، واتسع نطاق الكلمة لذلك فعظمت الدولة"[3] فيتبين لنا دور التوحيد في تجنيد طاقات المجتمع لتنخرط في منظومة قيمية، منطلقها التوحيد، وغايتها مرضاة الله، وشعارها الحق، والخير، والتعاون، إذ أن فكرة التوحيد التي جاء بها الإسلام تنتهي إلى جعل غاية الحياة بغاية خلافة الله في الأرض وتعميرها ماديا ، وتحريرا للإنسان لتكون عبودتيه خالصة لله، وتنزيلا للطبيعة في النفوس على أنها المسخرة للإنسان المخلوقة من أجله، وهو ما استقر في وعي البدو من ذوي الفطر السليمة الخالية من المذاهب والأديان، فحلت في نفوسهم محل الدافع الذي استنفرهم في قوة عجيبة ليبنوا الحضارة الإسلامية، وما تراجع التحضر الإسلامي إلا بإنحسار هذا الدافع حينما تراجعت عقيدة التوحيد عن موقعها العميق في النفس إلى موقع سطحي»[4] ومن هنا نتبين أن التوحيد كان عامل البناء لما ارتبط بأثره في النفوس، فبنى الفرد المسلم الصالح، والمجتمع المؤمن المتآخي المتآزر، والأمة الشاهدة على غيرها من الأمم بإيمانها وصلاحها وخيريتها، والذي تحول إلى عامل تداعي لحضارة شامخة في دورة من دوراتها بزوال أثر هذا الدافع، لندرك بعد ذلك أنه عامل يحمل خصائص في ذاته، تميزه عن غيره وهي خصائص القدرة على التأثير من جديد متى توفرت الأسباب والعوامل المساعدة مرة أخرى.

[1] سيد قطب :في ظلال القرآن، ط3، دار الشروق، القاهرة، 1397 هـ- 1977م، م 6، ، ص 3761

[2] ابن خلدون: المقدمة، ص 426

[3] المرجع نفسه، ص: 142

[4] عبد المجيد النجار: الشهود الحضاري للأمة الإسلامية، فقه التحضر، ج1، ص 35

ب- **تفعيل التوحيد:**

مادام التوحيد هو هو لم يتغير ، والعقيدة بقيت صحيحة لم تؤثر فيها القرون وأحداثها، وهي نعمة من الله تعالى الذي وعد بحفظ دينه، إذ الخلل في حامليه ومعتنقيه ونحن إذ نبحث في أسس الإنبعاث من جديد وبالذات في هذا العنصر لابد من التنبه إلى ضرورة إحياء أثر العقيدة في النفوس، وإخراجها من الحيز الضيق الذي انحسر إليه مدلولها لأسباب متعددة،[1] يبقى التفصيل فيها في عناصر لاحقة، إذ يجب التنبه إلى دورها الخطير الذي دل عليه تاريخ الحضارة الإسلامية، والذي على أساسه ينطلق البحث في كيفية إعادة خاصية الدفع للعقيدة، التي تبقى محافظة على مقوماتها وطاقتها الفاعلة، وكل ما تحتاجه هو إنزالها منزل الفعل، وربطها بالحياة فكرا وسلوكا، لتكون منطلقا ومرجعا في الوقت ذاته، وروحا تسمو بالعقل والجوارح نحو الإعمار والبناء وتحقيق غاية الوجود، تمثلا لقوله تعالى: ﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آَمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ﴾[2] وهو وعد من الله للذين قرنوا الإيمان بالعمل الصالح ووعده تعالى متحقق ناجز للمؤمنين، لأن حقيقة الإيمان الذي يحقق وعد الله تعالى، ينبغي أن تكون بقدر يمكنها من استغراق الوجود كله، وضمنه النشاط الإنساني كله، والذي يتوجه بها حالما تستقر هذه الحقيقة في نفس الإنسان، فيترجمها إلى نشاط وفعل وإنشاء وتعمير يتوجه به إلى خالقه، كما أنها طاعة وانقياد لله تعالى واستسلام لأمره في الجزئيات كلها ، كبيرها وصغيرها، حتى لا يبقى معها حظٌ لهو النفس أو شهواتها، وتكون متوجهة كلها إلى الله تعالى وفق ما جاء به النبي صلى الله عليه وسلم[3]، وهو بالضبط ما يساعد الإنسان على أداء مهمة الخلافة، والتي هي كما بينا سابقا مهمته الوجودية الأولى، والتي من أجلها خلق، وفي الآية دلالة ظاهرة على أن الإستخلاف مكافأة للذين آمنوا وعملوا الصالحات، أما الذي أراه يربط بين كون الخلافة مهمة للإنسان في قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾[4] وبين كونها تحفيزا يكافئ الله تعالى به عباده المؤمنين الذين يعملون الصالحات إذ أن الله تعالى لما جعل الإنسان خليفة في الأرض أهّله لهذه المهمة وسخر له الكون ليكون مسرحا لأدائها لكن يبقى على الإنسان إذا أراد نيل شرفها أن يسعى لها سعيا بالصدق في الإيمان والإجتهاد في عمل الصالحات، وإصلاح الكون فإن بدا منه ذلك إستحق أن

[1] محمد مهاتير: الموسوعة، قضايا معاصرة،المجلد 10، ص13.

[2] سورة النور، الآية:(55)

[4] سورة البقرة، الآية:(30)

ينال شرف الإستخلاف ويكون أهلا لحمل أمانته وهي ليست مجرد ملك وقهر وغلبة، إنما هي هذا كله، للكنه مشروط بحسن استخدامه وتوجيهه لضمان العدل وضبط النفس به على التعمير والبناء وتحقيق المنهج القويم الذي ارتضاه الله تعالى لعباده، وبينه للبشرية كي تسير عليه، وتصل عن طريقه إلى مستوى الكمال، فتستحق بذلك أهلية الخلافة التي أكرمها الله وشرفها بها [1] وهو بالضبط المعنى المنطقي المقبول، والذي يقتضيه مدلول كلمة "جاعل" فالجعل لا يقتضي حتمية الإستخلاف، بل هو مرتبة تستحق من الإنسان الذي يريدها أن يبذل لها، ويهيئ لها الأسباب والمقدمات للوصول إليها.

لنخلص إلى أن تفعيل العقيدة هو شرط عودة فاعلية الإنسان المسلم، وهو بداية خروج الأمة من حالة الكلالة والعيش على هامش التاريخ وإلى حالة الإنبعاث الروحي والإنطلاق عالي التوتر الذي لم تصل إليه بعد، رغم المحاولات الجادة في القرنين الماضيين للحركات الاصلاحية في أرجاء العالم الإسلامي و سيأتي ذكرها لاحقا، وهي حالة أخرجت المجتمع الإسلامي الأول من رحم الجاهلية، فجعلت العقيدة التي استقرت في نفوسهم تتدفق صبرا وإصرارا نورده في مثالين:

الأول: صبر بلال –رضي الله عنه– على أهوال التعذيب والبلاء إذ وهو في قمة المحنة، يرفع إصبعه وهو يكرر إجابته على تحدي قريش: أحد...أحد...ولم يتمكن التعديب وأهواله من إثنائه عن قرار الإيمان والتوحيد الذي لم تشوشه محاولات قريش، ولم تحرمه بمن الشعور بحلاوته في قمة المحنة[2] أي أن العقيدة في هذه اللحظات ملكت على بلال –رضي الله عنه– عقله وقلبه وإحساسه وعلت على الإحساس بالألم ولعلها قلبته إحساسا بالرضا مادام في سبيل الله.

الثاني: يتمثل فيما رواه أبو سعيد الخدري أن رجلا من أسلم يقال له ماعز ابن مالكأتى رسول الله ...فقال:<<إني أصبت فاحشة فأقمه عليه، فرده النبي ﷺ مرارا. قال: ثم سأل قومه، فقالوا: ما نعلم به بأسا إلا أنه أصاب شيئا يرى أنه لا يخرجه منه إلا أن يقام فيه الحد.قال: فرجع إلى النبي صلى الله عليه وسلم فأمرنا أن نرجمه بالعظم والمدر والخزف، قال: فاشتد و اشتددنا خلفه حتى عرض الحرة، فانتصب لنا فرميناه بحلاميد الحرة

[1] سيد قطب: في ظلال القرآن، ص 2529

[2] مالك بن نبي: ميلاد مجتمع، ج1 شبكة العلاقات الإجتماعية، ط2 1974 دار الفكر، لبنان، ص 21

حتى سكت>>[1]وفي الحالتين ألم وعذاب ومعها سعادة ورضا دافعها فعل العقيدة وأثرها في النفس، حيث نراها الموجه للأفكار والأفعال والقرارات، وما أحوج المسلم اليوم إلى هذا الأثر العقيدي في النفس لترجمته إلى عمل وطاعة وصلاح.

2- القدر:

كما في النقطة السابقة، إن تطرقي للتوحيد ليس الغرض منه دراسة التوحيد في ذاته كأساس للعقيدة وللدين كله، بل كانت مجرد إشارة إلى فكرة أن التوحيد إذا ما اقترن بالأفعال وجهها نحو الطريق الصحيح والتأثير اللازم للقيام بالوظيفة الوجودية.

وكذلك عنصر القدر الذي سأحاول من خلال العرض أن أربطه بالموضوع قيد البحث في عنصر أسس الانبعاث الحضاري في القرآن الكريم، ببيان كيفية عرض القرآن الكريم لمسألة القدر، وكيف فهمها الصحابة وطبقوها وكذلك أثر هذا الفهم في القرون اللاحقة، وليتضح لنا المعنى أكثر فلنستعرض معنى القدر:

أ- معنى القدر:

- لغة:

و يدلّ على مبلغ الشيء و كنهه[2]، و يطلق على الحكم و القضاء أيضا، و من ذلك حديث الإستخارة: "فأقدره و يسّره لي"[3].

و القدر بفتح الدال أو تسكينها يرد بمعنى: الطاقة، كما ورد في قوله تعالى:﴿وَمَتِّعُوهُنَّ عَلَى الْمُوسِعِ قَدَرُهُ وَعَلَى الْمُقْتِرِ قَدَرُهُ مَتَاعًا بِالْمَعْرُوفِ حَقًّا عَلَى الْمُحْسِنِينَ﴾[4] أي طاقته و معناه التضييق كقوله تعالى:﴿وَأَمَّا إِذَا مَا ابْتَلَاهُ فَقَدَرَ عَلَيْهِ رِزْقَهُ فَيَقُولُ رَبِّي أَهَانَنِ﴾[5] بمعنى ضيّق عليه

---

[1] صحيح مسلم: كتاب الحدود، باب حد الزنى، مجلد 11 ، ص198-199

[2] إسماعيل بن حماد الجوهري: الصحاح تاج اللغة و صحاح العربيّة، تحقيق أحمد عبد الغفور، ط3، 1404هـ-1984م، دار العلم للملايين، ج2، ص786.

[3] صحيح البخاري: كتاب التهجّد، باب ما جاء في التطوّع مثنى مثنى، رقم 1166

[4] سورة البقرة، الآية: (236)

[5] سورة الفجر، الآية: (16)

- **إصطلاحا:**

و هو تقدير الله تعالى الأشياء في القدم، و علمه سبحانه و تعالى أنّها ستقع في أوقات معلومة عنده، و على صفات مخصوصة، و كتابته لذلك و مشيئته لها و وقوعها على حسب ما قدرها جلّ و علا و خلقه لها[1].

وردت كلمة القدر في القرآن الكريم بعدة معان كما في قوله تعالى:

﴿ وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ قَدَرًا مَقْدُورًا ﴾[2] أي قضاءا مقضيا، وحكما مبثوثا قال ابن كثير: "أي وكان أمره الذي يقدره كائنا لا محالة، وواقعا لا محيد عنه ولا مَعْدِل، فما شاء كان وما لم يشأ لم يكن"[3]، وقال تعالى: ﴿ إِنَّهُ فَكَّرَ وَقَدَّرَ ﴾[4] أي فكر ماذا يقول وهيأه [5]. وقال تعالى: ﴿ قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْرًا﴾[6]، قال النسفي: "أي تقديرا وتوقيتا وهذا بيان لوجوب التوكل على الله، وتفويض الأمر إليه، لأنه إذا علم أن كل شيء من الرزق ونحوه لا يكون إلا بتقديره وتوفيقه، لم يبق إلا التسليم للقدر والتوكل "[7] وما صح عن النبي صلى الله عليه وسلم قوله:

" إذا ذكر القدر فأمسكوا"[8] أي إذا ذكر علم الله وتقديره للأشياء، فلا تخوضوا في ذلك [9] ليتبين لنا أن معاني ودلالات كلمة "القدر" متعددة، لكن باعتباره ركنا من أركان الإيمان، تنصرف دلالته إلى ما كتبه الله تعالى وقدره في علمه ليقع في حياة الناس وفق ذلك، وهو ما فهمه المسلمون الاوائل كما ورد في القرآن الكريم قبل أن يتحول المعنى بدخول الفلسفة وقضاياها على الفكر الإسلاميمن مسألة عقيدية إيمانية تبعث في نفس المؤمن الراحة

---

[1] أحمد بن تيميّة: شرح العقيدة الواسطيّة، شرح محمّد الصالح العثيمين، خرّج أحاديثه سعد بن فواز الصميل، ط6 1221هـ، دار بن الجوزي السعوديّة، ص21.

[2] سورة الأحزاب، الآية:(38).

[3] سعيد حوى: الأساس في التفسير، ط7، 1430هـ- 2009م، دار السلام، القاهرة، ج5، ص 146.

[4] سورة المدثر، الآية: (18)

[5] سميح عاطف الزين: طريق الإيمان، ط3، 1977، دار الكتاب اللبناني، بيروت، ص 122.

[6] سورة الطلاق، الآية: (3)

[7] سعيد حوى: الأساس في التفسير، ج6، ص 242.

[8] سليمان بن أحمد الطبراني: الكبير، ج2، ص96، وصححه الألباني في السلسة الصحيحة، رقم34.

[9] سميح عاطف الزين: طريق الإيمان، ص 123.

والإطمئنان، وتحثه على العمل والإجتهاد وتعمير الأرض بالخير والصلاح، إلى مسألة فلسفية عقيمة لا يزيد غوص الفكر فيها إلا ضياعا وتيها دونما فائدة أو نفع واستشهد ببعض الآراء في فهم القدر عند المتقدمين[1]: الذين خاضوا في المسألة، واختلفوا في فهم القدر إلى:

- **القدريّة:**

ينفون القدر، و يزعمون أنّ الله تعالى لا يعلم الأشياء قبل أن تقع بل يعلمها إن وقعت أي بعد وقوعها و حدوثها[2]، و أوّل من قال بذلك"معبد الجهني" الذي نفى القدر بقوله: "لا قدر و الأمر أُنُفٌ" و عنه أخذها غيره من القائلين بهذا القول[3].

- **المعتزلة:**

ويظهر تأثّرهم بمعبد الجهني و على رأسهم واصل بن عطاء، ببدعة إنكار القدر و إنكارهم للجبر كان واضحا في قولهم بأنّ العبد هو الذي يخلق أفعال نفسه[4]ويكون: "تأثير القدرة أو القادرية القديمة في حال هو الحدوث والفعل، أو في وجه من وجوه الفعل"[5]

- **الجبريّة:** و يرون أنّ الإنسان مسلوب الإرادة و الإختيار سلبا كاملا، و هو كالريشة في الهواء، لأنّ إرادته موجّهة بالقدر إجبارا لا اختيارا، و يبرّرون

---

[1] محمد سعيد رمضان البوطي: الإنسان مسير أم مخير، ط7، 2008، دار الفكر دمشق، ص 14-15.

[2] محمّد حسان: الإيمان بالقضاء و القدر، ط2، 1427هـ-2006م، مكتبة فيّاض، مصر، ص102.

[3] البغدادي: الفرق بين الفرق، تحقيق محي الدين عبد الحميد، ط3، 1416هـ-1995م، المكتبة العصريّة، بيروت، ص114.

[4] محمّد سعيد رمضان البوطي: المذاهب التوحيديّة و الفلسفات المعاصرة، ط1، 1429هـ-2008م، دار الفكر، دمشق، ص 78.

[5] أبو الفتح محمد بن عبد الكريم الشهرستاني: الملل والنحل، د.ط ، 1972، دار المعرفة للطباعة والنشر، بيروت، ج1، ص110.

ارتكاب المعاصي بالقدر[1] ويقولون بـ: " إحالة الأحوال كلها على القدر المحتوم والحكم المحكوم" [2]

- **الأشاعرة و الماتريديّة:**

كان موقفهما معتدلا راجعا إلى ما جاء به القرآن و ما صحّ عن النبيّ صلى الله عليه و سلّم في أنّ الخير و الشرّ بقضاء الله و قدره، و أنّ الإيمان بالقدر من أركان الإيمان، و أنّ أعمال العباد مخلوقة لله، مقدورة له[3]، لأنّ العباد لا يقدرون على خلق شيء، إنّما يقدرون على الكسب القائم على الإختيار و الإرادة، الذي يدور حوله التكليف، "لكون الفعل حاصل بالقدرة الحادثة أو تحتها نسبة خاصة، يسمى ذلك كسبا، وذلك هو أثر القدرة الحادثة"[4] وبهذا يظهر لنا إعتدال بين الآراء السابقة، إذ لم ينفي القدر كما لم يجعل الإنسان مسلوب الإرادة بل قال بالكسب.

وهذه إشارات للتوضيح بما يقتضيه مقام الكلام عن مفهوم القدر وبعض الإختلاف في ضبط معناه، وآثاره في نشأة مسائل عقدية لا طائل من ورائها سوى نشأة الفرق وكثرتها ووقوعها في بعضها تكفيرا ورفضا لآراء الأخر المخالف، والتاريخ حافل ببدايات الإنحراف الفكري، وإرهاصات التحول من فكر العمل إلى فكر الجدل والحجاج ومن الفهم الصحيح الموجه بالوحي إلى الفكر المشوش والموجه بأمور أخرى، أي بعدما كان المسلمون يفهمون القدر كما جاء في الكتاب والسنة، وهو كتابة كل شيء في الوجود في اللوح المحفوظ منذ الأزل، وإن ذلك لا تتدخل فيه أفعال العباد ولا في تكليف الله لهم[5] .وهو فهم أعفاهم من الخوض في مسائل لن يصلوا فيها إلى أكثر مما قرره القرآن الكريم من حقائق غيبية يكفي الإنسان أن يعلمها ويتحقق له اليقين بعد العلم بها وينطلق منها إلى مباشرة مهمته في الأرض وقد أوضح محمد الغزالي -رحمه الله- عجز العقل البشري الذي لم يحط بتفسير العمل البيولوجي داخل الجسم، عن الخوض في مسائل الألوهية والقدر

---

[1] حافظ بن أحمد الحكمي: معارج القبول بشرح سلم الوصول إلى علم الأصول، تحقيق و ضبط عمر بن محمود أبو عمر، ط1، 1418هـ، دار ابن القيم، الدمام، ج2، ص803-804

[2] أبو الفتح محمد بن عبد الكريم الشهرستاني، الملل والنحل، ج1، ص56.

[3] أبو الحسن بن إسماعيل الأشعري: الإبانة في أصول الديانة، ط1، دار بن زيدون، بيروت، ص7-12.

[4] أبو الفتح محمد بن عبد الكريم الشهرستاني، الملل والنحل، ج1، ص 110.

[5] سميح عاطف الزين: طريق الإيمان، ص 125.

والغيبيات جميعا، وبما أنها فوق طاقته ولا يملك وسائل المعرفة فيها فإنه سيغرق في بحوث عقيمة لا طائل من ورائها لأنه دين عمل يركز على الواقع ويغلبه على الخيال، ويؤثر الحقيقة على الظن، ويفضل الحركة الماضية في مرضاة الله على اللغو والكلام وافتراض الفروض وتزيين الكلام، فكان منهجا نجح به سلف الأمة[1]، وهو يشير -رحمه الله- إلى ما ينبغي أن يشتغل به العقل المسلم، وينتبه إليه، من تفكر وتدبر يعينه على أداء وظيفته في الكون،و يمكّنهمن معرفة الله تعالى من خلال تدبّر في مخلوقاته لإن الله لا يُعرف بدراسة ذاته فهذا مستحيل وإنما يُعرف بدراسة ملكوته الضخم، واستجلاء الآيات الدالة عليه هنا وهناك، لا بأسلوب شعري هائم، ولكن بأسلوب علمي صارم، وذلك هو منهج القرآن الكريم [2] وفي هذا رد للإنسان إلى ما ينبغي أن يُعْمِلَ فيها الفكر والنظر من حيث كونه يؤدي إلى كشف سنن الكون والوصول إلى تسخيره وفق ما هيأه الله له من طواعية وسهولة لذلك، لمن كشف كنهه وأسراره، وهو ما يجدر بالمسلمين إنفاق جهودهم وأعمارهم فيه كما كان أسلافنا الذين أبدعوا الملاحظة والتجربة في البيئة الإسلامية، وكان يمكن أن يتحقق المزيد من النجاح لولا الانحراف الذي أصاب العقل الإسلامي بالتقعر فيما وراء المادة وصرف الناس عن الدنيا حتى لا يدركوا من قوتها ولا من جمالها شيئا ويستحيل مع الجهل بالحياة وقوانينها أن يقوى الإيمانأو يتحقق له التأثير فيها[3] خاصة إذا كان الإيمان مرتبطا بالعبادة التي هي بمعناها الواسع إتيان ما يحبه الله ويرضاه من أقوال وأفعال، وعلى رأسها تحقيق الخلافة والعمارة للكون، وإبراز معاني التكريم والتفضيل الإلاهي للإنسان.

ج-أثره في السلوك:

وإن كان الإيمان بالقدر جزءا من الإيمان ومكملا له، فإنه كذلك متصل بسلوك الإنسان في الحياة، وتأثيره كبير في توجيه جهد الإنسان وطاقاته عند إدراك معنى التسليم وحقيقته، لا كما يعتبره الجاهلون قعود عن العمل[4]، وترك الواقع دون بذل جهد ومحاولة التغيير مادام قدرا من عند الله، وهي العبثية التي طبعت الكثير من الأذهان فاعتبروا أي

[1] محمد الغزالي: الدعوة الإسلامية تستقبل قرنها الخامس عشر، دار الهدى للطباعة والنشر، الجزائر، دت، دط، ص62.

[2] محمد الغزالي، ص68.

[3] المرجع نفسه، ص 65.

[4] محمد مهاتير: الموسوعة،المجلد2، التحدي، ص97.

اجتهاد أو سعي مجرد عبث لا طائل من ورائه، لأن الله –حسب زعمهم- قد قدر ما وقع وما هو واقع وما سيقع، فلم العناء والعناد؟

من حيث المبدأ والنتيجة نعم، نحن معهم في أن الله تعالى قد قدر كل شيء، ولا يعزب عن علمه مثقال ذرة في السماء ولا في الأرض، وهو ما يحث الإنسان الموقن بهذه الحقيقة أن يَجِدَّ ويعمل على أساس القيام بواجبه، تأسيا بالرسول ﷺ وهو يعلم أن الله ناصره في قوله تعالى ﴿وَأُخْرَى تُحِبُّونَهَا نَصْرٌ مِنَ اللَّهِ وَفَتْحٌ قَرِيبٌ﴾[1] إلا أنه جاهد وكافح ورغب أصحابه وأعد العدة المادية والمعنوية في سبيل هذا النصر المضمون والوصول إلى الفتح الموعود لأنه في ذلك يعلمنا أن واجب الإنسان هو العمل والسعي وتوفير الأسباب مع اليقين الجازم بأن كل شيء بيد الله، ويجري حسب ما قدره تعالى: "على هذا النحو كان المسلمون الأوائل يفهمون عقيدة القدر ويمارسونها، إنها السعي الدائم لتنفيذ أوامر الله ، ثم التسليم بما يقع بالفعل على انه قدر من الله"[2] كما أنهم فهموا التسليم على أنه رحمة من الله تعالى بعباده، لذلك اهتموا وركزوا على ما ينفعهم، ويعينهم على أداء مهمتهم، وتركوا ما بعد ذلك لله تعالى وهو القائل: (وَقُلِ اعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ)[3] رافضين المعنى الدخيل على التسليم من حيث كونه الكف عن المضي في الطريق، لأنه دلالة على أن المصائب لا تستطيع تحطيم قلوب المؤمنين مهما كان ما يصيبهم من عند الله سواء جلب لهم الخير الذي يحبون، أو جلب لهم –في تقديرهم- الشر بمعنى "الضر"، بل كانوا يقومون من محنهم بذات العزيمة فيمضون في الطريق في إنتظار قدر جديد من عند الله[4]، وهي حقيقة واضحة في سيرة الرسول ﷺ وأصحابه، وكان سببا في إستقامة فكرهم، وتوجيههم إلى العمل والبناء، ما مهد لهم الطريق نحو بناء حضارة شامخة لكن لما انحرف هذا الفهم الصحيح، واستحال التسليم إلى إستسلام، أورث الفكر كلالة ذهنية انحسرت بها دوافع التحضر والفعل التاريخي، وسيطرت على العقول أفكارا قاتلة قضت على الإبداع والإجتهاد، وأهدرت الطاقات الإنسانية الفردية والجماعية التي هي وقود استمرار أية حضارة.

---

[1] سورة الصف، الآية:(13)

[2] محمد قطب، دراسات قرآنية، درا الشروق، بالقاهرة، دط، دت، ص 96

[3] سورة التوبة، الآية:(105)

[4] محمد قطب، دراسات قرآنية، ص 96

3- التوكل:

أ- معنى التوكل:

بين الفهم الصحيح للقدر والتوكل علاقة متبادلة، إذ على قدر إنحرافه في الأول يكون التأثير على الثاني والعكس في هذا التلازم، ولبيان ذلك سنستعرض معنى التوكللغة ثم اصطلاحا.

لغة:

يقال وكل الأمر إلى غيره: أي اعتمد عليه ووثق به أن ينجز، وواكلت الدابة وكالا أي أسارت السير.ومنه حديث لقمان : وإذا كان الشأن اتكل أي إذا وقع الأمر لاينهض فيه ويكله إلى غيره. وفي الحديث ووكلها إلى الله أي صرف أمرها إليه. والتةكل إظهار العجز والإعتماد على غيرك، والإسم: التكلان. واتكلت على فلان في أمري إذا اعتمدته.[1] والوكيل هو الذي يوكل إليه الأمر وقد تطلق كلمة "الوكيل" بمعنى الحفيظ لأنه الذي يرعى الأمر ويعنى به وقد تطلق بمعنى الرقيب المطلع: لأن من شأن الوكيل أن يراقب ما يوكل إليه وقد تطلق بمعنى الناصر لأن الوكيل يركن إليه من يكل أمره إليه.

والتوكل في اللغة يقال على وجهين: الأول: توكلت لفلان بمعنى توليت له، ويقال وكلته فتوكل لي، وتوكلت عليه بمعنى اعتمدته، والتوكل أن تجعل غيرك نائبا عنك وتعتمد عليه. [2]

شرعا:

أما التوكل بمعناه الشرعي فهو: "أن يفوض الإنسان أمره إلى ربه، ويكتفي به فيه لذا كان معنى التوكل بلفظ التفويض في قوله تعالى: ﴿ وَأُفَوِّضُ أَمْرِي إِلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ﴾[3] أي أرد أمري إلى الله"[4] والتوكل من الفضائل التي يزين بها التوحيد نفس المؤمن في اعتماده على الله تعالى، ويكون دليلا صادقا على الإيمان وقد قيل: "من لا توكل له لا إيمان له"[5] والآيات القرآنية التي ورد فيها التوكل كثيرة: مثل قوله تعالى ﴿ وَعَلَى اللَّهِ

---

[1] ابن منظور: لسان العرب، المجلد 15، مادة وكل، ص273.

[2] موسوعة أخلاق القرآن، أحمد الشرباصي، ط1، 1401هـ-1981م، دار الرائد العربي، بيروت، ج1، ص 214.

[3] سورة غافر، الآية: (44).

[4] أحمد الشرباصي: موسوعة أخلاق القرآن، ج1، ص 214.

[5] المرجع نفسه، ص 214

فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ﴾[1]أي يجب على المؤمنين أن يتوكلوا على الله ويفوض أمورهم إليه متيقنين أنه لا معين لهم ولا قاضي لحاجاتهم إلا هو[2] وقد نزلت هذه الآية لبيان أن الله تعالى وحده أهل للتفويض والتسليم لما قدر وكتب لعباده، إذ على المسلم أن يدرك أن نتائج الأعمال بيد الله، فإن كان من أمر فالأمر أمره، وعليه فينبغي أن يتصف بالتوكل في كل حال، سواء في النصر أو الهزيمة وسواء حال الشدة أو السلامة، حال القتل، أو حال السلامة"[3] ليظهر من أحواله كلها أنّه متوكل على الله مفوض أمره إليه، وهو أهل ذلك، إذ يقول: ﴿ قَالَتْ لَهُمْ رُسُلُهُمْ إِنْ نَحْنُ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَمُنُّ عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَمَا كَانَ لَنَا أَنْ نَأْتِيَكُمْ بِسُلْطَانٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ (11) وَمَا لَنَا أَلَّا نَتَوَكَّلَ عَلَى اللَّهِ وَقَدْ هَدَانَا سُبُلَنَا وَلَنَصْبِرَنَّ عَلَى مَا آذَيْتُمُونَا وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُتَوَكِّلُونَ (12) ﴾[4] إنها رسالة يبعثها الرسل لتكون حقيقة دائمة، تجعل المؤمن دائم التوكل على الله وحده في جميع أحواله ودائم الرجاء في عون الله وتوفيقه حتى لا يلتفت قلبه إلى سواه ولا يحتمي إلا بحماه [5]، نلاحظ أنه يقصد التسليم الكامل والتفويض التام لله تعالى وهيكلمة المطمئن إلى موقفه وطريقه المتيقن من عون الله، والمؤمن بأن الله الذي يهدي السبيل لابد أن ينصر وأن يعين، وعليه فإنه مهما تكن من عقبات في الحياةلابد أن يملئ الإطمئنان النّفس والقلب الموصول بالله، والذي لا يخطئ الشعور بوجوده -سبحانه- وألوهيته القاهرة المسيطرة، وهو شعور لا مجال معه للتردد في المضي في الطريق أيا كانت الصعاب [6]ما دامت غاية الموقن بنصر الله و عونه أبعد من أن تكون هدفا قريبابل غايته تقديم الأسباب، والسعي في طاعة الله إبتغاء مرضاته "وهذه الحقيقة -حقيقة الإرتباط في قلب المؤمن بين شعوره بهداية الله وبين بديهية التوكل عليه- لا تستشعرها إلا القلوب التي تزاول الحركة فعلا في مواجهة طاغوت الجاهلية، والتي تستشعر في أعماقها يد الله -سبحانه- وهي تفتح لها كوى النور فتبصر الآفاق المشرقة وتستروح أنسام الإيمان والمعرفة،

[1]سورة آل عمران، الآية: (160)
[2]سعيد حوى: الأساس في التفسير، ج1، ص 455
[3]المرجع نفسه ، ص 455
[4]سورة ابراهيم، الآيتان:(11-12)
[5]سيد قطب، في ظلال القرآن، ج4، ص 2090
[6]المرجع نفسه ،ص 2092

وتحس الأنس والقربى"[1] وهذه بعض آثار التوكل إذ يملأ نفس المؤمن اطمئنانا وراحة وينال بها حب الله تعالى لأنالله يحب المتوكلين، الذين تحقق اليقين في نفوسهم بقدرة الله وحده، وكفايته لعباده إن هم أحسنوا التوكل عليه كما قال ﷺ : «لو أنكم توكلون على الله حق توكله لرزقكم كما يرزق الطير تغدو خماصا وتروح بطانا »[2] لنأخذ من هذا التصوير النبوي حقيقة التوكل والذي يعني اللجوء بالله إلى الله طلبا لما عنده، مع تقديم الأسباب والسعي الواجب خضوعا لسنن الله تعالى في خلقه، ويكون وجها من أوجه تحقق الإيمان في النفس، وأثرا من آثار التوحيد فيها لأن "بداية التوكل هي الإيمان وعماده هو اليقين، ولذلك جعل القرآن الكريم فضيلة التوكل صفة أساسية للمؤمنين، فقال في سورة الأنفال ﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾"[3]، والقرآن بذلك يغرس في نفس المؤمن الاطمئنان و اليقين.

ب-علاقة التوكل بالعمل:

والتوكل وارد في معظم سور القرآن الكريم، ليكون ذكره المتكرر من باب التوكيد والحث عليه، والتاريخ سجل لنا أن السلف حين فهموا التوكل على حقيقته، وأدركوا روحه وتشربته أنفسهم، غدا سلوكا مطبوعا فيهم، وانطلقوا به ليحققوا النصر والفتوح، ويشيدوا بعد ذلك حضارتهم المتميزة، لكن لما ضمرت معانيه في نفوسهم،واستحال التوكل إلى تواكل، استقر في الأذهان جراء مخالطة الفلسفات المنحرفة للعقول النقية، وجرها في متاهات أفعال الله وأفعال العبد، وما تلاها من مسائل علم الكلام العقيمة والتي تسببت في تجريد التوكل من معناه السليم وتحويله إلى قدرية مميتة كبلت الأيدي وأغشت القلوب بغشاوة من ضلال وركون إلى السلبية والكلالة، غدت بها الأمة غير الأمة، وفصلت العقيدة عن تأثيرها في النفوس معطلة بذلك دافعها إلى الفعل والإنجاز والتحضر لنستخلص أن الفهم الصحيح للتوكل سيعيد الأذهان إلى الحضور، وإدراك أسباب الداء الحقيقية، والمضي للبحث في العلاجات المناسبة والحلول السليمة، ومنها الإنطلاق نحو الأخذ

---

[1] سيد قطب، في ظلال القرآن، ج4، ص 2092

[2] أبو عيسى محمد الترمذي: سنن الترمذي، المجلد الرابع: أبواب الزهد، باب التوكل على الله رقم 33، الحديث رقم 2344، حكم الألباني: (صحيح) انظر حديث رقم: 5254 في صحيح الجامع، وقال الترمذي: هذا حديث حسن صحيح لا نعرفه إلا من هذا الوجه وأبو تميم الجيشاني اسمه : عبد الله بن مالك

[3] أحمد الشرباصي: موسوعة أخلاق القرآن، ج1-2، ص 216

بالأسباب، وإعداد العدة[1]، والتوكل على الله لاستعادة أمجاد الأمة الضائعة، ومكانتها الريادية بين الأمم.

المطلب الثاني: الأساس العقلي النظري

1- منهجية القرآن المعرفية:

إن المنهجية المعرفية التي تميز القرآن الكريم والتي ينفرد بها تكمن من كونه يستوعب الوجود كله بجميع عناصره منذ بدايته إلى قيام الساعة، مستغرقا في ذلك التغيرات الزمانية والمكانية، بدءا بخصوصيته في الإنطلاق من الخطاب الإلاهي لفرد هو محمد ﷺ والذي أمر بأن ينذر عشيرته وأقرباءه في بداية الدعوة لقوله تعالى﴿وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ﴾[2]ولتوسيع دعوته إلى أهل مكة ثم إلى الحبشة وتستقر أخيرا في المدينة ثم تنطلق منها دعوة للناس أجمعين وخطابا عالميا للناس كافة، يكون أساسا تبنى عليه الحياة، وعندما أقول الحياة أقصد بها الحياة الحقيقية التي تقوم على الفعل، والحركة لتُكَوِّنَ أسس حضارة تحقق للإنسان إنسانيته، ونلاحظ أن القرآن الكريم يفتح عين الإنسان على ما حوله من مشاهد وآفاق للتأمل فيها والنظر[3] إليها مما يقوده إلى ملاحظتها ومن ثم الإتصال بها عبر وسائله وقدراته، نظرا يقع في النفس موقع الحافز على التساؤل والقلق الفكري المثير لمسائل، تكون الإجابة عليها حلا لألغازها وتوضيحاً لغموضها وتسهيلالسبل إدراك سننها ومن ثم امتلاك مفاتيح تسخيرها.

2- مميّزات المنهج القرآني:

أ- الدعوة إلى النظر والتدبر:

وآيات القرآن الكريم في حث الإنسان على التدبر والنظر والتفكر كثيرة لا تخلو منها سورة من السور، يقول تعالى ﴿ قُلِ ٱنظُرُواْ مَاذَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَمَا تُغْنِي ٱلْءَايَٰتُ وَٱلنُّذُرُ عَن قَوْمٍ لَّا يُؤْمِنُونَ ﴾[4] موجها الخطاب إلى الإنسان، كي يستيقظ ويستعمل حواسه للوصول إلى الحقائق والمعارف المختلفة ، وهو منهج يعتمد فيه القرآن

[1]أحمد مهاتير: الموسوعة، التحدي،المجلد2، ص97.

[2]سورة الشعراء، الآية: (214)

[3]محمد مهاتير: طبيب في رئاسة الوزراء، ص 346.

[4] سورة يونس، الآية 101.

الكريم على ما في السموات والأرض ليكون به تصورا إسلاميا، يساهم في تحقيق الإدراك البشري بتوجيه أدواته كلها من سمع وبصر وفؤاد وعقل، دون الإخلال بميزة وطبيعة التناسق والتوازن فيه، وكذا تحديد أثر الكون في الإنسان[1]، ليعلم أن الكون مخلوق مثله، وهو أثر من أثار عظمة خالقه، جعله الله له مسرحا يمارس فيه خلافته وينجح في مهمته بقدر نجاحه في الإنتفاع من الكون لتتجلى خلافة الإنسان في الأرض في قدرته على استثمارها والإنتفاع بما فيها وفي قدرته على التأمل والنظر والتفكر في سننها ودلائل قدرة الله فيها وكذا أسرارها، مع ما أعطاه الله من صفات تؤهله لأداء وظيفة الخلافة فيها، كالقدة الجسمية والقوة المفكرة، والإرادة الحرة، التي يحددها هو وحده باختياراته المتنوعة[2] والقرآن الكريم إذ يوجه الإنسان إلى كشف سنن الكون لا يقصد من ورائها مجرد الكشف، أو حتى مجرد الإنتفاع وإلا لم يتميّز على الحضارة المادية، إنما يهدف إلى السمو بالإنسان لإدراك العلم النافع الممتد من الواقع المشهود والمرئي إلى عالم الغيب البعيد عن إدراكه إذ نلاحظ أن الإسلام لا يقف بالإنسان في مجال التفكير عند حدود الكون المادي والإكتفاء بنتائج البحث القريبة من قوانين واكتشافات، بل يريده أن يمد بصره إلى ما وراء

هذه الحدود، وهذا الكون للوصول إلى ربطه بخالقه كغاية تحصل بها الفائدة القريبة انتفاعا بما في الكون، والبعيدة وصولا إلى إدراك حقيقة الوجود كله[3] ويبين محمد مهاتير هذا المعنى في كون الإسلام ومنذ بدء الرسالة المحمدية، كان يشدد على ضرورة اكتساب المعرفة والعلم والتحصيل لإدراك كنه المخلوقات والعجائب التي خلقها المولى عز وجل والكون، ما يجعل الإسلام مشروع حياة متكامل يمهد الطريق للسعادة والنجاح في الدنيا والآخرة معاً[4]، و هو منهج متميّز استطاع أن يتجاوز بالإنسان المجالات القريبة والأهداف السطحيّة، و يصل به إلى ثروة معرفيّة فريدة.

ب- الواقعية:

[1] سيد قطب: في ظلال القرآن، ج3، ص 1822

[2] محمد المبارك: نظام الإسلام العقيدة والعبادة، ط4، 1975م-1395هـ دار الفكر، بيروت ص 64.

[3] المرجع نفسه ص 65.

[4] محمد مهاتير: الموسوعة، الإسلام والأمة الاسلامية، المجلد1 ص 330.

وهي طريق ينطلق منه الفكر في البحث عن الحقيقة من واقع الإنسان والكون،لتدبير شؤون الحياة العملية، وحل مشاكل هذا الواقع والتنظير لمناهج أرقى للحياة والوصول في النهاية إلى الغايات العليا والأهداف السامية في الإنسان.

والمتتبع لسير الدعوة المحمدية يجد في البداية أنها اهتمت بالإنسان الذي سيضطلع بمهمة تغيير الوجود وتحديد نسبه كما يجب أن تكون وفق تنزيل مقاصدي لأحكام الدين في واقع الحياة، أي ينطلق من الحياة ليعود إليها، وبين الإنطلاق والعودة يؤدي الدين دوره في التنبيه والإصلاح والتأطير وفق منظومة فكرية ترجمت إلى ممارسات في الواقع المراد علاجه، متميزة عن الحضارات والثقافات السائدة في ذلك الوقت والتي تتجاذب الحياة إما بتجريدية تنحو بها منحى المثل والعقلانية المحضة، أو منحى الروحانية المحض بعيدا عن الواقع في كلتا الحالتين إذ لا ينكر أحد أن القرآن الكريم والحديث النبوي قد أحدثا في العقول تغييرا منهجيا سواء بصفة خاصة أو الثقافة بصفة عامة، إذ بعدما كانت الثقافة العالمية بوجه عام تتميز بالطابع التجريدي العقلي كالفلسفة اليونانية والطابع الروحي كالفلسفة الغنوصية بتجريدها الروحي، نجد الإسلام يوجه العقول إلى العالم المحسوس متمثلا في آيات الكون وفي حياة الناس بجعله مصدرا للمعرفة[1] أي أن المنهج القرآني تميز بواقعية جعلت المسلمين يمارسون من خلالها تطبيقا فعليا في واقع حياتهم، لما توصلوا إليه من نتائج وثمار النظر والتفكر في الآفاق والأنفس حاذيهم في ذلك قوله تعالى ﴿سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ﴾[2] وتوجيه الإسلام للإنسان صوب التفكر والتدبر جعل الإنسان يغير نظرته إلى الوجود وإلى نفسه، ما أدى بالمسلمين إلى إبتكار العلوم المختلفة، كالمنهج التجريبي الذي كان من خير ثمار التدبر والملاحظة والوصول إلى سنن الخلق، وصياغة قوانين المادة من خلال دراسات في الكون والمادة عموما، وكذا صياغة العلوم الفقهية والشرعية المختلفة لاسيما إبداع علم أصول الفقه، وصياغة القواعد الفقهية، والتراث الفقهي الزاخر، من خلال دراسات في كتاب الله الموحى إلى محمد ﷺ، لتكون نتيجة النظر والتدبر في كتاب الله المسطور، أو المنظور، التوصل إلى النتائج المبهرة، وأسس لإنطلاق حضارة متكاملة، لأنّ الإسلام و جه العقول إلى العالم المحسوس متمثلا في آيات الكون، وفي حياة الناس، وجعله مصدرا للمعرفة، ومنطلقا أساسيا في بناء

[1] عبد المجيد النجار: الشهود الحضاري للأمة، عوامل الشهود الحضاري،ج2، ص 41

[2] سورة فصلت، الآية: (53)

الإصلاح وتكونت من ذلك ثقافة جديدة ينطلق فيها العقل الإسلامي في مشروع التحضر صياغة وتطبيقا من واقع المادة، وواقع الإنسان، وهو ما ظهر جليا في المنهج التجريبي للعلوم الكونية، وفي المنهج الواقعي للعلوم الفقهية والعقدية، وهو ما دفع بالتحضر إلى أوج الإزدهار [1] وهو بذلك يؤكد واقعية المنهج الإسلامي الذي مثل بدايات الدعوة الإسلامية أساسا لإنطلاق حضارة، ولد فيها إنسان جديد، ومجتمع جديد، ضمن نظام فكري وأخلاقي جديد أيضا[2]، ذلك لأن الإنسان الذي تلقى الوحي آنذاك تشكل ذهنه على أساس مرجعية عليا حملت إليه تصورا منهجيا ومعرفيا كان مفقودا من قبل، ساعده على ضبط فهمه لنفسه وللوجود، فكانت انطلاقته ثابتة مسترشدة به، ليأتي دور التوليد فيما بعد وكان الإرث الفكري والثقافي والعلمي ثمرة له، حديثا ومعاصرا بالقياس إلى السقف الفكري للحضارات السائدة آنذاك، والقرآن الكريم ما يزال يمتلك -وسيبقى- خاصية البديل بتصوره المنهجي والمعرفي، والأمة الإسلامية في مرحلة وهنها الحضاري اليوم تفتقد إلى من يحمل هم البديل الحضاري، والتصور المنهجي المعرفي الذي تعيش الحضارة الغربية والعالم المتقدم اليوم بفقدانه أزمة وجودها، والمفارقة الغريبة أن الأمة الإسلامية تمتلك مصدر هذا التصور وهو بين يديها لكنها تفتقر إلى من يحمل هذا الهم ضمن [3] أزمة ترمي بظلالها على العالم كله،بينما القرآن العظيم وحده يملك التصور المنهجي والمعرفي البديل على مستوى كوني، غير أن حملة القرآن لم يعانوا بعد هذا المأزق المنهجي المعرفي[4]ليكون غياب الوعي بإمتلاك البديل سببالغياب الأمة عن الواقع العالمي وما يتبعه من بعد عن الإستشراف والتنظير، والبحث في حل أزمة الحضارة الغربية الراهنة ومن ثم تقديم الحل المتمثل في منهج القرآن المعرفي المتكامل، والذي لن تصلح الإنسانية بغيره وقد جربت الكثير من المناهج الوضعية، والفلسفات المتعاقبة، التي لم تزد الإنسان إلا بعدا عن محوريته في الكون، ودوره الأساسي فيه، ضمن منظومة فكرية كونية عقدية تعطيه دافعية الفعل

[1] عبد المجيد النجار:الشهود الحضاري للأمة الإسلامية، عوامل الشهود الحضاري،ج2، ص 41

[2] أبو القاسم حاج حمد: منهجية القرآن المعرفية دار الساقي، بيروت، لبنان، ط1 2013، ص 54

[3] المرجع نفسه ، ص 55

[4] المرجع نفسه، ص 55

والإنجاز في الكون[1]، مسرح وظيفته الوجودية وما يضمن نجاحه في مهمة توليد مفاهيم جديدة، وتوظيفها في خدمة ما يصبو إليه.

كما يرجع مالك بن نبي هذا الغياب، أو لنقل العجز عن إدراك المسلم لحقيقة ما يمتلك، وما بين يديه من مصادر تمكنه من حل أزمة الإنسان، إلى أن الجهود المبذولة حتى الآن لم يوفق أصحابها إلى إدراك حقيقة الداء والعجز، بل حامت جهودهم -على العموم- حول الداء دون أن تتمكن من وضع اليد على مكامنه، حين يصور لنا أن سبب الوهن الحضاري شيء ومظاهره شيء آخر، ومعظم الجهود الإصلاحية إنما أنصبت حول حول بالإعراض وترك الأسباب، ولن تصل إلى نتيجة ما دامت تعالج الأعراض[2] وفعلا مهارة الطبيب لا تظهر بمجرد زوال الحمى، بل بتوصله إلى أسبابها، ومعالجتها على أساس هذه الأسباب، وهو ما يسمى بالتشخيص السليم للمرض الذي من شأنه إيصال الطبيب إلى إدراك الداء ومعالجته، وكما أن الداء الجسدي يحتاج إلى حدق الطبيب في التشخيص، فكذلك الداء الإجتماعي يحتاج إلى مهارة المصلح في تشخيص أسباب الداء لوصف العلاج المناسب لها، ويساهم المريض نفسه في تكريس الحالة المرضية ما دام لا يقدر حقيقة مرضه، وأنه كل ما أحس بألم راح يبحث عن مسكن له من هنا أو هناك، غير مهتم لكثرة آلامه، وكثرة المسكنات التي يستهلكها[3] ومن خلال هذه الفكرة يوصلنا مالك بن نبي إلى حقيقة هامة هي أن قانون طب الجسد هو نفسه قانون طب المجتمع، وكما نحاول تكوين أطباء ماهرين في الأمراض العضوية، لم لا تنصب جهودنا حول تكوين أطباء أكفاء في أمراض مجتمعاتنا، وهي ضرورة الضرورات إذا ما أردنا فعلا محاولة جادة للخروج من كلالتنا وضعفنا وتأخرنا؟ ليخلص بفكرته هذه إلى أنه: " ليس هناك في الواقع سوى طريقتين لوضع نهاية لهذه الحالة المرضية، فإما القضاء على المرض وإما إعدام المريض"[4] وهو بذلك يصف حالة الأمة التي طال بها المرض، وتعددت عليها أعراضه، ولم تجد سبيلا للخروج من محنتها، رغم مؤهلاتها، وإمكاناتها، ليس للخروج فحسب، بل لتعود إلى خيريتها على الأمم، والشهادة على الناس، لكن يبقى المرض مادمنا نملك كتابا مهيمنا تحمله عقليات

[1] محمد مهاتير: الموسوعة، الإسلام والأمة الاسلامية، المجلد1، ص 95.

[2] مالك بن نبي: شروط النهضة، ص 45.

[3] المرجع نفسه ، ص 45.

[4] مالك بن نبي: شروط النهضة ، ص 45

مُهَيْمَنٌ عليها، ونملك كتابا لا يقهر تحمله عقليات مقهورة[1]،ويستمر معنا مادمنا نعدم أهلية حمل أمانة القرآن ومثلنا في ذلك قوله تعالى في اليهود: ﴿مَثَلُ الَّذِينَ حُمِّلُوا التَّوْرَاةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ الْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًا﴾[2] لأن قيمة الكتاب تتحقق بقدر ما يفيد منه حامله وقارئه، وبقدر تفعيل منهجه وأحكامه في إخراج الإنسان من محنة عصره، ليولد إنسانا مغيرا لما حوله، ولن يتمكن من هذا إلا بتركيزه على الواقع، وإصلاح الفساد المعيق للنهوض، كما فعل ذات يوم رسول الله ﷺ حين انطلق من الواقع فأصلحه، وأعد الإنسان الجديد، الذي استطاع تغيير الواقع والتاريخ، ودون ذلك ستبقى الجهود تراوح مكانها، والأحوال تزداد سوءا، والإنسانية في شوق وحاجة إلى مخلص ومنقذ لها بالقرآن الكريم، الذي نجح من قبل في الخروج بها من الظلمات إلى النور.

ت- الشمول:

إن معنى كلمة "شمول" هو الإحاطة، الإلمام أو يمكن القول أنه الإستغراق، والمنهج القرآني أكبر من هذا الوصف وأعمق لأنه أثبت للإنسانية تفرده وتميزه عن باقي المناهج والفلسفات الوضعية، والقوانين البشرية، بكونه يحمل في ذاته قدرات أذهلت الإنسان، وجعلته يقر ولو بعد عناد كبير، بفشل وإنهزام إبداعاته المختلفة أمامه، لاستغلاله على المستوى البشري، ورغم ذلك نجده يركز النظر والتفكر، حيث يجعل البحث عن الحقيقة مطلوبا دون قيد أو منع، بل مجاله مفتوح على عالمي الغيب والشهادة، لما فيه من خير للإنسان من جهة وللفكر من جهة أخرى، إذ البحث عن الحقيقة يزيل الغبش في الرؤيا والتناقض في الطرح ويوصل الإنسان إلى الخير والحق، عبر المدونة الواسعة من العلوم التي شملت مجالات الكون والحياة والتي أثمرها الفكر الإسلامي، وتشهد بشمولية هذا الفكر والقواعد المنهجية التي أصَّلها في علمي أصول الدين وأصول الفقه، ثم التزمها منهجا عاما يدل هو أيضا على هذه الشمولية فيما قامت عليه من الكلية التي تندرج بها الفروع والجزئيات في أصولها العامة ومن الإعتبار للمآلات التي تقدر على أساسها المصالح وتبنى الأحكام، ومن جعل المقاصد الكلية العامة ميزانا شموليا يحكم الأفهام والتصرفات جميعا

[1] أبو القاسم حاج حمد: الأزمة الفكرية والحضارية في الواقع العربي الراهن، ط1 1425هـ2004م، دار الهادي لبنان، ص 131.

[2] سورة الجمعة، الآية:(5)

[1]لأن العقل المسلم آنذاك انضبط بخاصية البحث عن الحقيقة، زاده في ذلك وحي حمل إليه التوجيه اللازم نحو رؤية كونية تجعله يستبين الحقيقة من خلال دوائر فكره الممتد نحو الوجود كله ليصل إلى أوسع مجالات التعامل المعرفي ثم السلوكي مع محيطه.

لكننا نلاحظ عجزا وكلالة في الأداء، رغم بقاء الأسس التي انطلق منها الفكر في البداية، ما يدل على أن الخلل في الفكر وفي الإنسان الذي لم يعد يعتمد على القرآن وعلى توجيهه نحو النظر في كل شيء في الآفاق، وفي الأنفس لقوله تعالى ﴿سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي ...﴾[2] ليستنبط قوانين الكون، والإنسان ويصوغ على أساسها العلوم النافعة التي تؤدي به إلى تحقيق مهمة الإستخلاف في الأرض، كما وجهه نحو النظر في التاريخ في قوله تعالى ﴿ قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ ثُمَّ انْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ﴾[3] فنشأ الفكر الإسلامي متميزا بهذا الشمول والقدرة على التقصي والبحث وانطلق المسلمون في بحثهم عن الحقيقة بين مستويات وجودها الأربعة "الوجود العيني في الواقع، والوجود الصوري في الذهن، والوجود اللفظي في العبارة، والوجود الخطي في الكتابة"[4]كان ذلك أساسا في إحصاء العلوم إدراكا لأهمية ذلك الشمول وأثره في توسيع آفاق المسلمين وتمكينهم من إدراك الحقائق كاملة غير مجزأة ولا مبعضة.

ومنه لابد من إحياء هذه الخاصية في النظر حتى ينتج عنه فكرا شموليا يجعل النظر أساسا من أسس الإنبعاث الحضاري، وبداية لإنطلاق دورة حضارية، أو مناخا لبداية التاريخ من جديد.

ث- الغائية:

وهي خاصية تميز وانفرد بها المنهج القرآني، وهي الغاية من التدبر، إذ لو لاحظنا حال معظم العلماء والمفكرين الماديين وجدنا أن غاية جهودهم، وأقصى ما ينفقوا أعمارهم لأجله، البحث عن حقائق جديدة وقوانين لم يسبقهم إليها غيرهم، وكثير منهم بلغ مبلغه لكن ماذا بعد هذا البحث والنظر؟

---

[1]عبد المجيد النجار: الشهود الحضاري للأمة الإسلامية،عوامل الشهود الحضاري،ج2، ص 60.

[2]سورة فصلت، الآية:(53)

[3]سورة الأنعام، الآية: (11)

[4]طاش كبرى زاده: مفتاح السعادة، تحقيق : كامل كامل بكري ومجموعة من العلماء، ط دار الكتب الحديثة، 1968، القاهرة، ج1، ص71

أما القرآن الكريم وهو يوجه الإنسان إلى النظر في ملكوت السماوات والأرض فإن المراد هو إدراك عظمة الخالق، والوصول إلى الحق والإهتداء بهديه، لقوله تعالى ﴿سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾[1] أي آيات الآفاق والأنفس الممتدة أمام ناظر الإنسان ومحيطة به، وقد أتاه الله العقل والإدراك لفهم حقائقها واستبطان ماهيتها لاستنباط قوانينها والتوصل إلى تسخيرها من جهة ومن جهة أخرى إلى حقيقة خالقها العظيم كما في البيت:

" تأمل سطور الكائنات فإنها من الملأ الأعلى إليك رسائل [2]

بمعنى: أنظر بعين الحكمة إلى سطور الحوادث التي كتبها المصور الأزلي في الأبعاد الواسعة لصحيفة العالم ... كي ترفعك سلاسل تلك الرسائل الممتدة من الملأ الأعلى إلى أعلى عليي التوحيد"[3] وهو بذلك تأكيد لحقيقة وغاية النظر في الموجودات،لأن الله تعالى أبدع كتاب الكون المتمثل في إيجاد الموجودات على درجة كبيرة من الدقة والجمال من أصغر موجود جزئي إلى أكبر الموجودات الكلية، ليظهر سبحانه وتعالى تفرده وسمو ذاته، ويُفهم كلامه، ويُظهر جماله بهذا الكون المترامي عبر صفحات الوجود في كلماته وحروفه ونقاطه في هذا الكتاب البديع[4] وهو يرشدنا إلى إحدى القراءتين، قراءة كتاب الكون والتركيز على كل تفاصيله المؤدية إلى إدراك عظمة الباري تعالى وبديع صنعه، للدلالة على تفرد الخالق بخاصية الخلق، فالتأمل في بساط الأرض وجناتها وموجوداتها وإمعان النظر في السماء التي تظلها بنجومها المتلألأة توحي للإنسان بالختم الإلاهي المتفرد في الخلق للدلالة على وحدانيته في التصوير والإبداع لكل شيء من المخلوقات، وكل موجود من الموجودات، والبرهنة على استحالة تقليده فيما أوجد وصنع، وفي كل ما خلق وبرأ من

[1] سورة فصلت، الآية: (53)

[2] بديع الزمان سعيد النورسي:المثنوي العربي، ترجمة إحسان قاسم الصالحي، ط1، 1415هـ-1995م، دار سوزلر للنشر، فرع القاهرة، ص107

[3] مجلة النور، العدد2، يوليو 2010، مقال كتاب الكون قراءة وموقعه وتطوره في فكر بديع الزمان النورسي لـ: شكران واحدة، ص80

[4] بديع الزمان سعيد النورسي: اللمعات، ترجمة إحسان قاسم الصالحي، ط6، 2011، دار سوزلر للنشر، فرع القاهرة، ص 530.

كائنات مبثوثة في الكون المترامي الأطراف[1] ، وهي إشارة إلى تنوع وتعدد الأدلة المبرهنة على وجود الله وعظمته، والتي تحمل الرد المفحم لأصحاب المنطق المادي، وتقوض أركان هذا الفكر الذي يحاول أن يفهمنا أن الحضارة الغربية قامت على علم تحرر من كل أشكال المقدس، وانطلق من المشاهدة والملموس ليعود إليه.

وفي صفحات التاريخ رد لهذه المزاعم وإثبات أن الحضارة الإسلامية إنما ارتكزت على فكر مستنير بالوحي، مسترشد بالبحث، في الأنفس والآفاق وفي كل شيء استطاع العقل البحثَ فيه، وخلق لنفسه توجها معرفيا، شمل كل ميادين المعرفة، وخاض جميع المجالات التي اتخذها مادة للبحث، غايته في ذلك إدراك الحقيقة والتوصل إلى الحق تبارك وتعالى، ومن ثم حسن تعبد الإنسان له بإعمار الأرض وإتقان مهمة الإستخلاف، وكان النجاح مكلِّلا للجهود حيث أن الفكر الإسلامي اتجه بالبحث إلى عالم المادة، وعالم ما وراء المادة، فأوصله الأول إلى حقائق الكون متمثلة في سننه وقوانينه، و الثاني إلى حقائق الغيب فهما واقتناعا بما جاء به الوحي فيما هو خارج عن نطاق الكشف العقلي، وكشفا فيما هو داخل ذلك النطاق. ما جعل الوجود كله مسرحا للتوجه المعرفي للعقل، فيحصل منه من الحقائق ما يكون به التعمير في الأرض والخلافة فيها تعميرا ماديا باكتشاف حقائق المادة، وتعميرا روحيا باستيعاب حقائق الغيب التي يترقى بها الإنسان في ذاته الفردية والجماعية[2]، أي النتائج التي توصل إليها بالنظر كفيلة بترقيته في مراتب الإنسانية، والكمال توجها نحو الحق تبارك وتعالى، وبتأهيله للدخول في دورة حضارية جديدة، بما حصل له من يقين، وزاد معرفي، سيكون باعثا له على تعمير الأرض، وأداء الأمانة التي حملها دون غيره من المخلوقات، والقيام بمهمة العبادة والإستخلاف.

رأينا بعد هذا العرض لحقيقة الغاية التي توجه النظر، كما الجهد وترسم للإنسان خارطة طريقه الموصلة له إلى الصراط السوي، والمعينة له على تجاوز عقبات الطريق بيسر وثبات نحو خالقه، بما يليق بالخليفة الذي تشرف بحمل هذه الأمانة، وقد زوده الله بكل ما يحتاجه لأداء وظيفته الوجودية تلك.

المطلب الثالث: الأساس السنني التاريخي

[1] بديع الزمان سعيد النورسي: الكلمات، ترجمة إحسان قاسم الصالحي، ط6، 2011، دار سوزلر للنشر، فرع القاهرة، ص 328

[2] عبد المجيد النجار: الشهود الحضاري للأمة الإسلامية،: عوامل الشهود الحضاري،ج2، ص41

1-حكمة إيراد قصص السابقين:

أشرنا فيما سبق إلى تركيز القرآن الكريم على النظر، وخلصنا إلى أن الغاية منه ليست النظر لذاته، بل الإستنباط لسنن الله في الآفاق والأنفس، والتي لها من الأهمية في توجيه الإنسان إلى الحق[1]، ما ليس بمقدور الإنسان إدراكه خارج الهدي الرباني في ما أنزل لعباده من الوحي لقوله تعالى﴿قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ كَثِيرًا مِمَّا كُنْتُمْ تُخْفُونَ مِنَ الْكِتَابِ وَيَعْفُو عَنْ كَثِيرٍ قَدْ جَاءَكُمْ مِنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُبِينٌ يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلَامِ وَيُخْرِجُهُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِهِ وَيَهْدِيهِمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾[2] فيهتدي به الناس إلى الصراط السوي بما يفجره فيهم من طاقات كامنة، وقدرات تحتاج إلى لمسات ناعمة تخاطب العقل وتتحداه بأسئلة تجعله في حاجة إلى إعمال ونظر ليحاول الإجابة، وتتبدى أمامه الحقائق، وهو ما يميز القرآن الكريم، بكونه:" النبع الأصيل لإمداد الحياة بروافد الفكر المهتدي بنور الوحي الإلاهي، فياض بالعلوم والمعارف، زخار بروائع الحقائق، يستثيره الباحثون بالبحث والنظر فيعطيهم من خزائن حكمته ما تشاء عقولهم المسلمة من فلسفته"[3] ليدل هذا على ما أريد توضيحه من أن النظر في سيرورة الحياة الإنسانية منذ آدم إلى وقتنا، مطلق قرآني، لتكون للإنسان رؤية واضحة وشاملة حول حركة التاريخ البشري، الذي تحكمه سنن وقوانين لا يصل إلى إدراكها إلا من أمعن النظر وأعمل العقل في استقراء هذه الأحداث، والتوقف عبر محطاتها المختلفة، ثم التحكم فيها، وتوجيهها ضمانا لفاعليته، واستحقاقا لأهلية صنع التاريخ وتوجيه الأحداث نحو التغيير، بأخذ العبرة من أحوال الأمم السابقة وتجنب دفع أثمان الأخطاء مكررة، بل الاستفادة من أحوالهم والتأمل في مصائرهم، وفقه سنن حياتهم وسيرهم للاتعاظ والإعتبار لقوله تعالى ﴿قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِكُمْ سُنَنٌ فَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ هَذَا بَيَانٌ لِلنَّاسِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةٌ لِلْمُتَّقِينَ ﴾[4] لندرك أن ما يزخر به القرآن من ذكر لأحوال السابقين ليس مجرد ذكر بل هو دروس وعبر تعين إنسان الرسالة والخلافة على فهم البعد

[1] محمد مهاتير طبيب في رئاسة الوزراء، ص234.

[2] سورة المائدة، الآيتان:(15-16)

[3] محمد الصادق عرجون: سنن الله في المجتمع من خلال القرآن، منشورات العصر الحديث، جدة، 1391هـ-1981م، ص 14.

[4] سورة آل عمران، الآيتان: (137-138)

الرسالي لحياته، ثم تطبيق حقيقة الإستخلاف والقيام بعمارة الأرض، وصناعة التاريخ بعد تحسس عمقه فيه، ومحوريته في الكون. والمتأمل في المنهج القرآني وهو يعرض الحقائق التاريخية وأحداث الأمم السابقة جماعات وأفراد يصل إلى أنه وهو يطالبنا بالنظر إنما يريدنا أن نحلل الأحداث لتركب منها حضارة متكاملة بعد إيقاظ الحس التاريخي الذي سيتولى – فيما بعد– مهمة التوجيه وخلق أدوات التغيير، بناء على تصور واضح في الأذهان يربط به الإنسان ماضيه بحاضره مستشرقا بناء مستقبله على قواعد ثابتة وسنن تنير له الطريق، لاسيما إذا عرفنا أن من الحكم التي بينها القرآن الكريم للرسول ﷺ من ذكر أخبار السابقين ومنهم الرسل، تثبيت قلبه ﷺ وشحذ همته ليمضي قدما في تبليغ الرسالة، ويعرف أنه لم يكن بدعا من الرسل، قال تعالى ﴿كُلًّا نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَاءِ الرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِ فُؤَادَكَ وَجَاءَكَ فِي هَذِهِ الْحَقُّ وَمَوْعِظَةٌ وَذِكْرَى لِلْمُؤْمِنِينَ﴾[1] لقد كان هذا القصص يتنزل على رسول الله ﷺ في مكة معه الفئة المؤمنة معه محصارة بين شعابها، والدعوة الإسلامية محصورة في دائرة ضيقة، أمامها طريق شاق وطويل لا يكاد المسلمون يرون له نهاية، فكان دور القصص تثبيتهم وطمأنتهم عن نهاية الطريق، وبيان معالمه في مراحلها جميعا، ويأخذ بأيديهم وينقل خطاهم في هذا الطريق[2] وهو كلام موجه إلى البشرية جميعا، وإلى ورثة الدعوة خصوصا، ليبعث في أنفسهم الإطمئنان ويحركها في طريق الدعوة المرسوم، لأنها في حاجة إلى القرآن تستلهمه وتستوحيه، في منهج الحركة ومراحلها حتى ينتفض حيا كأنه يتنزل اللحظة على الجماعة المسلمة المتحركة، لتتحرك به وتتابع توجيهاته متوقعة وعد الله[3]،وهوتأكيد على أن القرآن هدي للعالمين إلى قيام الساعة.

وكما أن الآيات القرآنية الداعية إلى النظر في أحوال السابقين كثيرة فكذلك الأحاديث النبوية أيضا، حيث أكد ﷺ على ذلك في قوله فيما رواه سالم بن عبد الله عن أبيه –رضي الله عنه– أن النبي ﷺ لما مر بالحجر قال: «لا تدخلوا مساكن الذين ظلموا، إلا أن تكونوا باكين أن يصيبكم ما أصابهم، ثم تقنع بردائه وهو على

[1] سورة هود، الآية:(120)
[2] سيد قطب: في ظلال القرآن، ج4، ص 1948
[3] المرجع نفسه ، ص 1948.

الرحل»[1] منبها أصحابه وأمته إلى ضرورة الإعتبار بما حدث لأهل الحجر الذين كذبوا المرسلين فكان عقابهم شديدا، كما ذكر السخاوي عن الرسول ﷺ ما روي عنه أنه قال: «من ورخ مؤمنا فكأنما أحياه ومن قرأ تاريخه فكأنما زاره» [2] ليعلمنا ﷺ قيمة التواصل، مع الأموات فإن أردنا إبقاءهم أحياء علينا أن نذكرهم، وحياتهم المقصودة هنا هي وجودهم المعنوي بفعل طيب فعلوه، أو قول صالح نطقوا به، أو أثر طيب تركوه بعدهم.

وقد علّم الرسول ﷺ أصحابه قيمة التاريخ، وضرورة وعي حركته، لما جاء في وصية أب لولده يدعوه فيها إلى قراءة التاريخ، والنظر في أحوال الماضي، للإتعاظ والإعتبار بما جرى لهم، فأمره أن يُحيي قلبه بالموعظة، ويُعرض عليه أخبار الماضين، وتذكره بما أصاب من كان من الأولين... وأن يسير في ديارهم وآثارهم، ليرى ويتمعن فيما فعلوا، وأين إنتقلوا وحلوا ونزلوا، وسيجد حتما أنهم فارقوا من يحبون، وحلوا دار الغربة، وكأنه بعد حين يصبح كأحدهم، وأنه مهما عاش الإنسان من عمر طويل أو قصير لابد أن يمعن النظر أعمال السابقين، ويفكر في أخبارهم، ويتعقب آثارهم، حتى يعتبر نفسه كأحدهم، بل كأنه بما انتهى إليه من أمورهم قد عاش مع أولهم وآخرهم وأدرك الكثير من العبر[3] ومن يتمعن في الكلام السابق يجد أن أجنة علم التاريخ، والموجودة في القرآن والسنة فهمها الصحابة وأدركوا قيمة النظر والإعتبار من خلال التحليل والنظر في أحوال السابقين، ووعي أحداث التاريخ لجعلها معالم في طريق الحاضر والمستقبل، لكن وخلال مراحل وعصور إزدهار الحضارة الإسلامية، ورغم ظهور الحركة العلمية الواسعة التي كانت ثورة علمية حقيقية في ميادين العلوم المختلفة، لم يحظ علم التاريخ بانطلاقة لائقة به، نظرا لما في القرآن الكريم من إشارات واضحة وكثيرة إلى ضرورة إعتماد سِيَرْ وأخبار السابقين نقاط إنطلاق إلى الإصلاح والإفادة من أخطائهم وعدم تكرارها، أو -لم لا- تجنبها، إنما بقي عبارة عن سرد للأحداث دونما تحقيق أو نظر، واستخلاص لما وراءها من سنن وقوانين تحكم حركة المجتمعات والأمم، ولازم التاريخ طابعًا سرديًا إخباريًا عن الوقائع والأسماء والأماكن إلى أن

[1] ابن حجر العسقلاني: فتح الباري بشرح صحيح البخاري، دار المعرفة بيروت (د.ت)، ج6، كتاب أحاديث الأنبياء، باب 17، ص 378، الحديث رقم 3380.

[2] السخاوي: الإعلان بالتوبيخ لمن ذم التاريخ، ص 27-28

[3] عامر الكفيشي: حركة التاريخ في القرآن الكريم، ط1، 1424هـ-2003م، دار الهادي بيروت، ص 34.

جاء ابن خلدون، رافضا منهج المؤرخين القدامى الذي يكتفي بسرد أحداث التاريخ والاهتمام بتزيين الأخبار وتنميتها دون النظر في صحتها أو خطابها، ليبقى من يتلقى هذه الأخبار يفتقد سر أحوال الأمم والدول، وسبب نجاحاتها أو إخفاقاتها، وسنن ثباتها أو سقوطها، أي نمر عليهم أخبار السابقين كذكر مجرد خال من الاعتبار مفتقرا إلى المقصد الرئيسي من تتبع الأخبار والأحداث عبر التاريخ[1] ليكون بهذا الطرح قد خالف من سبقه في فهم التاريخ فلم ينظر إليه كروايات، وأحداث تدون، بل كعلم يستحق النظر، والتحقيق، واستخلاص القوانين، والسنن تفسيرا فعليا لقوله تعالى ﴿وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلًا﴾[2] وهي قاعدة ربانية لمن يريد الفوز والنجاح بأخذ العبرة من السابقين، وهو ما نجده في القرآن الكريم ودعوته لنا بالنظر والتحليل في قصص الأولين لندرك سر دعوته للمؤمنين إلى التأمل فيما مضى من سير الأمم، وذلك حتى يدركوا كيف تتركب الكتلة المخصبة من الإنسان والتراب والوقت»[3] أي يأتي التركيب الذي يعطينا ناتج الحضارة بعد النظر والتحليل وإيجاد القوة المركبة لعناصر الحضارة الثلاث: الإنسان والوقت والتراب وكدليل على دور أساس الإعتبار وقيمة النظر في التاريخ لا يفوتني أن أورد ما ذكره مالك بن نبي -رحمه الله- في تساؤله كيف تم تعاملنا أي تعامل مؤرخينا مع معركة صفين مارين عليها مرورا سرديا عابرا لم يعط هذه الحادثة المفصلية في التاريخ الإسلامي حقها من التحليل ثم الوقوف عندها للإعتبار، يقول: مستغربا لعدم تنبه المؤرخين إلى هذه الواقعة التي حولت مجرى التاريخ الإسلامي، و الحضارة الإسلامية إلى طور القيصرية الذي يسوده عامل العقل، وتزينه الأبهة والعظمة، في الوقت الذي بدأت تنمو فيه بوادر الفتور الدال على أفول دور الروح[4] ليخلص إلى سنن الحضارات في قيامها وسقوطها ومراحل الحضارة الثلاث حسبه وهي مرحلة الروح، ثم مرحلة العقل وأخيرا مرحلة الأفول والسقوط وهي مرحلة الغرائز لأن التجارب التاريخية العامة تؤكد أطوار الحضارات هذه، ولا تكاد حضارة ما تشذ عن هذه القاعدة وقانون الحضارات هذا مستخلص من النظر والتحليل في حوادث التاريخ وأخبار الأمم السالفة.

[1] عبد الرحمن ابن خلدون: المقدمة، ص 14

[2] سورة الفتح، الآية:(23)

[3] مالك بن نبي: شروط النهضة، ص 58

[4] المرجع نفسه ، ص 58

والحقيقة أن التاريخ البشري منذ بدايته الأولى في الملأ الأعلى عند خلق آدم وقصة الخلق التي بينها القرآن الكريم بوضوح، إلى قصة آدم وإبليس، ثم حادثة إبني آدم وما صاحبها من نشأة العنف والحكمة من موقف كل واحد منهما إلى قصص الأنبياء والرسل مع أقوامهم وأممهم تجعل العودة إلى التاريخ، وفق رؤية واعية، تبعث في النفس شعورا بالثقة والإطمئنان، وتنمي المناعة والصلابة في وجه الأحداث، من أجل الإستمرار في صنع التاريخ بشكل يسهم في الإبداع والبناء الحضاري، لأن الإنسان الرسالي، صانع التاريخ، لا يتطلع إلى المستقبل ليسبح في عالم الرؤى والأحلام، ولا إلى الحاضر، ليستغرق فيما حوله من أحداث ومشكلات، ولا ماضويا يذوب في الماضي ويعمل على استنساخه من جديد ، وإنما يعيش القلق الدائم والجهد المثابر نحو الحاضر والمستقبل، من خلال وعي وإدراك الماضي، وعندما تتفاعل قوى وعناصر هذا المثلث الزماني -الماضي والحاضر والمستقبل- في ذات الفرد والأمة بإدراك متزن سليم، فإنها تنتج العمل التاريخي المبدع الذي يتغلب على مصاعب الحاضر، ويخطط لآمال المستقبل[1] وبهذا يكون الإنسان الرسالي والذي تتحقق به الخلافة، ويكون أهلا لحمل الأمانة، قد استفاد من تجارب السلف، بعد أن أمعن فيها النظر والتدبر، وخرج منها بالحكمة الإلاهية من ذكرها في القرآن الكريم.

وهو أمر نبه إليه محمد مهاتير في كلامه عن التاريخ، إذ يصفه بأنه خير معلم للإنسان، وقد أثبت ذلك مرارا، فهو يمثل معلما حقيقيا لكن تلاميذه شاردوا الذهن[2] ما داموا لا يعتبرون، الأمر الذي سيكلفهم دفع الثمن مرارا، لنستخلص من ذلك أن الإنسان لابد أن ألا ينظر إلى التاريخ، على أنه أحداث تمر وتسجل، بل هو دروس تتهيأ للناظر فيها لإخراج السنن والإفادة منها، تماما كما أراده القرآن الكريم، مبصرا للإنسان ومبينا له سنن من قبله.

2- السير والنظر وفوائده:

تتجلى فوائد السير في الأرض، وتأمل من مروا عليها وعمروها، وكذلك من نشروا فيها الفساد، في الإعتبار بعواقب أفعالهم خاصة الطغاة وما حل بهم من غضب الله وانتقامه، والقرآن الكريم -رفقا بالإنسان- يتلو عليه قصصهم، ليبصره بما كانوا عليه، وما حل بهم جراء طغيانهم وتجبرهم حتى يكونوا عبرة لمن بعدهم، وهي أهم فوائد القصص

[1] قسطنطين زريق: نحن والتاريخ، دار العلم للملايين بيروت 1985 م، ط6، ص 169.

[2] محمد مهاتير: طبيب في رئاسة الوزراء، ص 63.

القرآني الذي استحوذ على أهم مساحاته، يقول تعالى ﴿ وَكَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُمْ مِنْ قَرْنٍ هُمْ أَشَدُّ مِنْهُمْ بَطْشًا فَنَقَّبُوا فِي الْبِلَادِ هَلْ مِنْ مَحِيصٍ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرَى لِمَنْ كَانَ لَهُ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ﴾[1] يقول سيد قطب في بيان معنى الآية أن مصارع الغابرين ذكرى، لمن كان له قلب، وأن الذي لا تذكره هذه اللمسة هو الذي مات قلبه أو لم يرزق قلبا على الإطلاق! ويزيد على ذلك أنه يكفيه على الإعتبار أن يكون هناك سمع يلقى إلى القصة بإنصات ووعي، فتفعل القصة فعلها في النفوس، وإنه للحق، لأن النفس البشرية شديدة الحساسية بمصارع الغابرين، وأقل يقظة فيها وأقل تفتح كافيان لاستجاشة الذكريات، والتصورات الموحية في مثل هذه المواقف المؤثرة و المثيرة[2]، استعداد النفس البشرية للاعتبار هو سبب تركيز القرآن الكريم على ذكر قصص السابقين، وأي نفس لا يحدث فيها ذلك هي نفس ميتة بعيد صاحبها عن النظر والتأمل والسمع والإستفادة من نعم الحواس التي منحه الله إياها طالما أبقاها معطلة حرم نفسه الانتفاع بها.

والقرآن الكريم ينكر على من يعطلون سمعهم وأبصارهم وحواسهم وبالتالي عقولهم، إذ يقول تعالى ﴿ أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا أَوْ آذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَكِنْ تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ﴾[3] أي لابد أن يتحركوا بأبدانهم ويستعملوا عقولهم بتنقلهم إلى مساكن الذي أهلكهم الله بكفرهم، ويروا مصارعهم فيعتبروا ويدركوا قوة بطش وانتقام الجبار من الكافرين والمكذبين، وما حل بهم وبأقوامهم من دمار يبقى شاهدا على زوال الظلم والظالمين، هذا لمن يبصر ويتعظ، أما من يمر على هذه الآيات دون اعتبار فالقرآن الكريم يقر بإصابته بأخطر درجات العمى وهي عمى البصيرة، وعمى القلب عن إدراك العبر واستخلاص الدروس، وإلا ما الفائدة من بقاء آثارهم ومن الأمر بالنظر والتمعن فيها لأخذ العبرة وإدراك الحقائق[4] ونلاحظ أن الآية الكريمة ربطت بين الأمر بالسير في الأرض مع النظر والتأمل لحصول الإعتبار والموعظة، واستخلاص دروس التاريخ في الأمم السابقة لنا حتى لا يقع لنا ما حذرنا منه الرسول

[1] سورة ق، الآيتان: (36-37)

[2] سيد قطب: في ظلال القرآن، ج6، ص 3366

[3] سورة الحج، الآية:(46)

[4] سعيد حوى: الأساس في التفسير، الجزء 4، ص 122.

صلى الله عليه وسلم: حينما قال « لا يلدغ المؤمن من جحر مرتين"[1] والإعتبار يقينا لدغات التاريخ التي سجلها على السابقين، فنأمن نحن منها إذا ما تأملنا أسبابها وعواقبها وتجنبنا دفع المزيد من الأثمان، ما يعني أنه حصلت لنا الإفادة من الوعي بأحداث التاريخ وفق المنهج القرآني الذي ربط بين الحاضر والماضي، ليجعلنا نطلع إلى ما وراء أحداث السابقين فنستخلص منها السنن التي نتحكم بها في الحاضر ونستشرف بها المستقبل في خط سير متزن ممتد من التاريخ ومتصل بالواقع، ومتطلع إلى مستقبل يدفعنا إليه وعي بمهمة الشهود على الأمم، لننطلق إلى الفعل الحضاري المنوط بنا.

ونستخلص مما سبق أن فوائد النظر والتأمل في أحداث التاريخ وأخبار السابقين تتلخص في امتلاكنا لـ:

1-القدرة على التحليل والنقد: فيتوفر لنا الزاد الذي ننطلق به نحو الواقع وأمام ناظرنا خط مسيرة البشرية في مختلف أحوالها وتقلباتها وما عرضه علينا القرآن من أسباب ونتائج هذه الأحوال المختلفة.

2- اليقظة الدافعة على الفعل والإنجاز: لأن من له دراية بما حدث لمن قبله يدرك عظم المسؤولية وعظم الثمن، فيهون عليه ما يلاقيه في سبيل الرقي والنهوض ويمضي نحو غايته وقد زود نفسه بعدة، استخلصها من التاريخ، مما يؤكد لنا أن الإهتمام بدراسة التاريخ تحديدا ليس ترفا ولا تزيدا، بل هو أساس من أسس النهضة، والخروج من عثرتنا التي طال أمدها، ذلك أن التاريخ ليس الماضي بل هو المستقبل[2] لما يمثله من قدرة هائلة بيد الأمة تجعلها مستعدة لمواجهة الصعاب، وتذليل التحديات، لتندفع نحو الترقي بالفعل والإنجاز الحضاري وهو ما يؤكده محمد مهاتير في كون التخطيط للمستقبل لا يكون له معنى ولا فائدة من دون النظر إلى الماضي والإعتبار بدروسه. [3]

3- اليقين بحتمية انتصار الحق وغلبته: وهو ما تؤكده عديد الآيات القرآنية والأحاديث النبوية، إذ يقول تعالى ﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى

---

[1] محمد بن إسماعيل البخاري: صحيح البخاري، كتاب الأدب، باب: لا يلدغ المؤمن من جحر مرتين رقم 5782، ص 547.

[2] شوقي جلال: التراث والتاريخ، سينا للنشر، القاهرة 1995م، ص317.

[3] محمد مهاتير: الموسوعة، الإسلام والأمة الاسلامية، المجلد1 ص 159.

لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا وَمَنْ كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾[1]ليتبين لنا من خلال الآية: «أن وعد الله ناجز لكل من يقوم على الشرط من هذه الأمة إلى يوم القيامة، وأنه إذا تأخر النصر والإستخلاف والتمكين والأمن، لتخلف شرط الله في جانب من جوانبه الفسيحة، أو في تكليف من تكاليفه الضخمة[2] فالنصر وعد من الله لكن بثمنه، وبإعداد عدته، وتحقيق شروطه وأسبابه، كي لا يكون وعدا سهلا تنام الأمة وتتمنى نيله بالأحلام والأمنيات، دون دفع أثمانه العظيمة وغير خاف علينا أن ما سهل قل ثمنه، وقلت قيمته وما عز ثمنه استحق بذل النفس والنفيس في نيله، ثم المحافظة عليه والتاريخ أثبت لنا أنه ما من مرة سارت هذه الأمة على نهج الله وحكمت هذا النهج في الحياة، وارتضته في كل أمورها، إلا تحقق وعد الله لهابالاستخلاف، والتمكين والأمن، وما من مرة خالفت هذا المنهج، إلا وتخلفت في ذيل القافلة، وذلت، وطرد دينها من الهيمنة على البشرية، واستبد بها الخوف، وتخطفها الأعداء وما دام وعد الله قائم، فإن شرط الله معروف ومن شاء الوعد فليقم بالشرط، ومن أوفى بعهده من الله؟ [3] ومنه نستنتج أن من أسباب نجاح هذا المنهج القرآني في تربية النفوس والسمو بها نحو الكمالات الإنسانية ،واقعية وسننية النجاح والتمكين،وربطه بشروطه وأسبابه، حتى تعلو الهمم ويتعاظم الوعي بالغاية فيعظم معه الإستعداد والبذل.

بهذا يكون الوعي بالتاريخ، واستيعاب سنن الاولين في النجاح والفشل على حد سواء، أساسا مهما في صقل ذهنية المسلم، وإعادة برمجتها لتستوعب خطورة الحاضر، على ضوء الماضي وتستلهم أسباب إنحدارها وتخلفها، وتخطط لمستقبل مغاير تحقق فيه الأمة وعد الله بالنصر وبالعودة إلى الخيرية والشهود على الأمم، متى حققت الشرط المطلوب والمتمثل في العودة إلى منهج الله، والاسترشاد بكتاب الله وسنة نبيه ﷺ القائل: «لتتبعن سنن من قبلكم شبرا بشبر وذراعا بذراع حتى لو سلكوا جحر ضب لسلكتموهقلنا يا رسول الله: اليهود والنصارى؟ قال: فمن»[4] وهو تنبيه تحذيري ممن علمه

[1] سورة النور، الآية (55)

[2] سيد قطب: في ظلال القرآن، ج5، ص 2530

[3] سيد قطب: في ظلال القرآن، ج5، ص 2530

[4] محمد بن اسماعيل البخاري: صحيح البخاري، كتاب الإعتصام بالكتاب والسنة، باب لتتبعن سنن من قبلكم، رقم 7320.

ربه وأوحى إليه نورا يهدي المتمسكين به، الناظرين فيه نظر تفكر واعتبار وتدبر، والعاملين على اتباع السنن، وتوفير شروط النجاح والتمكين وتجنب شروط الهوان والخسران.

المطلب الرابع: الأساس الأخلاقي التربوي:

1- المرجعية الأخلاقية:

تمثل الأخلاق والقيم العامل الأول والأهم لبناء إنسان الحضارة، لاسيما ونحن نتكلم عن الإبعاث الحضاري، ونحاول استلهام أسسه من القرآن الكريم، الذي يعطينا القدرة على إعادة صياغة شخصية الإنسان وتأهيله من جديد، ليكون قادرا على حمل أمانة الإستخلاف، مستعدا للدخول مرة أخرى في حلبة التاريخ والفعل الحضاري ومن ثم تحقيق الشهود لأمته، ولن يتأتى لنا ذلك ما لم نضبط سلوكه، ونعيد صياغة منظومته الخلقية والتي ساهم ترديها في فساد أحواله، وخروجه من التاريخ لعدة قرون مسترشدين بنجاح الرسول ﷺ في تربية الجيل الأول، وكيف أبدع في تحويل الإنسان العربي من حالة البداوة والجهل إلى الرقي بجانبيه الروحي والأخلاقي، لأن الإسلام يولي للأخلاق الفاضلة مكانة سامية ، ومن يرجع إلى القرآن الكريم يلاحظ أنه في المرحلة المكية اهتم اهتماما بالغا بالجانب الأخلاقي في الإنسان، وحتى قبل البعثة كان محمد ﷺ أكثر أهل زمانه أمانة وصدقا وأدبا لأن القدرة الربانية ترعاه وتعده لمباشرة اللمسة الخاتمة في مهمة البلاغ المبين، وقد شهد له ربه بذلك حين قال تعالى﴿وَإِنَّكَ لَعَلى خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴾[1] ومن كان على هذا القدر لابد أن يشحن من يبلغهم بروحه وخلقه وفعلا كان الرعيل الأول على جانب عظيم من استيعاب روح القرآن وهديه، وكذا التشبع بأخلاق الرسول ﷺ.

ودرجة تخلق أي مجتمع من المجتمعات هي في الحقيقة انعكاس للعقيدة السائدة فيهم، والمؤثرة عليهم إذ تمثل الأخلاق والقيم السائدة في مجتمع ما انعكاسا مباشرا لعقيدة المجتمع، وثمرة لكل الظروف والتطورات والأوضاع التي مر بها وعيه، والتي تسود في حاضره[2] وإلى جانب العقيدة السائدة، يجب النظر إلى حامل هذه العقيدة ومبلغها للناس وإذا نظرنا

[1] سورة القلم، الآية: (4)

[2] عبد الكريم بكار: من أجل انطلاقة حضارية شاملة، ط4، 1432هـ-2011م، دار القلم دمشق ص 149.

في سيرة الرسول ﷺ نجد العنصر الأخلاقي بارزا أصيلا فيها، تقوم عليه أصولها التشريعية، وأصولها التهذيبية على السواء[1] وهو سر من أسرار نجاحه ﷺ في التبليغ، للتطابق بين صفاته وما يدعو الناس إليه، وعندما يقول ﷺ «إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق»[2]يقولهابفعله وسيرته، ويلخص رسالته في هذا الهدف النبيل، وتتوارد أحاديثه تترى في الحض على كل خلق كريم[3] وقد قال ﷺ «إن خياركم أحاسنكم أخلاقا » [4] والأحاديث كثيرة جدا في الحرص على الأخلاق الفاضلة، والتي لم يفرضها الواقع، أو يحددها العرف السائد أو تلح عليها الظروف الطارئة المتجددة، إنما هي منظومة متكاملة تولى الوحي ضبطها ليعد بها الإنسان الرسالي، والجيل المتلقي للرسالة الخاتمة، مع ضمان صلاحية هذه المنظومة الأخلاقية القيمية إلى قيام الساعة، فلا تتغير بتغير الزمان والمكان بل من خصائها أنها هي التي تغير الزمان وتصلح الإنسان لتصلح به الحياة.

وهي مرجعية تفتقد إليها المنظومات القيمية والأخلاقية الوضعية ما يعطينا الحق في تسميتها بأخلاق القرآن، هذه الحقيقة التي غابت أو غيبها الفلاسفة عند بحثهم موضوع الأخلاق، الأمر الذي أوقعهم في لبس وخلط، ثم العجز على تحديد أخلاقية أو عدم أخلاقية القيم، لأنه ليس في أبواب الفلسفة المعاصرة باب حملت مفاهيمه وأحكامه من مظاهر الإشتباه والإختلاط ما حمله: "باب الأخلاقيات"، فالغالب أن ما يكون قيمة خلقية في رأي بعض الفلاسفة قد يكون في رأي غيرهم قيمة غير خلقية[5]مادامت الحدية والضبط غائبان في مباحثهم، وعلى الأخص في مبحث الأخلاق، الذي وإن اتفق الفلاسفة على أن الخلق موجود في فعل من الأفعال أو في شخص من الأشخاص، فإنهم لا يتفقون على تعريف واحد يميزه عن غيره ويرجع سبب الإختلاف في حل إشكال القلق الذي دخل على المفاهيم الأخلاقية، من حيث كون حلولهم أو -لنَقُل- أجوبتهم على هذا السؤال بين من يرى أن المفاهيم الأخلاقية تنتسب إلى مجال الإنسانيات، وهي على

[1] سيد قطب: في ظلال القرآن، ج6، ص 3657.

[2] أخرجه البخاري في باب الأدب المفرد رقم 27، وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة رقم 45

[3] سيد قطب: في ظلال القرآن، ج6، ص 3657.

[4] محمد بن إسماعيل البخاري: صحيح البخاري، باب صفة النبي ﷺ كتاب المناقب، ص 665، رقم 3366.

[5] طه عبد الرحمن: سؤال الأخلاق، ط5، 2013، المركز الثقافي العربي، المغرب، ص 15

خلاف الطبيعيات[1] ما يبرر عدم ضبطها، واستمرارها في السعي إلى وضع المفاهيم الحدية، والمناهج التي تضبطها، بينما يرى فريق آخر أن ذلك يعود إلى كون المفاهيم الأخلاقية تنتسب إلى مجال المعنويات، وهي على خلاف الماديات، معارف عقلية مجردة لا يمكن ضبطها بالملاحظة أو التجربة أو الحساب[2] ما يؤصل هذه الحيرة حول ضبطها، وتحديد مفهوم واضح منضبط لها، ثم بعد هذا العرض للآراء المختلفة حول الإشكال المطروح يمكن القول أن السبب في اضطراب المفاهيم الأخلاقية يرجع إلى كون الفلاسفة غلب عليهم الإشتغال بها من دون ردها إلى المجال الحقيقي الذي تنتسب إليه لتبقى مشوشة دون استقرار ولا انضباط لكون هذا المجال المنسي والذي بدونه لا تسكن هذه المفاهيم ولا تثبت ولا تتمكن إلا بإدراجها في مجال «الدينيات» والدينيات هي المجال الذي يجمع إلى عنصر "الإنسانيات" وعنصر "المعنويات" عنصرا ثالثا هو الغيبيات، فكل مفهوم ديني هو في نفس الوقت مفهوم إنساني ومعنوي وغيبي وبهذايتمّ تحديد المرجعية الأخلاقية ليعفي الفلاسفة والعلماء والباحثين من كل هذا العناء، ولتتولى ضبط وتحديد المفاهيم الأخلاقية وبيان حسنها من قبحها، ومن الموضوعية المشهودة لهذا الرأي بيانه بأن الفلاسفة لم يخطئوا في نسبة المفاهيم الأخلاقية إلى مجال الإنساني والمعنوي، لكنهم أخطأوا حين حصروها في هذين المجالين دون تعديتها إلى مجال العيبيات، ليتم بفعلهم هذا فصلها عن الغيبيات رغم أن حقيقتها مرتبطة بكل ما هو إنساني معنوي غيبي، ليتحد مجال الأخلاق بمجال الغيب مثله مثل الحقائق الدينية[3] ومنه نخلص أن أزمة تحديد المفاهيم الأخلاقية عند الفلاسفة ترجع إلى ما غاب عنهم من ضرورة تدخل الدين في المسألة لضبطها وتحديدها ومن ثم لتولي الحكم عليها، وعلى أفعال الإنسان وسلوكاته بعيدا عن تدخل عقله أو هواه في ذلك.

ولئن طرح إشكال المرجعية الأخلاقية في الفلسفة والفكر الغربي، فإنه لا يطرح على مستوى الدراسات الأخلاقية الإسلامية ببساطة لأن الدين الإسلامي حسم أو – لنقل– أغلق مجال طرح هذا الإشكال تماما، والقرآن الكريم والسنة النبوية الصحيحة قد توليا تحديد المعيارية المطلوبة وجعلا الأخلاق تستوعب الحياة كلها مادامت غايتها صلاح

[1] المرجع نفسه، ص 24
[2] طه عبد الرحمن: سؤال الأخلاق،، ص 24
[3] المرجع نفسه ، ص 25

الحياة الإنسانية، وتحقيق مصالح العباد في العاجل والآجل، ولنختم هذا الطرح بحديثه ﷺ وهو يقول: «إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق»[1] أي إكمال الناقص منها، فحياة العرب في الجاهلية لم تخل من كثير من الفضائل والأخلاق الحميدة، إضافة إلى ما جاء به الرسل والأنبياء -عليهم السلام- من هدي، ولأن الإسلام هو الدين، كان لابد أن يتم هذا الكمال والتمام الذي أخبر به ﷺ ولا حاجة بعده إلى مصدر آخر لاستمدادها منه، كما يتجلى موقع الأخلاق في الإسلام في حديث له ﷺ يقول فيه: «أكمل المؤمنين إيمانا أحسنهم خلقا»[2] ليلخص كمال الإيمان في حسن الأخلاق، باعتبارها ما يصدر عن الإنسان من تصرفات، وسلوكات مع خالقه، مع نفسه ومع محيطه، فيتحدد كمال إيمانه بحسن أخلاقه ورفعة نفسه بالخصال الحميدة.

[1] سبق تخريجه

[2] أبو داوود، السنن: ج2، ص632، كتاب السنّة، باب الدليل على زيادة الإيمان و نقصانه، حديث رقم4682،قال الترمذي: حديث أبي هريرة هذا حديث حسن صحيح وصححه الألباني.

المبـــحث الثاني

أسس الإنبعاث الحضاري في الفكر الإسلامي المعاصر

بعد عرض ما رأيناه ضروريا كأسس للإنبعاث الحضاري المستنبطة من القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرةنحاول في هذا المبحث أن نعرض أسس الإنبعاث الحضاري المستوحاة من الفكر الإسلامي.

المطلب الأول: التاريخ والذاكرة الحضارية:

1-تحرير إسلام الرسالة من إسلام التاريخ:

قد يبدو العنوان غريبا، لكن أراها فكرة جديرة بالوقوف عندها، لأن الذي جاء به محمد بن عبد الله ﷺ دين مرجعيته ثابتة هي الوحي الإلاهي المستقل عن الفكر البشري والمفارق له، بل هو الموجه لهذا الفكر ومنير الطريق له، ومع توالي القرون والعصور أصبح الفكر مساويا في القدسية للوحيوانتقلت الأفكار من طور الإنتاج البشري المحض إلى مسلمات وبديهيات، أكسبها الجهلو الإنحطاط الذي ميز الحضارة الإسلامية في مراحل أفولها، نوعا من القدسية، لزم عنها ظهور ثنائية " الأنا و الآخر" من جهة كوني مصيبا وغير مخطئ، لتنتقل من مرحلة الهيمنة و التشدد إلى التحول إلى بديهيات ومسلمات غير قابلة للنقاش، ولا المراجعة حتى اكتسبت قدسية، جعلتها تتغلغل في النظام المعرفي ثم التجلي في مؤسسات[1] المجتمع، عبر البُنى الفكرية المسيطرة على كل مظاهر الحياة، الأمر الذي أخرج الإسلام من مظهر الدين الإلاهي الحي إلى إسلام تاريخي متعلق بأفكار البشر وأمزجتهم.

ولا غرابة في النتائج الوخيمة المترتبة على هذا المسخ والتشوه الذي يفتح الباب واسعا أمام الإبتعاد عن أصول الدين وحقيقته، وفشو الإنحراف و البدع و المحدثات مما تغير به الحال عما كان عليه مع الرسول ﷺ، حين كان الناس يقتبسون النور من منابعه الصافية المستغنية بذاتها عن كل مدد من خارجها مهما كان، مادام جهدا يبدأ في الذهن وينتهي فيه و يحقق غايته في ذلك الجهد الذي يبذله الذهن دون أن يخرج من هذه الدائرة المغلقة إلى الواقع، ويؤدي في النهاية إلى الإنحراف على قدر بعده عن الوحي الصادق.

[1] محمد مهاتير: طبيب في رئاسة الوزراء، ص568.

وتاريخ الإنسانية شاهد بأن الإنسان لم يعرف الهداية إلا لما تنزلت عليه من السماء و جاءه الأنبياء، وآخرها الدين الخاتم وما حمله للبشرية من حق وهداية و خير وقد أخرج من بيئة مقفرة وجماعات أمية متناحرة، جيلا تشرب العقيدة الصحيحة، وتمثل الأخلاق والقيم السمحة وطبقها في عالم الواقع في صورة منهج حياة ترجم من خلاله القرآن إلى سلوك يومي يستغرق الحياة كلها، يقول لإدراكهم أن من يعتقد هذه العقيدة ينبغي أن يكون سلوكه ملتزما بتلك القيم الأخلاقية فالدين المعاملة كما علمهم رسول الله صلى الله عليه وسلم، وكما قالت لهم عائشة رضي الله عنها حين سئلت عن خلق الرسول صلى الله عليه وسلم فقالت (كان خلقه القرآن)، وهذا الإرتباط بين العقيدة و مقتضياتها الأخلاقية هو القيمة الحضارية الجوهرية في هذا الدين[1]، وما كانت له هذه الدافعية الحضارية إلا لأنه دين الله تعالى، لكن عندما يدخل معه فكر الإنسان مهما كان عمله أو مكانته يبدأ الزلل والخطأ يميزان توجهات الإنسان وفكره وسلوكاته. وما يدفعنا إلى هذا القول هو ما يزودنا به التاريخ من حقائق، توجب علينا الوقوف عندها حتى نأخذ العبر ونتجنب دفع ثمن الأخطاء مكررا، ما يعني أن نضع في ضمير الأمة وفكرها أنه لا نهوض ولا إصلاح بغير ما نهضت به الجماعة الأولى التي تربت على يدي الرسول صلى الله عليه وسلم على منهاج الوحيحيث كانت حقائق القرآن والحديث هي المحركة لحياتها، وإذا ما حلَّت آراء الناس في توجيه تلك الحياة محلها فإنها ستتجه لا محالة الوجهة الخاطئة، وهو ما وقع للأمة، فيكون التصحيح بالرجوع إلى منهاج الوحي ثانية وآخر هذه الأمة لن يصلح إلا بما صلح به أولها، خاصة إن كانت وسيلة الإصلاح هي النور الذي أنزله الله لعباده مع خاتم الأنبياء صلى الله عليه وسلم والحل إزاء هذه المعضلة هو وجوب التفكير في تأسيس ثقافة تقوم على نظام معرفي جديد، يتخذ القرآن و السنة مرجعية وحيدة، وتخضع كل الفهوم والتفسيرات و والتطبيقات لضرورة اعتبارها اجتهادات لا تكتسب أية قداسة أو حظرا من حيث تعرضها للنقد و المراجعة من حين إلى آخر، ومن جهة أخرى يجب مراعاة إخضاعها لحقائق الوحي وكلياته وجزئياته وليس العكس، كما يشهد التاريخ على خطورة ما أنحدر إليه حال الأمة في فكرها الذي سمح لها بتطويع نصوص القرآن والأحاديث الصحيحة ولي أعناقها لتوافق آراء مرضى الفكر و منحرفي النفوس، وهو سبب من أهم أسباب الإنحراف الذي

[1] محمد قطب: واقعنا المعاصر، مكتبة رحاب، ط1، ص 188.

صاحب بداية انهيار الحضارة، بسقوط الفكر في براثن الجهل والخروج به عن الصفاء الذي اكتسبه مع الرعيل الأول، ولن يتم هذا إلا بتأسيس ثقافة معرفية جديدة تقوم على مسألة التفريق بين المرجعية و التجليات التطبيقية لها، وبما يضمن تقديس القرآن و صحيح السنة من حيث كونه وحي دون سواهما من التراث الفكري الإنساني، مهما كان مبدعوه الذين أنتجوه ودون تمييز لأنهم يبقون في إطار البشرية المنفصلة عن العصمة.

وهي نقطة أثارها محمد مهاتير حين أكد أن حالة الذل والهوان التي تعيشها الأمة الإسلامية سببها الأساس هو بعد المسلمين عن التعاليم الصحيحة لدينهم، إذ لو رجعنا إلى التاريخ وتصفحنا أحداثه سنجد أن التقدم والرقي الذي حققته الأمة الإسلامية في أول عهدها كان نتيجة منطقية مؤداها أنه لم يكن هناك في ذلك الوقت تفسيرات وتأويلات متناقضة للإسلام، ولا وُجدت أحاديث غير صحيحة وفتاوى ضحلة خرجت بالأمة عن الصراط المستقيم[1]. وإن كان الداء معروفا سهل وصف الدواء، الذي يكون بضرورة عودة المسلمين إلى تعاليم الإسلام الصحيحة، والبعيدة عن التحريف والتأويل، برجوعهم إلى الإسلام[2] بصورته النقية أيام الرسول صلى الله عليه وسلم والصحابة الكرام.

2- استعاذة الذاكرة الحضارية:

يلتقي هذا العنصر مع سابقه في كونه نتيجة لازمة لمعرفة المحطات المختلفة التي حفظها التاريخ لحضارتنا، من حيث البداية ثم الازدهار، وأخيرا الذبول أو الوهن، حينها نستطيع إستعاذة ذاكرتنا الحضارية، لنستعين بها في سيرنا نحو دخول دورة حضارية من جديد.

وقد يبدو تباعد بين الكلام عن الذاكرة في حين أن تطلعاتنا وأشواقنا تريد الحاضر والمستقبل الذي نخطه نحن بدخولنا التاريخ الذي خرجنا منه، وكان لنا معه ألم الكلالة و الغياب، لكن الحاضر والمستقبل لن ينضبطا إلا باستعادة أمجادنا الحضارية، عبر تاريخنا الطويل الممتد عبر قرون من الزمن، تحفظه ذاكرتنا الحضارية، ويحمله قرآننا و هدي رسولنا صلى الله عليه وسلم ليكون الإنبعاث من جديد، قناعة راسخة فينا، ودورنا هو بعثها إلى الوجود ويصبح " تفاؤلنا بقدرة هذه الأمة على النهوض، و البناء الحضاري، وتجاوز حالة

[1] محمد مهاتير: الموسوعة، الإسلام والأمة الاسلامية، المجلد1، ص 169.
[2] المصدر نفسه، ص 169.

الوهن و الهوان، التي هي عليه اليوم، لا يمثل بالنسبة لنا خيرا، بقدر ما هو عقيدة، مستمدة من مواثيق الله، ومبشرات الرسول ﷺ واستقراء التواصل الحضاري التاريخي لهذه الأمة واستعصائها على التذويب، والتمويت، و الإبادة، لأنها تمتلك خميرة البقاء و النهوض "[1] ذلك لأنها أمة القرآن ذات المرجعية المعصومة، و القرآن (عالمي) وموضوعاته (كونية) وإنسانه متفاعل بكل الأنساق الحضارية، وبكل المناهج المعرفية[2] ما يكسبه الحيوية الكافية لتحقيق شهود الأمة وبعث ريادتها الحضارية من جديد، ولأن التاريخ سجل للأمة أمجادها فواجب الأجيال الحفاظ على هذه الذاكرة والرجوع إليها لشحذ الهمم، وبعث الوعي الرسالي في المسلمين لينهضوا ويسترجعوا ما ضيعوه حين أضاعوا الإفادة من القرآن وقراءته المتجددة في كل عصر من العصور لإدراك حكمة المنهج الإلاهي، ووعي خاصية التحليل في القرآن التي أعطته الصلاحية للزمان و المكان،بما يجعله الله تعالى فيه من قابلية للعطاء المتجدد لمن يقرأه في مختلف مراحل الشرية بما يتماشى مع كل مرحلة وبنسجم مع خصائصها[3]،ما يجعل المسلم في أي عصر من العصور مطالب بفهم القرآن فهما مستوعبا لخصائص العصر وتطوراته، وقادرٌ على تنزيل معانيه على أي زمان وأي مكان، إذ لو توقف تجدد فهمه لن يصبح لعالميته وخاتميته أي معنى، كما يؤكد أبو القاسم حاج حمد أن علاقة المسلم بأوضاع أمته بمعناها الحضاري إنما هي علاقة بأمة رسالية، تمتلك شأنا عالميا بدعوتها ودينها ولها بصماتها ودورها الضروري في أية حضارة عالمية بديلة، وبمنهج يسمو إلى الكونية والعالمية كما هو القرآن في شموليته[4] وهو بهذا يحث الأمة على عدم الإرتداد على الذات، وعدم نسيان إمكانياتها الهائلة ومخزونها العميق، وأكثر من ذلك القدرة على النهوض من جديد مادامت بيدها كتاب الله وهدي نبيه ﷺ ، وهو أمر مهم جدا أن تمتلك أمة سبقت لها الريادة الحضارية[5]، ما يمّكنها من العودة من جديد، وهو حال الأمة الاسلامية مع مرجعيتها الحضارية المتمثلة في الوحي، ومع ما تجاوزته من أزمات متلاحقة،

[1] محمد مهاتير:الموسوعة ،الإسلام والأمة الإسلامية، الجزؤ الأول، ص12.

[2] محمد أبو القاسم حاج حمد: جدلية الغيب و الطبيعة، العالمية الاسلامية الثانية، ط1، 1425هـ- 2004م، دار الهادي للطباعة والنشر، لبنان، ص71.

[3] المرجع نفسه، ص، 9.

[4] المرجع نفسه،ص،447.

[5] عبد الحميد أبو سليمان: أزمة الإرادة والوجدان المسلم، ص 15.

لم تصمد أمام جزء منها أية حضارة غيرها وهو الأمر الذي يحتم على الذاكرة الجماعية للأمة عدم التغافل عن هذه المؤهلات، وعدم الغفلة عن الربط بين الأحداث الحضارية، و الحوادث المختلفة، واضعة نصب عينيها الحكمة الإلاهية التي شاءت لهذه الأمة أن تنشأ ضمن توقيت زماني ومكاني لحكمة، وفي وسط جغرافي أيضا لحكمة، ندرك من خلالها أن الله يدفعنا للانتقال من فكر ساذج سطحي إلى فكر التعليل المنطقي للعلاقات بين الظواهر والأشياء. وهو نقلة حضارية أمرنا الله بها قبل (1400) عام من حالة الفهم المشوش لوجود الأشياء وعلاقتها، إلى فهم منظم لعلاقات الحركة وموجدها. فالمبدع لحركة الظواهر موجود، وهي تحمل ضمنا حكمة وجودها ولا يبقى بعد ذلك إلا الإقرار للتقدير الإلاهي وتتبع حكمته في إيجاد الأشياء وعلاقتها[1] وهي الحالة التي يجب على الأمة الوصول إليها لاستعادة شهودها مرة أخرى، والتي يجب أن تتميز بالحيوية الحضارية، و الإلتزام بالمنهجية القرآنية التي ستشكل قوائم الدفع والإنطلاق.

المطلب الثاني:آليات التغيير

1- الاجتهاد والشورى :

إذا قلنا انبعاث فإننا نعني التغيير المطلوب الذي يحقق للأمة الإسلامية بداية الإنخراط في دورة حضارية جديدة، وآليات هذا الإنخراط متعددة نخص منها في هذا العنصر، لازمة غابت عن المجتمع الإسلامي خلال عصور الإنحطاط، ولا سبيل إلى النهوض من جديد دون جعلها أساسا مهما له، وهي لازمة: الاجتهاد والشورى، التي جعلها القرآن الكريم سبيلا للتجدد والحركة، من حيث كونها مظهرا لديناميكية مجتمع استقر في وعي أفراده عالمية رسالتهم، ودورهم الشهودي على الناس بما خصهم الله به من وحي، ركز في مواضع كثيرة على وجوب النظر و الإعتبار في مثل قوله تعالى ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ بِمَا أَرَاكَ اللَّهُ﴾[2] أو قوله تعالى ﴿فَاعْتَبِرُوا يَا أُولِي الْأَبْصَارِ﴾[3] وما الإعتبار إلا اجتهاد وإعمال للنظر في النصوص لإدراك مقاصدها وهو ما يطلق عليه محمد مهاتير لفظ التكيف، ويرى أنه أحد أهم الأسباب التي أفضت إلى راهن العالم الإسلامي اليوم إذ أن بداية أفول الحضارة الإسلامية كان مع عجز المسلمين عن

[1] المرجع نفسه ، ص49.

[2] سورة النساء،الآية : (105)

[3] سورة الحشر، الآية: (2)

التكيف مع مقتضيات التغير ومع المعارف والعلوم الحديثة[1] وهو يحث على ضرورة الإجتهاد والسعي إلى إيجاد الوسائل والأساليب الخاصة بنا وبخصوصيتنا لتحديد شكل الإستجابة الذي نريد، للتحديات الراهنة والخروج من محنة التخلف والجمود، و الله تعالى أراد من أحكامه الشرعية أن تتحقق بها للناس مصالح تسعدهم في الدنيا و الآخرة، وكل هذه الأحكام هي من حيث الأصل كذلك، ولكن عند تنزيلها في واقع الحياة فإنها وإن كانت في الغالب الأعم تتحقق منها مصالحها، إلا أنها في بعض الأحيان، تتخلف عنها ليس لأنها لا تتضمنها في ذاتها فالله تعالى لا يشرع إلا ما فيه مصلحة، ولكن لأن ملابسات واقعية حالت دون ذلك، وليس هذا الأمر متعلقا بكل أحكام الشريعة بل بعضها دون بعض[2]، وإدراك المصالح يكون بالنظر والإجتهاد للتوصل إليها، خاصة إن كان في دائرة الثابت المتميز بتلازم المقصد و الحكم رغم تغير الزمان و المكان، كمثال الصلاة والنهي عن الفحشاء والمنكر، فهما متلازمان في كل زمان ومكان، ويستبعد إمكان انفصالهما، أما إن كان في دائرة المتغيرات، فقد يتخلف إدراك المقصد من الحكم ويحتاج الأمر إلى الإجتهاد، لأنه يقتضي أن يقع النظر في الأحكام، فما كان منها ملازما لمقصده في التنزيل منفصلا عن الواقع وملابساته، جعل في دائرة الثابت الذي لا يتغير بحال من الأحوال، وما كان منها يحمل إمكانية أن ينفصل تنزيله عن مقصده يوضع في دائرة المتغير ويكون مجالا للإجتهاد الكفيل بإستكشاف المقصد من الحكم، وتنزيله على الواقع بصفة تحقق مصالح العباد[3] وهو دور الإجتهاد وما يبعثه من حيوية في الأحكام التي تتحقق بها حتما المقاصد المرجوة منها.

أما الشورى وقد ربطناها في هذا العنصر بالإجتهاد، وقصدنا من ذلك هو استرجاع كلمة الشورى حقلها الدلالي الممتد عبر مظهر الحياة كلها، إذ أن: " الشورى في القرآن الكريم مدخل تغييري للمجمع كله، وهي السبيل إلى مناخ اجتماعي عام وجديد"[4] لا سيما وقد جاء القرآن الكريم ليصحح النسب و العلاقات وحركية الحياة كلها داخل المجتمع الجاهلي، وحصول الأمر على هذا الوجه التغييري العام يحتاج إلى منظومة فكرية

[1] محمد مهاتير: الموسوعة، المجلد1، ص 157.
[2] عبد المجيد النجار: مراجعات في الفكر الاسلامي، ص 160.
[3] حميدة النيفر: النص الديني والتراث الاسلامي، ص26
[4] حميدة النيفر: النص الديني والتراث الاسلامي، ص26.

وآليات نظرية يمثلها الإجتهاد الذي ينمو ويعطي نتائجه في مناخ تسوده ديناميكية توجدها الشورى فيه،والمقصودبالشورى معناها الواسع الذي يبدأ داخل الأسرة ليمتد إلى رقعة الأمة كلها، تطبيقا لأمر الله تعالى الموجه إلى نبيه قائلا ﴿فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ﴾[1] وقد ورد في تفسير قوله تعالى " (وشاورهم في الأمر) أي استشرهم في كل ما يتعلق بهم من حرب لسلم لغير ذلك، مما لم ينزل عليك فيه وحي جبرا لخواطرهم وتطييبا لنفوسهم، وترويحا لقلوبهم، وبيانا لمكانتهم، وفتح أعينهم على قضاياهم، وتسييرا لهم من حيث يقتنعون أنه المصلحة، تعويد عقولهم على استنباط ما هو خير لمجموعهم[2]، ودلالة القرآن في مجمل آياته على الشورى لا تخصيص فيها، بل هي دلالة شاملة لكل شؤون الأفراد والأمة، وهذه الدلالة لا تنفك عن ملازمة الإجتهاد لها إذ لا يجب انفصال أحدهما عن الآخر، وفي غزوة بدر دليل على تحول الشورى مع الإجتهاد إلى نبض للجماعة المؤمنة بقيادة الرسول ﷺ في اختيار مكان المعركة، وما أشار به الصحابي الجليل الحباب بن المنذر بعد بيان عمق نظره وسداد تفكيره بالمكان الذي كان يقدر أنه الأفضل حيث قام فقال للنبي ﷺ:" يا رسول: أرأيت هذا المنزل، أمنزلا أنزلكه الله ليس لنا أن نتقدمه ولا نتأخر عنه؟ أم هو الرأي والحرب والمكيدة؟ قال: بل هو الرأي و الحرب و المكيدة. قال : يا رسول الله فإن هذا ليس بمنزل، فأنهض بالناس حتى نأتي أدنى ماء من القوم- أي جيش المشركين- فننزله ونغور- نخرب- ما وراءه من الآبار ثم نبني عليه حوضا فنملؤه ماء ثم نقاتل القوم: فنشرب ولا يشربون، فأخذ ﷺ برأيه ونهض بالجيش..."[3] وكانت سببا وجيها لانتصار المسلمين من الناحية النفسية وهو ما يسمى بحرب العطش، واستجابة الرسول ﷺ لرأي الحباب بن المنذر- رضي الله عنه- هي في حقيقتها تشجيع منه صلى الله عليه وسلم و تعليم لأمته قيمة الشورى، و الجو الذي تتم فيه، وأقصد ما يحيط بهذه الحادثة من عبر ودروس ينبغي على الأمة أن تفيد منها، مثل الحرية في إبداء الرأي، ثم الثقة التي يتحدث بها الصحابي، كذا استماع الجميع، وأخيرا رد فعل القائد ﷺ بعد أن رأى وجاهة

[1] سورة آل عمران، الآية: (159)

[2] سعيد حوى: الأساس في التفسير،ج1، ص 452.

[3] علي محمد الصلابي: السيرة النبوية، ط1، 1428هـ- 2008م، دار الدعوة للطبع و النشر التوزيع الاسكندرية، ص368.

الفكرة وسداد رأي صاحبها، مما يدفعنا إلى فهم الدرس العملي، وإدراك قيمة المشورة وإبداء الرأي مع اجتهاد الصحابي في اختيار مكان مناسب ليعسكر المسلمون فيه تأكيدا على ضرورة التلازم بين الشورى و الاجتهاد. ومن أهم أسباب ضعف الأمة الإسلامية زوال هذا التلازم، وانحسار مجال كل من الشورى لتقتصر على السياسة و الحكم، والإجتهاد ليبدأ في تضاؤل أدائه وفعاليته، بينما فضاء كل واحد منهما أوسع وأعم، فالشورى لا بد أن تشمل كل مظاهر الحياة و تستغرق كل قضاياها ومسائلها والاجتهاد يجب أن يلازم نصوص الوحي، وضمان تنزيلها على الواقع، بما يحقق مقاصد الشارع سبحانه وتعالى في إدراك الحكم، وبقاء الفهم المتجدد للنصوص بما يضمن مواكبتها للتطور المتسارع لمظاهر الحياة، وإيجاد الحلول لكل مشكلات العصر والخروج من أزمتي التقليد و الجمود، بل تحقيق الحضور في الزمان و المكان بما يسمح باستعادة حقائق الاسلام وظهور صورته الأصلية ولا يكون ذلك إلا إذا اقتنع القائمون على علوم الدين من علماء وفقهاء ومصلحين، أنه يجب العودة بالفهوم والاجتهادات إلى الأصل وهو القرأن والسنة، وإبراز الأسس التي يقوم عليها الإسلام من عدل ومساواة وحق، ولا ينبغي الخوف أبدا من أن يكون في ذلك مساس بالإسلام أو تشويه لصورته، لأنه متى حدث شيء كهذا فلابد من إدراك أن العيب ليس في الإسلام، بل كل اللوم يقع على عاتق القائمين عليه، بالتقصير في حسن فهمه وحسن عرضه [1]. وهو العامل الذي يراهمحمد مهاتير كفيلا بإخراج العالم من محنته، إذ يتم له ذلك حين يصل إلى الرشد، والوصول إلى الرشد يتطلب مهارة التفكير والنظر، وهو يتكلم عن سابق تجربة فيقول "كان علينا في ماليزيا أن نشحذ فكرنا لاستنباط حل لمجابهة تلك الأزمة، وفي الوقت نفسه نحافظ على استقرار قرارنا. وبفضل ثقتنا في الله سبحانه وتعالى أولا، وبأنفسهم في المرتبة الثانية، تمكنوا من الخروج بصيغة كفلت لهم إنقاذ البلاد والأمة الماليزية من حافة الإنهيار[2]. وقد قصدت ربط الفكرة بتطبيق فعلي لتوضيح أن الاجتهاد المقصود، هو إطلاق ملكة التفكير في كل مجال يحتاج إلى إعمال العقل، ليكون الاجتهاد آلية يستحيل الإستغناء عنها في أي مظهر من مظاهر الحياة، وما نجح مهاتير في الاجتهاد إلا لأنه فعله في محيط استشاري واسع، شارك فيه كل الملايويين كما سبق وأشرنا إلى ذلك وكما سيأتي توضيحه لاحقا.

[1] محمد مهاتير: الموسوعة، الإسلام و الأمة الاسلامية، المجلد1 ص40.

[2] محمد مهاتير:الموسوعة، الإسلام و الأمة الاسلامية ، المجلد1، ص،70.

2- التعايش والتسامح:

يرى محمد مهاتير أن ثقافة التعايش و التسامح[1] مع الأديان والمعتقدات الأخرى وقبول التنوع والثراء، والنظر إليه بإيجاب، بل وتفعيله ليحدث تمازج في الأفكار والعادات وأنماط الحياة، وبالتفاعل تتولد إبداعات الإنسان، والحوار والتسامح والرحمة بيانًا للوجه المشرق[2] للإسلام في عهد النبي - ρ- والذي مثلته الحضارة الإسلامية في تعامل الفاتحين والحكام مع أصحاب الأديان الأخرى باحترام حقهم في حرية المعتقد، وممارسة طقوسهم وكان تأسيسا لهذه القيم الانسانية الراقية، والتي ساعدت مجتمعا مثل المجتمع الماليزي المتميز بتعدد الإثنيات والديانات والأعراق المختلفة على العيش في جو من الأمن والاستقرار، وبدل الانشغال بالإقصاء و العنف[3] والأفكار العنصرية المثيرة للحقد والعنف المضاد، انشغل الماليزيون كما اليابانيين ومعظم المجتمعات الآسيوية بالتنمية والبناء للنهوض ببلادهم وساعدهم ذلك في احترام الدولة والقوانين، وأن اختلفوا مع الحكومة والحزب الحاكم، لقناعاتهم بأن الدولة حامية لأمنهم وقائمة على مصالحهم، وممثلة لهويتهم الوطنية.

وقد توسع مهاتير في جعل التسامح والتعايش يطبع سياسة حكومته الخارجية مع الدول المجاورة والبعيدة، إذ ورغم المشاكل التي سبق ووقعت بين ماليزيا والصين، ما جعل أمريكا تسعى لإقناع الماليزيين ودول جنوب شرق آسيا بخطر الغزو الصيني المحتل، لكن محمد مهاتير يقول بأنه .يتوجب[4] على ماليزيا التعايش مع الجارة "الصين"، و لا ينبغي أن نكترث لادعاءات أمريكا بأن الصين ستغزوا ماليزيا والدول الأخرى، وهو في الحقيقة فخ أمريكي بتصوير الصين عدوا محتملا، ليكون ذريعة لنشر أسطولها في المحيط الهادي للحماية والدفاع ضد الخطر الصيني المزعوم.

والحقيقة أن انتهاج طريق التعايش و التسامح ساعد ماليزيا كثيرا في نجاح علاقاتها الداخلية أو الخارجية، القائمة على تحقيق المنفعة للجميع وتبادل الأمن و الإزدهار مع الجميع، بل وحقق الإلتزام بهما، احترام غير المسلمين في ماليزيا للإسلام، ولشعائره، إلى درجة أن غير المسلمين في شهر

[1]-المصدر نفسه، ص123.

[2]-محمد بابا عمي: القاموس الحضاري للمجدد محمد مهاتير، ص 76.

[3]- عادل الجوجري: النمر الآسيوي محمد مهاتير، ص62.

[4]-محمد مهاتير: طبيب في رئاسة الوزراء، ص512.

رمضان يمتنعون على الأكل في الأماكن العمومية، ويشاركون المسلمين في الافطار الجماعي الذي تقيمه ماليزية في شهر رمضان[1].والتشارك في الأعياد و الاحتفالات بين الجميع.

ولأهمية قيمتي التسامح والتعايش، جعلهما محمد مهاتير أولوية سياسية ملحة، تقوم على ضمان بقاء ماليزيا في حالة إستقرار ، وضمان سلامتها من النزاع و الأحقاد المدمرة والمنتشرة هنا وهناك في العالم.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

[1] محمد مهاتير: الموسوعة، الإسلام والأمة الاسلامية،المجلد1، ص 104

المبحث الثالث

أسس الانبعاث الحضاري عند محمد مهاتير

ونحاول في هذا المبحث أن نذكر ما يراه محمد مهاتير من أسس ضرورية للإنبعاث الحضاري، بعد استعراضنا لها في القرآن والسنة وكذا الفكر الإسلامي.

المطلب الأول: استقامة الفهم وحسن التطبيق

1- ضرورة الفهم الصحيح للقرآن الكريم:

من الأسس التي قامت عليها الحضارة الإسلامية، أساس الفهم الصحيح لآيات القرآن الكريم والقائم على إعمال العقل و النظر في مدلولاتها و الغوص في معانيها للوصول إلى وعي معرفي يوجه السلوك، والأداء نحو الفعل والإبداع لتحقيق المقاصد، وبلوغ الغايات السامية كثمار لهذا الفهم، على أساس عالمية الخطاب الإلاهي، واستعلائه على خصوصيات الزمان والمكان و الإنسان[1]، من حيث كونه منهج حياة وسبيل للرشد، لا يتم صلاح الإنسان بعيدا عنه، كما أنه قابل للتنزيل في كل الظروف وعلى جميع مناحي الحياة، لما يتصف به من إمكانية استيعابه وتجاوزها إلى هداية الإنسان نحو الإستقامة برسم خارطة الصلاح، و التقدم نحو خير الدنيا وخير الآخرة، والصحابة يوم أحسنوا قراءة آيات الكتاب، أدركوا دلالاتها، وحققوا مقاصدها وصنع منهم الرسول صلى الله عليه وسلم سادة للكون: " ولهذا كان من بين ما يحكم به على قيمة دعوة النبي ورسالته،البحث عن نوع الرجولة التي ابتدعها و الفحص عن العامل الثقافي الذي انبعث عن روح دعوته"[2] لكن حال المسلمين أنقلب إلى الطرف الآخر، في الذل و الهوان جراء الإختلاف والإنحطاط، مع أن القرآن ما يزال هو هو، وآياته التي يقرأها المسلمون اليوم هي ذاتها التي قرأها أبو بكر وعمر والصحابة رضوان الله عليهم، كيكون الذي تغير هو قارئ القرآن،وطريقة فهمه للآيات وكذا الأحوال و الظروف السائرة نحو التعقيد و التشابك وبالتالي يكون من العبث مغادرة الواقع إلى التاريخ الإسلامي، ومحاولة البحث عن حلول في منظوماتنا الفقهية التي بناها الأوائل بمنطق سكوني جامد، لا يراعي خصائص النص القرآني، ولا قابليته للتفاعل مع متغيرات الزمان و المكان وهيمنته عليها، وهو حرج فكري أدخل المسلمين في أزمة يتزايد

[1] عبد الحميد أبو سليمان: أزمة الإرادة والوجدان المسلم، ص 54.

[2] محمد إقبال: تجديد الفكر الديني، ط1 1955م، دار القومية للنشر، القاهرة، ص 142.

اطرادها ويصعب من مهامهم في الوصول إلى مناهج معرفية تكون آلياتهم إلى التغيير، وتلزمهم بإطلاق الفكر من قيود التبعية وتقديس الموروث البشري، الذي يبقى قابلا للنقد والتحليل ومن تم الغربلة والإسترجاع لما يصلح أن يكون حلا لمواجهة التحديات، و القدرة على مواكبة الفكر الإنساني، وتقديم البديل القرآني للبشرية الحائرة ويستجيب لحاجات المجتمعات المعاصرة، على أن يوجد من هم أهل لعرضه وفق منهج يستوعب الزمان والمكان، و يتجاوزه ليكون البديل الوحيد الناجح، ومما لاشك فيه أن الإسلام- اليوم- لا يُقَدَّم لأهله ولغير أهله بشكل يؤكد عظمته وقدراته، وذلك من خلال الهوة بين الواقع وتطوراته، وبين المنظومة الفقهية القائمة في جزء كبير منها على جهود الفقهاء العظماء في التاريخ في حل مشكلات بسيطة على مستوى الحياة آنذاك في مجتمعات بسيطة في تعاملاتها وأنشطتها وتبادلاتها[1] ومادامت الحياة المعاصرة تغيرت، لا سيما بعد الثورات والإكتشافات العلمية، ما أدى إلى تعقد جوانب الحياة، وبما أن القرآن يبقى النور الهادي للبشرية في كل زمان ومكان فلا بد من تجديد الفكر، وتجديد المناهج في تنزيل نصوص الوحي وأحكامها ومقاصدها على مظاهر الحياة المختلفة، للتوصل إلى حل معضلة البشرية، ويستعيد الإسلام مركزيته كمنهج حياة متكامل، لا غنى للبشر عن تعاليم الخالق الموجودة فيه، لكن الأمة الإسلامية لم تدرك بعد هذه اللازمة التي تحتم " على العقل المسلم أن يستحضر هذا البعد في سائر أحواله ليكون قادرا على توجيه الخطاب الإسلامي المناسب إلى عالم اليوم، وليدرك المسلمون والعالم ما يمكن للقرآن و الإسلام أن يقدماه لعالم اليوم"[2]، وهو الأمر الذي يركز عليه محمد مهاتير كشرط أساس من شروط أية نهضة إسلامية من جديد، ويعيب على المسلمين سوء الفهم وبالتالي سوء التطبيق للقرآن الكريم ما أوصل الأمة إلى التخلف ، الفقر والتناحر، والأمة الإسلامية لا تستحق أبدا هذا المصير، إذ عدنا إلى التاريخ سنجد أن التقدم والإنجازات التي تحققت في العصور الأولى للحضارة الإسلامية كانت نتيجة الفهوم المنضبطة بعيدا عن التفسيرات المناقضة للإسلام، أو أحاديث غير صحيحة ولا فتاوى ضحلة تؤدي إلى تفريق المسلمين وعدم معرفتهم بالصواب والخطأ، أو تتسبب في جرفهم عن اصراط المستقيم "[3] مؤكدا بأن مشكلة الأمة

[1] طه جابر العلواني، الخصوصيّة والعالميّة في الفكر الإسلامي، ط1(1424هـ-2003م) دار الهادي، لبنان ،ص 71.
[2] المرجع نفسه ، ص80
[3] محمد مهاتير: الموسوعة، الإسلام و الأمة الإسلامية ،المجلد1، ص168

الإسلامية أساسها سوء الفهم، وتحويل الطاقات من النظر والبحث في العلوم النافعة، والتعمق في قراءة كتاب الله المقروء، وهو القرآن وكتاب الله المنظور وهو الكون لغاية تحقيق الإستخلاف، وأداء وظيفة الشهادة على الناس، إلى تتبع قضايا جانبية وتأويلات خاطئة زادت أوضاع الأمة تخلفا، كما يرى محمد مهاتير أن الإصلاح الرئيسي المطلوب منا بوصفنا مسلمين هو إصلاح الفكر، وتصحيح الأفكار بالنسبة لأولئك الذين سقطوا في براثن التعاليم الخاطئة، البعيدة كل البعد عن الإسلام، والتي لا تؤدي إلا إلى زرع الفرقة والاضطراب في صفوف المسلمين[1] وخير ما يلخص هذه الفكرة سوء فهم المسلمين اليوم لقوله تعالى في آية ﴿وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَآخَرِينَ مِنْ دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ اللَّهُ يَعْلَمُهُمْ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ شَيْءٍ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تُظْلَمُونَ﴾[2] ويرى أن هذه الآية تشحذ همة المؤمنين و تدعوهم إلى امتلاك القدرة والتأهب الدائم للدفاع عن النفس ويعتبر تركها خيانة للدين معتبرا المسلمين الذين يُفرطون في إتقان العلوم والمعارف الخاصة بإنتاج واستخدام تلك المعدات، ويعتبرونها ترفا زائدا يرتكبون خيانة في حق دينهم أكثر مما يحاولون الحفاظ عليه[3]، لهذا يجب على أمة البلاغ والتوحيد، متى أرادت الدخول إلى حلبة التاريخ التي خرجت منها، أن تتسلح بالفكر، لأنها إن لم تفكر فلن تتمكن من صنع الحضارة أبدا، وتضع نصب عينيها أن أهم أسباب نجاح المسلمين الأوائل، هو الفهم الصحيح، والفكر المثمر، والمهتدي بنور الوحي، لكن لما انفصل العلم عن الإجتهاد، أصبح مجرد تكرار واجترار زاد الأمة تخلفا واضطرابا، لنستنتج أن الفهم الصحيح للقرآن الكريم كان دائما أساسا للنجاح.

2- تنزيل النصوص في الواقع:

يعكس واقع الأمة الإسلامية، وما تعانيه من فقر، تخلف وتناحر صورة خاطئة عن الإسلام، ويسبب نفورا منه، ويجر إلى اعتبار أنه لو كان دينا صالحا لتوجيه الحياة ما كان هذا هو حال المسلمين، يصح هذا القول في حالة واحدة يكون فيها المسلمون قد بذلوا ما في وسعهم، وأتبعوا تعاليم دينهم وتفانوا في تطبيقه كما يجب، لكن الحال غير ذلك والذي يكذّب هذه المقولة هو انقلاب حالة العرب في الجاهلية من تناحر وتقاتل وتشرذم

[1] المصدر نفسه، ص 172.

[2] سورة الأنفال، الآية: (60).

[3] محمد مهاتير: الموسوعة، التحدي، المجلد2، ص 42-43.

باتباع الإسلام إلى صناع حضارة، ورواد وجود، وما انحدار أحوالهم إلى السوء إلا لأنهم تركوا دينهم فذلوا، وأداروا ظهرهم للقرآن فضلوا، ولا مخرج أمامهم إلا بالعودة إلى دينهم وتمثله في حياتهم باتخاذه منهجا لها، لتكون النتيجة صلاح أحوالهم، ويتمكنوا بعد ذلك من نقض المقولة التي تجعل الإسلام سبب تخلف، وعائق حضارة، وبهذا التفكيك تظهر حقيقة غَيَّبَها حال الأمة السيء، أو أعطى لأعداء الدين مسوغات الهجوم عليه، أما التركيب- وهو منعدم- فإنه يمكن من رد الشبهات وتكذيب الإدعاءات، مادام مؤداه أن تسترجع الأمة قيادة الحضارة، و الشهادة على الناس، وتستأنف مهمة الدعوة وتبليغ الإسلام إلى العالم.

ومن حسن حظها، التطورات الهائلة في عوالم الإتصال والتي تساعدها على ذلك لكن لن يكون التنفيذ بوسائل عديمة النفع كالخطب الحماسية، أو المناظرات الفكرية العقيمة، بل بأمر آخر هو الدعوة بالحال، وسيكتفي الناس بالصورة الحسنة التي يعرض بها المسلم دينه، دون أن يتكلف الألفاظ و الكلمات، وليترك حاله يتكلم عوض لسانه، لأنها دعوة تقوم على الممارسة و ليس على التنظير الأجوف، وإذا كان المسلمون مخلصين في سعيهم لتوضيح روح وجوهر وفلسفة الإسلام فإنها الدعوة بالحال أسهل الطرق للوصول لذلك الهدف، لقيامها على الإنجازات الملموسة"[1] خاصة، والملموس أكثر إقناعا من النظري، والإنسان المعاصر يبحث عن الملموس في كل شيء.

لقد كان من أسباب انتشار الإسلام في ماليزيا، أخلاق التجار المسلمين الذين قصدوا دويلات شبه جزيرة ملايا، وجعلوا سكانها يلمسون جمعهم بين النجاح والتقوى فعلى قدر مهارتهم في التجارة، وبناء السفن و السفر عبر البحر مسافات شاسعة باستعمال النجوم، كانوا كذلك على إلمام واسع بمختلف علوم العصر، كالطب و الرياضيات و الجغرافيا، إلى جانب طيب معشرهم، وحسن أخلاقهم وتجسيدهم لتعاليم الإسلام في سلوكهم وتعاملاتهم، ما جعلهم بهذه الصفات والمميزات في دويلات شبه جزيرة مالايا، خير " رسل" للدعوة وللدين الإسلامي، لأنهم نجحوا على نحو تلقائي في تجسيد التعاليم الإسلامية الصحيحة، و الأخلاق السمحة، وهو ما أثار فضول السكان اللادينيين، وكان له تأثير بالغ لدى سلاطينهم (مهراجاتهم) الذين وجدوا في الإسلام

[1] محمد مهاتير: الموسوعة، الإسلام والأمة الاسلامية، المجلد1، ص 213.

ضالتهم فاعتنقوه، مما يشجع بدوره رعاياهم على الإهتداء على الصراط المستقيم[1] وبهذا يستحضر محمد مهاتير التاريخ، ويستخلص منه العبر، كما أن "الدعوة بالحال" أسلوب دل عليه القرآن الكريم، وتمثله الرسول صلى الله عليه وسلم في سيرته مع الصحابة – رضوان الله عليهم– إذ تروي كتب السيرة أنه كان فعلا كما قال فيه الله تعالى مخاطبا عباده ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُو...﴾[2]"أي قد كان لكم أيها المؤمنون في هذا الرسول العظيم قدوة حسنة، تقتدون به في إخلاصه وجهاده، وصبره، فهو المثل الأعلى الذي يجب أن يقتدى به في جميع أقواله وأفعاله وأحواله"[3] وبقيت الدعوة بالحال مصدرا للتأسي والتقليد البناء، الذي يجعل الإنسان يتطلع إلى الأحسن حيث كان ويعمل به، الأمر الذي يستحسنه مهاتير، لأنه كان سببا أساسيا في اعتناق الملايويين الإسلام، ما يجعله منهجا يمكن الاعتماد عليه كآلية لدعوة الناس إلى الإسلام وجعلهم يستنتجون أخلاقه وقيمه وصلاحه ليكون البديل الغائب عن الإنسانية والمنشود لخلاصها من العبث والعدمية التي تتخبط فيها .

المطلب الثاني: تقييم واستشراف:

1–رؤية مهاتير للتغيير:

لبناء مستقبل إنساني تكون فيه إمكانية توجه الإنسانية إلى الإسلام لابد من التغيير، وهو سنة رتب الله تعالى عليها حصول التجديد، وجعلها شرطا له، يقول تعالى ﴿إِنَّ اللّهَ لاَ يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُواْ مَا بِأَنْفُسِهِمْ﴾[4] حتى يدرك البشر أن التغيير لن يكون إلا إذا بادروا إليه وغيروا أنفسهم، ليتحقق وعد الله لهم بتغيير أحوالهمالمهمة الموضوعة الآن أمام الشباب، والأمة التي ينبغي أن يحملوها، هي كيف سيجعلون أنفسهم مؤهلين للقيام بوظيفة التغيير الموكلة إليهم، وما المؤهلات التي ينبغي أن يحصلوها حتى يتسلموا المهمة ويؤدوا الدور الموكل إليهم ليكونوا جارحة القدرة الإلاهية[5]، هذا وليعلم الإنسان أن التغيير مبني على الجهد البشري، وليس منحة تصل إليه دونما سعي منه وهي

[1] محمد مهاتير: الموسوعة، الإسلام والأمة الاسلامية، المجلد1 ، ص 202.

[2] سورة الأحزاب، الآية : (21).

[3] محمد علي الصابوني: صفوة التفاسير، ط4، 1402هـ- 1981م، دار القرآن الكريم بيروت، ص 520.

[4] سورة الرعد، الآية: (11)

[5] جودت سعيد: اقرأ وربك الأكرم، ط3 1419هـ-1998م، دار الفكر المعاصر، لبنان، ص 219.

مهمة يقوم بها " الإنسان الجديد" كما يسميه مالك بن نبي وهو الذي يسرد إلى العالم شبابه والذي لا بد أن يكون (إنسانا جديدا) قادرا على حمل مسؤوليات وجوده ماديا وروحيا، ممثلا وشاهدا، والإنسان القديم وكما يسميه إنسان ما بعد الموحدين إنسان هَرِم، ينتظر الفناء. ولكن العالم الإسلامي على الرغم من ذلك لديه مخزون كبير من هذا الشباب الضروري[1]، ويبني التغيير على التربية التي يعتبرها هي وسيلة فعالة لتغيير الإنسان وتعليمه كيف يعيش مع مجتمعه، وكيف يُكوّن معهم مجموعة القوى التي ستتولى تغيير الوجود نحو الأحسن دائما[2]، وهو بذلك يعطي مسألة التغيير بعدا دلاليا تكون به خطوة أساسية للنهوض، الشيء الذي يلح عليه محمد مهاتير في بيان أحد أهم أسس النهوض والإنتقال إلى الفعل، ويحث الأمة الإسلامية أن تكون فاعلة في ظل التغيرات التي يطالعها بها القرن الواحد والعشرون، والذي هي جزء منه، لأنه من المستحسن للمسلمين أن يتعاملوا مع هذا القرن بعيون وعقول مفتوحة تعرف تماما ماذا تريد، وما الدور الذي تأمل في الاضطلاع به؟ وإذا ما أختار المسلمون أن يلعبوا دورا بناءًا مع الإحتفاظ بعقيدتهم الصحيحة وقيمهم الروحية، والأخوة الإسلامية الحقيقة، فسوف يكون بوسعهم أن يسهموا في تطوير الجنس البشري على نحو إيجابي، من خلال وضع الناس على متن قارب النجاة من جديد[3]، وكل ما عاشته البشرية عبر تاريخها يؤكد أن أحوال الأمم لا تتحسن من تلقاء نفسها، بل الثورات على اختلاف وسائلها ومناهجها هي التي حققت لها الخروج من حالات التخلف ، الفقر و الإستعباد بكل أشكاله، وبدلت أحوالها إلى الأحسن، إن الله لن يغير مصير أمة إلا إذا حاولت الأمة نفسها أن تتحسن، ولكي تتحسن، فإن الشيء المهم ليس هو استعراض المهارة في الكلام، إنما أن تقبل ما يكون مقبولا وتضعه موضع التنفيذ[4]، وكان فعلا لإدراك هذه الضرورة كأساس للنهوض أثرها البالغ في شخصية مهاتير، الحاكم المسلم الذي تشبع بمعاني الفاعلية وضرورة التغيير، وآمن يقينا أن الله تعالى ينجز وعده بالنصر لعباده متى سارعوا إلى تغيير أنفسهم،لأنه وصل إلى هذه القناعة بعد

[1] مالك بن نبي: وجهة العالم الإسلامي، ط1 1431هـ-2013م، دار الوعي للنشر و التوزيع، الجزائر، ج1، ص 169.

[2] مالك بن نبي: ميلاد مجتمع، ط2 1974، دار الفكر، لبنان، ص 93.

[3] محمد مهاتير: الموسوعة، الإسلام والأمة الاسلامية، المجلد1، ص198..

[4] المصدر نفسه، ص12.

قرائته وفهمه للقرآن الكريم وكذا الأحاديث النبوية، وأدرك أنه من واجب المسلم أن يساهم في نهوض ورفاهية أمته، وسعادة البشرية ككل وهو ما ساعده على بلورة نظرة جديدة لمهنته حتى يساعد الناس، ويسهم بأشياء نافعة لهم ". وهذه الرؤية الجديدة مكنتني من إعادة النظر في عملي وفي حياتي وكيف يمكنني الإسهام من خلالها في شيء أكبر من نفسي"[1] فولد هذا الحماس دفعا له ليمضي في خدمة هدف أسمى من مجرد تقدم مادي ، استقر في وعيه بعد رسوخ الفكرة الفاعلة، والدافعة التي أعلنت في تلك اللحظة تحرك التاريخ الملايوي، ليسجل بريق هذه الفكرة، وإشعاعها في نفس رجل، قرر تغيير الحال، سعيا إلى رفاهية بلاده وأمته. والإسلام دين من واجب معتنقيه عدم الإخلاد إلى الأرض، والرضا بالكلالة، بل الارتفاع به إلى قيادة الإنسانية، ويروي محمد مهاتير أنه عندما زار اليابان وأوروبا وعاد من رحلاته إليها، أن ذهنه أمتلأ بالأفكار الإيجابية وجلب معه طاقة وروحا وحماسة جديدة، وكانت رؤية قوميّ ملايوي بات ملتزما الآن بالإسهام في التنمية الاقتصادية، و الحداثة التقنية، وأكثر القضايا الإنسانية جوهرية كونه مسلما يستند فكره إلى التعاليم القرآنية الصحيحة. وعندما أصبح في نهاية المطاف رئيسا للوزراء، كان لحماستي الإبتكار والفاعلية التي عايشها في اليابان اثر عظيم في عدد من مشاريعه وسياساته[2] إنه التحول الذي دفع هذا القائد الإستراتيجي الملهم ليجعل من بلده مفخرة للمسلمين، وقدوة لابد من السير على خطى صاحبها لمن يريد فعلا التغيير، والإهتداء إلى تحقيق وعد الله تعالى لعباده متى أرادوا وعزموا وفعلوا.

2- الإسلام والتنمية عند مهاتير:

واجهه النظام السياسي الماليزي معضلة العلاقة بين الدين والدولة فقد فرض التعدد العرقي في ماليزيا نفسه كأساس لأي بناء سياسي يتطلب التوافق يجعل التعاون بين مختلف الأعراف ضرورة من خلال مراعاة جملة من الشروط القائمة في المجتمع الماليزي، وكان الحل الأمثل اعتماد النظام السياسي على ائتلاف يضم مجموعة من الأحزاب السياسية، قادرة على تمثيل مختلف الأعراق.

[1] محمد مهاتير: طبيب في رئاسة الوزراء، ص 207 .

[2] المصدر نفسه ، ص 207.

ومنذ عام 1981 عرف النظام السياسي لماليزيا انتقلال نحو مقاربة جديدة، حاول بها محمد مهاتير التركيز على التنمية وبناء تصور جديد للعلاقة بينها وبين الإسلام[1]، على اعتبار الخلفية العقدية للملاي، فاستطاع تحديد تصور جديد للحكومة يقوم على تعميق البعد الإسلامي في عملية التنمية، دون الدعوة إلى بناء دولة إسلامية، إذ كان يدعو إلى بناء دولة حديثة تحقق الأهداف العامة للإسلام، حتى يكون الإسلام أحد مكونات الواقع الماليزي لكنه ليس المكون الوحيد.

وهو أمر مهد الأرضية إلى التعايش والسلام بين مختلف شعوب الديانات الأخرى: حيث يمثل الإسلام إطارا بإمكانه الإسهام في توجيه التنمية وفي الوقت نفسه استيعاب التوجهات الإسلامية عند الملايويين، وضمان التوفيق بينهم وبين شعوب الديانات الأخرى.

والمتتبع للشأن الماليزي يلاحظ أن محمد مهاتير في فترة رئاسة للحكومة الماليزية، أبرز بوضوح التوجه الإسلامي للتنمية على مستويات متعددة، كالاقتصاد والتعليم[2] والإعلام وغيرها من المستويات الأخرى، كالبنك الإسلامي الذي أنشىء عام 1983 و جعله يقوم على مبدأ العائد المتغيّر[3]، كما أنّه يعتبر ودائع المواطنين قروضا حسنة للبنك، لا يأخذون عليها فوائد، لكن يتقاضون عليها عائدا متغيّرا تحدّده الحكومة على أساس موقفها الاقتصادي.

و الواقع أنّ تعامل هذا البنك و البنوك الأخرى في ماليزيا هو نفسه، و منه نستطيع القول بأنّه بنك عادي كباقي البنوك و المصارف الأخرى، الفرق في التسمية فقط، و إلّا كيف نفسّر تعامله بدفع العوائد و كذا البيع بالثمن المؤجّل و غيرها من المعاملات التي تتعامل بها باقي البنوك؟ لنخلص في النهاية بالحكم أنّ الفرق شكليّ فقط، لكن لا يمنع هذا الحكم من بيان محاولات جادّة من القيادة الماليزيّة إلى خلق تنمية متّسقة مع أحكام الدين الإسلامي، و ضمان عدم تعارضها مع القيم الإسلامية و إن كانت لا تنحصر في المفهوم الإسلامي الأوحد، لأنّ العنصر الصيني و الذي يمتلك القوّة الإقتصاديّة و يليه العنصر الهندي، لابدّ لهما من الشعور بالرضا عن السياسة الإقتصاديّة و الإطمئنان إلى القيادة، حتّى تضمن ماليزيا التعايش بينهم، و عدم الخوف من التفكّك الذي يهدّدها في كلّ وقت، و هو أمر قامت عليه سياسة ماليزيا التنمويّة، و منظومتها القانونيّة التي ضمنت للملايويّين عدم التهميش، و كذا

[1] محمد السيد سليم، الإسلام والتنمية في ماليزيا، مجلة الملتقى، ع15 يناير 2007، مراكش، ص116.

[2] محمد السيد سليم، الإسلام والتنمية في ماليزيا، ص122.

[3] المرجع نفسه، ص122.

للصينيّين و الهنود، ما يجعلهم جميعا ماليزيّين في وطن واحد يسمح للجميع بالعمل و التملّك و التوسّع في الأنشطة المختلفة، دون خوف من الأعراض الأخرى.

3- إستشراف المستقبل

مسيرة الزمن ممتدة، لا تعرف الإنقطاع، و تياره متدفق، تتداخل فيه الأحداث وتتشابك باستمرار، فاليوم هو امتداد الأمس، وهو أمس الغد الذي هو سيكون محصلة لما قررناه وننجزه اليوم، والقرآن الكريم لا يروي لنا قصص السابقين للتسلية، بل ضمنها الله تعالى سننا وشرائط، وطلب من الإنسان النظر والتدبر فيها، لا ليراكم بها رصيد معلوماته، ولكن لتكون له منفذا يتطلع به إلى الحاضر و المستقبل فيُحكّم إليها حاضره، ليحدد موضعه من التاريخ، ومكانه بين الصلاح أو الفساد، ومن ثم يستشرف المستقبل ويحاول تلمس طريقه إلى الخير وإلى النهوض،"وكما أن التاريخ علم له مؤلفاته وبحوثه، فقد أصبح للمستقبل علم :" المستقبليات Futurlogt " له علماؤه ورواده، الذين يسعون إلى استشراف آفاقه، والبحث في كنفه المجهول، من خلال مبادئ وأسس عملية، تحكم عملية التوقع للمستقبل"[1] إذا أن الغفلة عن الماضي تورث الأمة ذهولا عن الحاضر، وغياب فكرة المستقبل تصبح حتما، حتى يراها سواد الأمة الخاملة، ترفا عقليا لا حاجة للبحث وتضييع الجهد فيه، إذ لو تفطنت للآيات القرآنية الكثيرة التي تخبرنا عن الأمم السابقة، خاصة التي حل بها غضب الله، واستحقت عقابه، ويبين لنا الله تعالى سبب هلاكها، لأدركت أن الحكمة من القصص القرآني هي البحث عن السنن في أعماق الآيات وثنايا القصة، ثم تَمَثُلها لرسم خارطة طريق يكون الحاضر أول خطواتها نحو المستقبل، وكذلك أكد الرسول صلى الله عليه وسلم على عدم إهمال التاريخ حتى لا نكرر الأخطاء ونكرر دفع الثمن كقوله صلى الله عليه وسلم : " لا يلدغ المؤمن من جحر مرتين"[2] وهو يدربنا على تلمس الحق في أحداث التاريخ " لأن التدريب على رؤية الحق في أحداث التاريخ تزكية لأسمى ما في الإنسان ووضعه على طريق الهداية"[3]، وإلى جانب ذلك، نكتسب مهارة التطلع إلى المستقبل " لأن إيصال الناس إلى تعرف الماضي والأمور التي كانت خافية عليهم جميعا، وعلى كيفية إبداع الأشياء الجديدة،

[1] محمود محمد سفر: دراسة في بناء الحضاري، ص 57.

[2] محمد بن اسماعيل البخاري: صحيح البخاري، كتاب الأدب، باب "لا يلدغ المؤمن من جحر مرتان، رقم 5782، ص547.

[3] جودت سعيد،محمد عنبر: الإنسان و الحق، ط1 1417هـ- 1996م، دار الآفاق والنفس، دمشق، ص 34.

وإيصالها إلى الناس، و فتح عين الإنسان وقلبه على هذا التاريخ، يجعله يعيش في نور غامر ورؤية واضحة للعالم بشكل جديد ومبدع"[1] وجعل الماضي منطلقا للمستقبل يكون بالإفادة من دروسه، من مواضيع الإحسان لاتباعها والزيادة عليها ومواضع السوء والتعثر لاستخلاص الأسباب ومن تم تفادي تكرار النتائج، و الواقع الذي نعيشه يبين لنا أن الدول التي تحسن التخطيط للمستقبل هي التي تنجح دوما، والتخطيط للحاضر و المستقبل لا بد أن يمر عبر الماضي، الذي يكون أرضا صلبة لبناء مخطط ومدروس، وهو الأمر الذي أدركه محمد مهاتير في قوله : "نحن الذين يمكننا أن نحدد المستقبل إذا أردنا، وإن لم نفعل فسوف يحدده لنا غيرنا ولا يمكن أن نلومهم إن جاء ذلك المستقبل لصالحهم، والأمر متروك لنا"[2] وهو قد استوعب من دروس التاريخ ثنائية الحركة المتمثلة في :" الفاعل والمفعول" والأمة أو المجتمع إن لم تفعل فستجبر على تقبل ما يفعله الآخر وهو ما دفع محمد مهاتير إلى إلى تطبيق قناعته في ضرورة استشراف المستقبل في " الرؤية 2020" التي تمثل هدف مسار التنمية الإجتماعية و الإقتصادية والسياسية لدولته، "لأنها تضمنت فكرة واضحة عن المكان الذي ننوي الوصول إليه والحال التي ينبغي أن نكون عليها بحلول سنة 2020"[3] والسبب في اختيار الرقم 2020 هو كون " تون مهاتير" طبيب، ورقم 20 يمثل نسبة الرؤية في كلتا العينين كاملة أي مائة بالمائة، دلالة على وضوح الرؤية ووضوح الهدف، والخروج بماليزيا في نهاية المدة من حالة التخلف إلى مصاف الدول المتقدمة، وتنتقل إلى الرقي السياسي والتقدم الإجتماعي والثقافي ليكون " لدى أبناء شعبنا ما يبرز اعتزازهم بكونهم ماليزيين "[4] وهو ما جعل شعار الماليزيين " Malaysian can do" بالإنجليزية و باللغة الماليزية : "Malaysia boleh"[5] وإن كان المعتاد أن الشعارات عندنا كأمة -مسلمة- جوفاء لا تعكس أبدا محتواها، إلا أنه شعار تلمسه في ماليزيا أينما توجهت، وتراه في الإنجازات الضخمة هناك، وهو لم يكن مجرد حماس بل كان دافعا إلى انتفاضة غيرت ماليزيا وقد زرت ماليزيا ومكثت في كوالالمبور لألمس

[1] جودت سعيد: كن كابن آدام، ط1 1997، دار الفكر دمشق، ص127.
[2] محمد مهاتير: الموسوعة، العلم و التكنولوجيا وحقوق الانسان،المجلد 7 ، ص 18.
[3] محمد مهاتير: طبيب في رئاسة الوزراء، ص701.
[4] محمد مهاتير: طبيب في رئاسة الوزراء ، ص702.
[5] عمر النقيب: مقومات مشروع بناء إنسان الحضارة في فكر مالك بن نبي التربوي، ص 113.

الإنجازات الضخمة التي تحققت لماليزيا وألاحظ أن "الملايوي يمكنه أن يفعل" شعار من شدة تحققه، كأنه يتكلم و يبين القدرة الملايوية التي خلقها محمد مهاتير من العدم، لاسيما وأن ماليزيا عند انطلاقتها لم تكن تملك ثروات ولا نفط بل فقر وجهل وجوع.[1]

المطلب الثالث: العمل والمخرج:

1- تقديس العمل:

العمل هو الحياة، و الإسلام يوليه أهمية بالغة لدوره الخطير في مختلف مناحيها، تقوم عليه العبادة، كما تستقيم به أحوال الفرد و الأمة، وقد قرنه القرآن الكريم بالإيمان، وبناه عليه، فلا قيمة للإيمان بدون العمل الصالح، مادام الايمان هو الباعث والمحرك للإنسان كي يقوم بمهمته الوجودية، المتمثلة في عبادة الله بعمارة الكون، وأداء الامتحان الإلاهي له من خلال حياته الدنيا مصداقا لقوله تعالى ﴿لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ﴾[2] ليكون العمل هو محدد مصير الانسان في الدنيا، قال تعالى أيضا ﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾[3]

يقول محمد متولي الشعراوي: " هذه هي النتيجة الطبيعية للعمل الصالح الذي يبتغي صاحبه وجه الله والدار الآخرة، فيجمع الله له حظين من الجزاء، حظا في الدنيا بالحياة الطيبة الهنيئة وحظا في الآخرة"[4]، وقد أثبت التاريخ صدق ذلك ببلوغ الأمة الإسلامية مراتب الحضارة والسمو لما فهموا حقيقة الإسلام، ومقاصد الشرع الحنيف، واستوعبوا توجيهات القرآن الكريم، وهو بحث على العمل الصالح الذي يشمل حياة الانسان كلها، يقول محمد مهاتير: "ولقد عاش المسلمون في تلك الأيام الزاهرة حياة كريمة كان الآخرون ينظرون إليها بكل احترام وتقدير، ويعملون على نقل ما في الحضارة الإسلامية من علوم وفنون شتى. لم يتحقق ذلك إلا لأن المسلمين في ذلك الوقت كانوا قد استوعبوا الدين وفهموا تعاليمه واتبعوا أوامره وابتعدوا عن نواهيه"[5] كانت هذه القناعة

---

[1] رأيته عندما زرت ماليزيا شهر جويلية 2016

[2] -سورة الملك، الآية: (2)

[3] - سورة النحل، الآية: (97)

[4] - محمد متولي الشعراوي: تفسير الشعراوي، (د.ط)، (د.ت)، ج13، ص8196.

[5] -محمد مهاتير: الموسوعة، ، الإسلام و الأمة الإسلامية، المجلد1،ص 286.

راسخة لديه، ورآها بعين من يحسن قراءة التاريخ إذ يقول عنه :" أثبت التاريخ أنه مُعلّمٌ حقيقي"[1] وإلى جانب قراءته للتاريخ، نجده يحسن قراءة الواقع من خلال تأثره بالعمل الناجح مهما كان مصدره وفاعله، وعندما درس في المدرسة اليابانية بدأ يعايش عن كثب انضباط اليابانيين ونجاحهم في العمل، وأبهرته سرعة تعافيهم من الدمار الذي لحق بهم بعد نهاية الحرب العالمية الثانية إلى درجة تمنيه أن يحذو حذوهم ويرقى بماليزيا إلى مصاف الدول المتقدمة، يقول: " أُعجبنا بما كانت تقوم به اليابان، وكنا مستعدين للتعلم من مثالها في حال نجاحها، وما شاهدته في هذه الرحلة ترك في انطباعا دائما كان له الأثر البالغ عندما أصبحت رئيسا للوزراء"[2] لأن اليابان كانت بمثابة ورشة كبيرة، أو مصنع عملاق، وما كادت تمضي سنوات حتى أصبحت عملاقا آسيويا، ما شد مهاتير إلى اتخاذها نموذجا للجد والاجتهاد و العمل الناجح. وهو يضم صوته إلى صوت مالك بن نبي الذي كثيرا ما كان يعقد مقارنة بين اليابان و دول العالم الإسلامي باعتبار أنهما تجربتان متزامنتان، إلا أن الأمة الإسلامية تبقى بعيدة عن النجاح و الوصول إلى التوتر الفعال على عكس اليابان الذي نجح في إقلاع حضاري عجزت عن تصوره كل التوقعات قبل خمسين عاما، يقول "ولنأخذ تاريخا آخر، وليكن 1868، التي تسجل ميلاد مجتمع آخر: هو المجتمع الياباني الحديث، ها نحن إذن، وبفارق عشر سنوات تقريبا، وهو فارق غير معدود، أَوْلاَ يُعتد به كثيرا، في حياة المجتمعات البشرية، أمام ظاهرتين معاصرتين لطفلين توأمين، ولكن العجيب أن نلاحظ، بأي مدى من السرعة، أستطاع الطفل الياباني اجتياز الطور الذي أطلقنا عليه اسم (الطور ما قبل الإجتماعي) في نفسية الطفل"[3] وهو يحلل في كلمات موجزة غاية في الدقة و الإفصاح عن المطلوب حالة العالم الإسلامي مقارنة بالبلد الذي انبعث من لا شيء، بل من الهزيمة والإنهيار إثر الخسارة في الحرب العالمية الثانية، والتولي بعد الإنتكاس الذي مُنِيَّ به، وفوق ذلك كانينفض عنه غبار التفجير، ويمسح رائحة الموت والخراب عن هيروشيما وناجازاكي وخلص مالك بن نبي إلى السبب الأهم في نتيجة كل من التجربتين

[1] – محمد مهاتير: طبيب في رئاسة الوزراء، ص 79.

[2] – المصدر نفسه، ص201.

[3] مالك بن نبي: فكرة كومنوالث: إسلامي، ترجمة الطيب الشريف، ط1 1434هـ-2013م، دار الوعي الجزائر، ص28.

في قوله: " فاليابان قد تمثلت (الأفكار) بينما المجتمع الإسلامي لا يزال يشتري (الأشياء)"[1] .

وقد صور مهاتير بداية النهضة في اليابان مبينا تمجيدهم للعمل، وتفانيهم في النهوض ببلدهم، دون تراخ أو كسل، بل اجتمعت لديهم الإدارة و القدرة وهما شقان مهمان في نجاح العمل، يقول مهاتير: "كان النشاط يدب في كل مكان في اليابان، وكانت الطرقات تعبَّد، و المباني تشيَّد بسرعة كبيرة، وكان يجري إنهاض الصناعات"[2] وكان لهذه المميزات اليابانية أثرها البالغ في نفسه، وموجها له بل ودافعا إلى ضرورة العمل الناجح، حتى يرى بلاده تخطو خطوات مماثلة لتصل إلى النهوض، وهي سنة الله تعالى في النجاح، والأخذ بالأسباب، كما يذكر أبعاد التأثير الياباني فيه قائلا: " وعندما أصبحت في نهاية المطاف رئيسا للوزراء كان لحماستي للابتكار و الفاعلية التي عايشتها في اليابان أثر عظيم في عدد من مشاريعي وسياساتي"[3]، وكان أثرا للإعجاب، لكنه تحول إلى أسلوب حياة لأن اليابانيين فعلا استحقوا منه هذا التمجيد، ونجاحهم يدفع أي عاقل ليسير على خطاهم، وتفوقهم التكنولوجي والصناعي كان قائما على أخلاقيات عمل سامية وأفكار صائبة قادتهم إلى النجاح، ومما يذكره محمد مهاتير عن أسباب إحترامه لليابانيين واقتناعه بحبهم للعمل، طرحهم لمبدأي "كايزن" والذي يعني التحسين والتطوير الدائم و "جيت" والذي يعني في الوقت تماما[4]، أما المبدأ الأول فساعد مهاتير في حرصه الدائم على البحث عن التحسين والتطوير، أما المبدأ الثاني فأفاده من حيث كونه تخطيط لتسلسل العمل وجدولته ليتم التسليم في الوقت بدل امتلاك مخازن ضخمة تكون معرضة للتلف أو السرقة، وفي هذه الفكرة اختزال للتمويل من جهة ولحيز التخزين من جهة أخرى.

والقائد الناجح يكون دائم التتبع للنجاح لأخذ النموذج ومحاولة التقليد للنجاح أيضا، ونجاح اليابانيين لم يأت من فراغ بل كان نتيجة منطقية لشعب يقدس العمل ويتفانى فيه، ويحرص على إتقانه وجودته ما جعل الصناعة اليابانية تفرض نفسها في الأسواق العالمية وتنافس الشركات الكبرى في الجودة والتميز.

---

[1] مالك بن نبي: فكرة كومنوالث: إسلامي، ترجمة الطيب الشريف، ط1 1434هـ-2013م، دار الوعي الجزائر ، ص28.

[2] محمد مهاتير: طبيب في رئاسة الوزراء، ص201.

[3] المصدر نفسه،ص207.

[4] محمد مهاتير: طبيب في رئاسة الوزراء ، ص 607.

2- **العمل والإرادة:**

العمل تجسيد للفاعلية، وإثبات للوجود والقدرة على التأثير والفعل لتحقيق النفع والصلاح بالسعي والجد في طلب النجاح، وبذل الوسع للحصول على الخير، ولابد أن يؤدي العمل إلى النجاح حتى تتحقق الغاية المرجون منه ما يجرنا إلى الكلام عن الإخلاص كشرط أساسي، والتخطيط أي معرفة ماذا نفعل ؟ وكيف؟ ولأي غاية نعمل؟

وأهمية العمل بالغة، لتعلقها بمشكلة المجتمعات البشرية عامة، ومشكلات المجتمع المسلم خاصة، والذي يبدو واضحا للعيان أنه فقد الإحساس بهذه الأهمية، وإلا كيف نفسر إهماله لأهم مقومات الوجود والنجاح، والقرآن الكريم لا تخلو آياته من ذكر العمل الصالح أي المفيد وإذا غاب هذا الوعي عن الإنسان حدث له خلل في فكره وتصوره و سلوكه، ولنا في النهضة اليابانية خير دليل في كونا اليابان لم تلحق بركب التقدم بالغزو أو نهب خيرات غيرها بل لحقت بمصاف الدول المتقدمة بالعرق[1] حت تصل إلى نشوة الانتصار وتحقيق التقدم.

وقد كان محمد مهاتير من أشد المتأثرين بالإنجازات اليابانية والقيم العملية والأخلاقية التي ميزت نجاحهم وميزت انتاجاتهم المختلفة، ربما لأن الظروف متشابهة والمناخ أقرب، ما جعل محمد مهاتير يتنبه في وقت مبكر إلى ضرورة تبني طريق لبناء بالده غير طريق الغرب، لأنه، يكون حينئذ وهو يبحث عن البديل الغربي قد استأنس بتجربة فتية، وبدولة بدأت من لبصفر، وأقامت دولة على أنقاض الدمار ومرارة الخسارة والهزيمة.[2]

كما أن محمد مهاتير كان مسترشدا بالقرآن الكريم والسنة النبوية، وآخذا من الوحي مقاصده الحقيقية، إذ فهم أن العمل الصالح هو العمل في الدنيا أولا، ورأى أن العمل يساعد المسلم على أداء عباداته المختلفة، ويحقق له العزة والكرامة التي أرادها الله له[3]، لأن الذي يعمل شخص يحترم نفسه، ويثبت وجوده، والمجتمع العامل مجتمع لا يريد الذل ولا الصغار، ولا الحاجة إلى الغير، وهو بالفعل ما حارب لأجله مهاتير، وعنف به العرق الملايوي حتى أوصلهم إلى الشعور بذواتهم وبالحاجة إلى الاستيقاظ [4]، والتشمير عن سواعد الجد لبناء ماليزيا غد مشرق، غير ماليزيا التي توالت عليها الإدارات الاستعمارية، فاستنزفت خيراتها،

[1] عادل الجوجري، النمر الآسيوي محمد مهاتير، ص57.

[2] المرجع نفسه، ص59.

[3] محمد مهاتير: طبيب في رئاسة الوزراء،

[4] محمد مهاتير، الموسوعة، المجلد4، ص125.

وزرعت قنابل الطائفية لتنفجر في أي وقت، لكن القائد الملهم كان بالمرصاد ليطفئ فتيل النزاع، ويشعل المالايويين بأنفسهم وبمصيرهم وببلادهم.

وكان النجاح حليفه، والإنجازات الباهرة دليل على فهمه الصحيح للعمل وتقديره لأهميته لأي تطور أو نهوض.

3- المبادرة في نجاح العمل:

لا يتحقّق عمل ناجح بغير المبادرة، و تحمل مسؤوليّة الفعل دون تباطؤ، أو انتظار الآخر كي يفعل، و هي إيجابيّة تضمن الإنخراط الفوري و الإنطلاق في العمل مادام سيجلب نفعا، و هو ما حثّ عليه الإسلام، إذ بقيام الإنسان بالعمل و سعيه إليه يتحقّق له الخير و يوفّر له و لمجتمعه حياةً كريمة.

كما نلاحظ أنّ الإسلام في الوقت الذي يعلي فيه من شأن العمل، يذم القعود و الركون و الإتكال على الآخرين ليبادروا إلى العمل و يغنوه عن التعب، و هو بذلك يضيّع على نفسه حقيقة السعي، و يجعلها في المراتب الدنيا بين البشر. و ما دمنا نعيش في كنف عالم تقوم كافّة أشكال الحياة فيه على العمل و السعي الجاد لتحقيق الإنجازات المختلفة، فمن واجبنا الإجتهاد و المبادرة، و هو أمر أدركه محمّد مهاتير و بنى عليه سياسته في قيادة بلاده نحو الإزدهار، لقناعته الراسخة بضرورة فهم الواقع و إدراك تحدّياته، ثم المرور إلى إيجاد الحلول اللّازمة، أهمّها العمل، كما أدرك جيّدا أهمّية عامل الزمن في مقاربة تحقيق النجاح و بلوغ المراد، ما جعله يجمع بين الجدّ في العمل و المبادرة إلى أيّ شيءٍ يقدّر أنّه يحقّق الخير و الصالح الماليزي، و هذه القيمة يشير محمّد مهاتير إلى أنّها من القيم الجيّدة التي يتحقّق تقدّم أيّة أمّة بممارستها لها، و القيم بمختلف أنواعها لا تحتاج أن تمجّدها الأمم أو تشيد بها، بل تحتاج إلى تمثّلها و العمل بها و ممارستها فعليّا، ليتحقّق بها النجاح. و يخصّ قيمة المبادرة بتحليله للواقع الماليزي، حيث نجده لا يحبّذ إنتظار الطرف الآخر لاتّخاذ الخطوة الأولى[1]، بل الأحسن أن يلزم الإنسان نفسه بواجب التغيير و واجب العمل حتّى يتّبعه الآخرون، و يكون بذلك فتح باب التغيير و خطى الخطوة الأولى فيه فعليّا، و يضرب محمد مهاتير مثلا لذلك بقضيّة تعاطي المخدّرات بين الشباب في مجتمع أبناء الملايو، إذ عندما كانت هذه الظاهرة في بدايتها قال أحد القيادات الطلّابيّة مهوّنا من شأنها أنّها لا تكاد تكون شيئا إذا قورنت بعدد كبار الشخصيات الذين يتناولون المسكرات[2] ، و ملخّص تحليله لموقف القيادي الشاب من هذه الظاهرة أنّ تناول المسكرات خطأ و المفروض أنّه لا يكون، لكن وجوده لا يلزم منه بالضرورة تهوين شأن تعاطي المخدّرات بين الشباب، فالظواهر في بداياتها تكون غير

[1] محمد مهاتير، الموسوعة، المجلّد2: التحدّي، ص10

[2] المصدر نفسه، ص10

ذات أهميّة، لكنّ الغفلة أو السكوت عنها تجعلها تستفحل حتى تصل حدّا تستعصي معه على الحلول المتاحة و تخرج عن السيطرة، و هذا النمط من التفكير يشجّع على الإنحلال الأخلاقي و مخاطره المتعدّدة. و يبيّن محمّد مهاتير من هذا المثال أنّه على كلّ فرد ماليزي أينما كان موقعه ألّا يتهاون في محاربة مثل هذه الظواهر، و المبادرة إلى أخذ المشكلة مأخذ الجدّ ثمّ تحمّل مسؤوليّة محاربتها ليبقى المجتمع معافى منها. و مصير أبناء الملايو بأيديهم لأنّه لن يأتيهم مبادر من الخارج، فلابدّ عليهم أن يتحمّلوا مسؤوليّاتهم في مواجهة المشكلات المختلفة بإيجاد الحلول لها و المبادرة إلى تشكيل مصيرهم الخاص و اللّائق بهم، و القرآن الكريم قد قرّر سنن التغيير و شروطه لتكون ملزمة لكلّ مسلم أمين على دينه حريص على مستقبل أمّته.

4- التخطيط و العمل:

العمل الذي يقوم على الدراس و التخطيط يكون مضمون النجاح، لأن الفكرة تحتاج إلى ضبط و دراسة حتى تكون قابلة للتطبيق، و ذلك من أهم أسس العمل الناجح و شروطه، و قد أدرك محمد مهاتير أنّ خطورة الوضع في بلاده تتطلّب ضبط الأفكار المنتجة و وضعها موضع التنفيذ، للإستفادة منها و تعجيل خروج البلاد من مخلّفات الإستعمار، فكان –حسب تقديره– وجوب التفكير في استرجاع ما كان ملكا للماليزيّين و استحوذت عليه الإدارة الإستعماريّة، و هو أمر صعب نظرا إلى أنّ هذه الأخيرة ليست مستعدّة للتسليم بسهولة فيما كانت تخطّط لبقائه في حيازتها و لو بعد مغادرة التراب الماليزي، ما تطلّب من القيادة الماليزيّة و على رأسها محمّد مهاتير تخطيطا و تفكيرا عميقا، يمكّنهم من بسط اليد على ممتلكات هي في الأصل ماليزيّة. و يظهر ذلك جليّا في ما يعرف "بغارة الفجر"[1]، التي تدور حول الطريقة التي اتّبعتها ماليزيا في تقديم العطاءات لشراء أصول شركات المزارع الكبيرة و كانت بيد مجموعة قوثري[2]، بعد أن قوبلت فكرة شراء أسهم هذه المجموعة برفض السلطات البريطانيّة بشدّة، خاصّت و أنّ ماليزيا سبق شراؤا لأسهم شركة لندن للقصدير، و نظرا لإصرار السلطات الماليزيّة على استرجاع المزارع الكبرى، كان لابدّ من الوصول إلى فكرة تمكّنهم من ذلك، و كانت فكرة حاكم مصرف نيجارا، و رئيس الشركة المساهمة الوطنيّة تون إسماعيل علي، أن تتفرّق مجموعات كثيرة ماليزيّة و تشارك منفردة في سوق لندن للأسهم، على أساس أنّه لا علاقة بين أيّة

[1] "غارة الفجر" تسمية أطلقها محمّد مهاتير على الطريقة الذكيّة التي اتّبعها لاسترجاع أصول شركات كانت بيد الإدارة الإستعماريّة، محمّد مهاتير، طبيب في رئاسة الوزراء، ص524.

[2] قوثري: مجموعة تمتلك كبرى الشركات التجاريّة في جنوب شرق آسيا، و هي التي تصدّرت جهود بناء مزارع المطّاط و أشجار النخيل في ماليزيا، محمّد مهاتير، طبيب في رئاسة الوزراء، ص524.

مجموعة مع الأخرى، و مع فتح التداول في الساعات الأولى كانت المجموعات قد نجحت في شراء كلّ الأسهم، ثم تقدّموا بموجب سوق لندن –وقد حازوا سقف 30 بالمئة من الأسهم- بعرض عام لشراء المزارع، و كانت الخطّة نجحت في إيصال محمّد مهاتير و رفقاءه إلى الإستحواذ على المزارع و ضمّها إلى الملك الماليزي، و كانت من نتائج هذه الغارة أن غيّر سوق لندن سياسته لتصبح أكثر حذرا حتّى لا تتكرّر مثل تلك الحادثة.

لنستنتج قيمة التخطيط و دقّة التنفيذ في نجاح العمل و تحقيق الأهداف، و هو درس ينبغي لمن يتولّ منصبا في الدولة أن يأخذ منه العبرة، و يدرك أنّ الله تعالى سخّر الكون للإنسان و أيّده بالعقل كي يعمله و يستفيد منه في تحقيق النافع و الصالح في الدين و الدنيا، و لو رجعنا إلى التاريخ البشري سنجد أنّ النجاح لم يكن إلّا من أعمال استهلك أصحابها جهودا و أوقاتا حتّى يدركوا النتائج الحسنة لها.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

خاتمة الفصل:

نلاحظ أنّ الإنبعاث –إذن– مرتبط بأسس التغيير التي حدّدها القرآن الكريم و السنّة النبويّة، و جاء الفكر الإسلامي المعاصر ليوضّحها و يربطها بالزمان و المكان و المتغيّرات، و يضبط المسلمين على أساسها، و يجعل لهم سننا لن تقوم حضارتهم مرّة أخرى إلّا بها، وهو ما استقر في وعي محمد مهاتير من خلال إدراكه لسنن قيام وسقوط الحضارات وفهم تأكيد القرآن أن الله تعالى يحقق النّصر والتفوق لمن يفهم هذه السنن و يعمل بها، وأن الأمة الإسلامية لم توهب الخيرية على الأمم مطلقا بل ربطها الله تعالى بمقدار ما تقدمه من أسباب النجاح وإعداد عدّة تحقق لها أهليتها لتتبوأ منزلة الخيرية و الأفضلية بين الأمم وأن تقدم الأمم مرهون بشرزط ولابد من مراعاتها، وبسنن لابد من إدراكها وتمثلها، وجهد يجب على الأمة تقديره وتقديمه حتى يتحقق لها النهوض والملاحظ أن هذه الأسس بينها الوحي، قرآنا وسنة، وحققتها الأمة في عصور الإزدهار، لتنشأ الأجيال اللاحقة من أمر هام وهو أن الحالة التي تكون عليها المجتمعات والأمم هو انعكاس لدرجة الوعي لدى الأفراد ولقدر الجهد المبذول نحو التغيير والتقدم، وأنه على الأمة الإسلامية إذا أرادت استرجاع حضارتها وأمجادها أن ترجع إلى القرآن والسنة وكذا التاريخ لتجد خطوات وأسس نهوضها، فتأخذ بها وتنطلق نحو غايتها.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

الفصل الرابع:

تطبيقات مشروع مهاتير في ماليزيا

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

تمهيد:

سؤال النهضة الماليزية يحتاج إلى تحليل، ودراسة، واستنتاج للخروج من تجربة نمر من نمور آسيا، قائمة على التوافق بين الأعراق المختلفة متبنية منظومة القيم الثقافية الآسيوية توصلت رغم التعدد الإثني والديني إلى بناء دولة، كانت عبارة عن مجتمع مفكك يقوم اقتصاده على الزراعة وتصدير بعض الموارد الأولية كالمطاط وزيت النخيل، وبوثقة من الأعراق يحمل كل منها مميزاته واستعداداته، وهي اليوم مثال يحتدى في التنمية والإنجازات في كثير من الميادين، وما يزيد من قوة هذه التجربة الرائدة أن المرجعية العليا فيها للإسلام بقيمه وتشريعاته، التي استغلتها القيادة السياسية في حث المسلم على فهم دينه، والسير على الصراط المستقيم وتحقيق عمارة الأرض بالإنفتاح على الآخر، واختيار أحسن ما عنده، والتعايش مع الجميع، على اعتبار أن الإسلام يأمر بالأخوة، والتعاون والتسامح ليعيش الناس بأمان.

من هنا انطلق محمد مهاتير، الذي كان يقول ويفعل، ينظر إلى الشرق والغرب بعين المصفاة، يحلم بماليزيا في مصاف الدول المتقدمة، ويسعى مع الحلم بالجد والمثابرة وحمل الهم، هم مايزيا وهم آسيا وهم المسلمين ليعودوا إلى قيادة العالمين. فهل نحج في تحقيق حلمه؟ وإن كان ذلك فما مظاهر هذا النجاح؟ وما العوامل التي ساعدته على ذلك؟

وهو ما سيجيب عليه الفصل الرابع: مظاهر الإنبعاث الحضاري في عهد مهاتير في ماليزيا، في الجانب الإجتماعي الثقافي، ثم الإقتصادي و أخيرا السياسي.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

المبـحث الأول

المجـال الثقافي الإجتماعي

وقد اخترت هذا المجال ليكونأول المجالات للتأكيد على ما وردفي الفصول السابقة وبيان أثر الثقافة في حياة المجتمعات وتحضرها.

المطلب الأول: التعريف بماليزيا:

1-ماليزيا بالأمس:

يعـود تـاريخ ماليزيـا إلى المكـان الـذي قصـده الأمـير السـوماطري: باراميسـوار وكـان عـامرا بـالطيور والأشـجار والوارفـة وشـلالات الميـاه، فاسـتراح تحـت ظـل شـجرة مـن نـوع " ميلاكـا"، فأعجبـه المكـان ممـا أوحـى إليـه أن يقـيم إمبراطورتـه علـى هـذه الأرض الـتي أعتقـد أنهـا مباركـة، وسماهـا باسـم الشـجرة، كـان ذلـك سـنة 1396، بعـدها اعتنـق الإسـلام ليكـون أول أمـير مسلم، ليصبح الدين الرسمي " لميلاكا" أو "ملقا" هو الإسلام[1].

تعاقبـت علـى "ميلاكـا" عـدة حقـب اسـتعمارية، بـدءًا بـالاحتلال البرتغـالي سـنة 1511م ثم الهولنـدي سـنة 1641م والبريطـاني سـنة 1824م مـا جعلهـا بوثقـة انصـهرت فيهـا ثقافـات متعـددة فسـميت المدينـة التاريخيـة الماليزيـة" ومـن أشـهر معالمهـا التاريخيـة: المسـلة الهولنديـة " stad thays Farmosa"، وكنيسـة سـانت بـولس: "St.Paul's" وحصـن سـانت جـو " St jo"[2]، والحضـارات تبـدأ بـالتراكم، ثم تختلط حـتى تعطـي مزيجهـا بفـرض تركيبـة علـى الزمـان وعلـى المكـان، ويبـدأ التوسـع شـيئا فشـيئا، إلى أن تتحقـق الكثافـة المناسـبة لقيـام كيـان موحـد، يقـول مهـاتير في هـذه النقطـة: " ومـن اخـتلاط الشـعوب والثقافـات ستنشـأ ثقافـات وحضـارات جديـدة، سـيكون لهـا ملامـح متشـابهة، ولـن تكـون هنـاك ثقافـة أجنبيـة أو مهيمنـة"[3]. وخـير موجـه قولـه تعـالى:(**يَـا أَيُّهَـا النَّـاسُ إِنَّـا خَلَقْنَـاكُمْ مِـنْ ذَكَـرٍ وَأُنْثَـى وَجَعَلْنَـاكُمْ شُـعُوبًا وَقَبَائِـلَ لِتَعَـارَفُوا إِنَّ أَكْـرَمَكُمْ عِنْـدَ اللَّـهِ أَتْقَـاكُمْ إِنَّ اللَّـهَ عَلِـيمٌ خَبِيـرٌ**)[4] ليكـون التعـارف هـو أسـاس الاجتماع البشري، ويكون دافعه الفائدة والخير، فينشأ المجتمع المثالي.

---

[1]-عادل الجوجري، النمر الأسيوي محمد مهاتير، ص 37.

[2]-المرجع نفسه، ص 37

[3]-محمد مهاتير، الموسوعة، السياسة والديموقراطية و آسيا الجديدة،المجلد 8، ص73

[4]- سورة الحجرات، الآية: (13)

وتبقى ميلاكا مجمعا للمعالم الأثرية القائمة إلى اليوم لتشهد على مرور الحضارات، مثل حصن " قاموزا" الذي بناه البرتغاليون عام 1511م، والقلعة الهولندية وبينت عام 1641 لإقامة الحاكم الهولندي، وكذا مسجد هولو الذي بني عام 1727، ومسجد تراتكويرة الذي يفوق عمره 600سنة، كما يوجد بها ضريح "هانج تواه" أحد أبطال مالاكا المسلمين في عهد السلطان منصور شاه، وضريح " تون تيجا" زوجة السلطان محمد شاه[1].

2- ماليزيا بعد الاستقلال:

كأي دولة حديثة العهد بالإستقلال، كانت ماليزيا دولة فقيرة، يعتمد اقتصادها على الزراعة و إنتاج المواد الأولية، خاصة القصدير و المطاط، فكان مجتمعا زراعيا بامتياز، وأبرز العوامل المساعدة على بقائهم مزارعين فقراء هي السياسية البريطانية من جهة و من جهة أخرى طبيعة الملايويين، أما العامل الأول- أي السياسة الاستعمارية- فإن جهود المستعمر تركزت على إبقاء الأعراق الثلاث على بعد وانفصال، لينغمس الملايويون في الحياة الزراعية مما يعني استقرارهم في المناطق الريفية، وفي المقابل توجهت أنظار الصينيين إلى المراكز الحضرية و الهنود إلى مناطق المطاط، وقد أقنع الملايويون أنفسهم أن حالهم في الزراعة أفضل بكثير من العمالة المضنية عند البريطانيين بأجور بخسة ومعاملة سيئة والتي يرضى بها الهنود ولا يأبهون ما داموا يعملون، ولئن كان القرار حكيما آنيا إلا أنه على المدى البعيد ترتب عليه انغلاق المجتمع، وتخلفه عن ركاب التنمية[2] ومن الطبيعي أن هذا التخلف لن يقتصر على الجانب الاقتصادي بل سيغطي كل المجالات، إذ لا فاصل بينهما، وسيصبح المجتمع متخلفا بكل المقاييس وهي رغبة المستعمر، لأن تقدمه وثراءه قائم على افقار المستعمرات حتى بعد استقلالها، وعمليات البغي التي قامت بها الدول الأوروبية، وما تبعها من استنزاف للموارد الطبيعية و البشرية أدت إلى تشويه المسار الطبيعي لهذه المجتمعات، آلت إلى حدوث وضعين متزامنين متعاكسين: النمو و التقدم- بمعناه الأوروبي- في دول الشمال، والركود والتخلف في دول الجنوب"[3] . وحتما تكون السياسة الأوروبية مبينة على النهب و الافقار لمستعمراتها ما

---

[1]- عادل الجوجري، النمر الآسيوي محمد مهاتير، ص 38.

[2]-محمد مهاتير، طبيب في رئاسة الوزراء، ص 91.

[3]- نصر محمد عارف، نظريات التنمية السياسية المعاصرة، ط4، 1427هـ 2006 م، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، مكتب بيروت، ص 370.

دامت تؤمن بنظرية :" إن تنمية مجموعة ما تتم على حساب افقار مجموعة أخرى"[1] وتسعى إلى المزيد من الضغوط على أوضاع مستعمراتها مادامت المورد الوحيد للتموين عبر الاستنزاف.

والمستعمرات ليست مستعدة لتقبل ضياع هذه الامتيازات فنجدها تتحايل لإقامة العلاقات الاقتصادية والسياسية مع مستعمراتها القديمة، هي في الظاهر علاقات جوار أو تعاون، لكنها في الحقيقة مقاربة بدلية للهيمنة الاستعمارية التي انقضت باستقلال مستعمراتها وهو الأمر الذي سلكه البريطانيون مع الملايويين خاصة، باعتبارهم أصحاب الأرض، في ابقائهم خارجا عن مساندة الحداثة والتطور باكتساب العلوم و المعارف، وراقت لهم فكرة مجتمع ملايوي بسيط، يعتمد على الفلاحة وتسد حوله المنافذ إلى النظر بعيدا، ويبقى جامدا يكتفي بالربح البسيط ويبيع خيراته وكنوزه بأبخس الأثمان، وتكريس فكرة الاتحاد الملايوي الذي يحكم نفسه في الظاهر، وله سلاطين يتولون الحكم المفترض، أما الحكم الفعلي فهو بريطانيا، وقد تفطن محمد مهاتير إلى هذا الأمر متأخرا، ليدرك كراهيته للبريطانيين وللاستعمار البريطاني نتجت من دراسته لأحداث الماضي، ومن الحقائق التي تفطنت إليها متأخرا[2]، ويبدو أن الأمور كانت مشوشة في ذهنه، خاصة عندما غزا اليابانيون بلاده، وكان صغيرا، كما أن وسائل الاتصال كانت ضئيلة وغير متاحة، والقليل منها يفرض رؤيته، فكان البريطانيون يصورون اليابانيون غزاة، ومنه يبرؤون أنفسهم وهم أشد ظلما وخطرا وبطشا من اليابانيين، وبعد اتضاح الرؤية، وإدراك الحقيقة، ونضج مهاتير تولى قيادة معارضة شرسة لفكرة الاتحاد الملايوي .

أما العامل الثاني في بقاء المجتمع الملايوي في عتبة الفقر هي الطبيعة الملايوية التي تحبذ الركون إلى الزراعة والمهن البسيطة على غيرها من المهن المتعبة، ولم يكن يهم الفرد الملايوي أن يجني ملا كثيرا بل كان القليل كافيا له، ما يفسر إنعدام الطموح في آمتلاك وسائل العمل الحديثة، و الإنطلاق في أعمل كبيرة، وهو الأمر الذي حاربه مهاتير في كتابه (المعضلة الملايوية) الذي تمحور حول ضرورة إيجاد حل للسلبية المميزة للملايويين، وهو بهذا يوافق

[1]-محمد بجاوي، من اجل نظام اقتصادي دولي جديد، ت: جمال مرسي، الشركة الوطنية للنشر و التوزيع، 1980، ص14.

[2]-محمد مهاتير، طبيب في رئاسة الوزراء، ص 92.

مالك بن نبي في فكرته الشهيرة: " القابلية للاستعمار"** المتمثلة في الإستعداد الذي تبديه النفوس المنهزمة والكالة إلى أن تستعمر، وهي وضعية نفسية يكون بها الانسان مقنعا نفسه بعدم جدوى التغيير، وأنه لا بد من قبوله بالواقع وإن كان هيمنة إستعمارية أو غيرها وينبهنا مالك بن نبي في هذه الفكرة إلى تسمية الأشياء بمسمياتها، وضرورة إرجاع الحوادث لأسبابها، حتى لا نوهم أنفسنا إن كنا ضعفاء، وفقراء، بأن سبب ما نعانيه هو الإستعمار، إذ الأصل ونحن نبحث في أسباب أحوالنا، أن نسأل لماذا استعمرنا؟ هنالك سنعرف أننا نتحمل جزءا مهما من تبعات الإستعمار، وفي يقول مالك بن نبي " لكي نتحرر من الإستعمار يجب أن نتحرر أولا من سببه وهو القابلية للاستعمار"[1]. وهو ما أدركه محمد مهاتير حين كان يحلل أسباب المعضلة الملايوية، ليبين أن مجرد نيل الإستقلال لن يحل الإشكال، بل لا بد من تغيير العقلية الملايوية نفسها يقول: " يتمحور موضوع- المعضلة الملايوية- حول حال الملايويين، هل ينبغي لهم القناعة بكونهم فقراء"[2]، وحبهم للربح السهل جعلهم يبيعون قطع أراضي، أو أسهم يكون لهم امتياز استهلاكها إلى الصينيين مقابل أثمانها، عوض استغلالها في تكوين أرباح طائلة، ما جعل مهاتير يعنفهم ويصفهم بالكسل و الإستسلام للأمر الواقع، والرضا بأن تظل بلادهم دولة متخلفة تعتمد على الزراعة، دون أن تسعى إلى أي تغيير، ما جعل مسؤولي الحزب الحاكم " أمْنو" يتهمونه بالتعصب و التمرد، ويطردوه من الحزب مع منعهم لكتابه من الصدور.[3]

وإلى جانب هذه العوامل، تجتمع عوامل الخروج من الاستعمار، و عدم اكتساب العلوم والمعارف اللازمة للتطلع نحو التغير، وغيرها في استمرار الملايويين على حالة الفقر التي كانوا عليها. ما دفع المهتمين بالشؤون الاقتصادية الآسيوية يدرسون ويكتبون عنها، ومن بينهم الاقتصادي السويدي: جونار ميردال، الذي أطلق وصف المعاناة على الاقتصاديات الآسيوية في كتابه الصادر عام 1968، وكان عنوانه: " المأساة الآسيوية: دراسة لفهم أسباب فقر الأمم"[4] وهو يوافق في دراسته، الحقيقة التي لم يخفها مهاتير حول الطبيعة الملايوية، وانزعاجه من السلبية و الإتكالية التي يتميزون بها، والتي لا تعطي أملا

**القابلية للاستعمار: تعني الإستسلام والخنوع عن كتاب مالك بن نبي، وجهة العالم الإسلامي ص،32

[1]-مالك بن نبي، وجهة العالم الإسلامي، ص32.

[2]- محمد مهاتير، طبيب في رئاسة الوزراء، ص280

[3]-عادل الجوجري، النمر الآسيوي محمد مهاتير، ص76.

[4]- عادل الجوجري، النمر الآسيوي محمد مهاتير، ص53.

قريبا بتغيرها، ورأى- أي مهاتير- أنه من الضروري مواجهة الملايويين بهذه الحقائق، و العيوب التي تحول بينهم وبين تغيير أحوالهم، تحقيقا لقوله تعالى(**إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ**)[1]، و المجتمع كالإنسان، إن كان مريضا ولا يشعر بالألم، ولا بخطورة المرض فلن يبحث عن علاج مناسب له، أو إذا شعر بالمرض لكنه تعايش معه، فسيكتفي بتناول المهدئات ويستكين لحالته، أما المريض الفطن فنجده حال إحساسه بأن شيئا ما يزعجه، فتجده يبحث في أسباب ما يقلقه، ويبحث عن الطبيب الأمهر ليجد له علاجا، ويحافظ على صحته، وكذا المجتمع الذي يعاني من الفقر و التخلف، إما أنه يحس بالألم وضرورة إيجاد الحل، للخروج إلى حال الصحة و الرفاهية، ومنه نفهم بلاغة تشبيه الرسول صلى الله عليه وسلم للمؤمنين في قوله: "مثل المؤمنين في تراحمهم وتوادهم وتعاطفهم كمثل الجسد الواحد ،ذا اشتكى عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى"[2] إذ المجتمع مثل الجسم، معرض للأمراض والالام، حتى ينتبه الانسان الذي وصل إلى طب الجسد أنه يمكنه أن يصل إلى طب المجتمع، وأكيد أن أمراض المجتمع أشد خطورة، وهي قابلة للتفاقم في غياب طب المجتمع، وانعدام الطبيب المعالج، الذي يعيد العافية والصحة للمجتمع السائر نحو الرقي، وكما يشفى الجسد بالدواء، كذلك يعالج المجتمع الفقير، المتخلف بالعلم و العمل والمثابرة، وهي النتيجة التي يستخلصها من يتبع كيفية تقدم طب الأجساد والذي أصبح بإمكانه معالجة الإنسان وتخفيف آلامه، وتحقيق الشفاء له في أكثر الأحيان، بأنه من الممكن أيضا أن يوجد الصفوة من أطباء المجتمع وهم المصلحون والقادة الذين يضعون أمراض المجتمع في مختبراتهم ويسهرون ويجدون لإيجاد العلاجات المناسبة لها، و الجرعات المناسبة من كل دواء، ولنا في اليابان خير مثال حيث وجدت أطباء مهرة قاموا بتطهير جروحها النازفة، ومعالجتها، وإعطاء المجتمع وصفة ساحرة من العزم و التصميم و التفاني من أجل الوطن، حتى أوقفوه على قدميه وبقي يرتقي إلى أن نافس من حاولوا من قبل تهديم كل بناه التحتية و تفجير حقدهم في ناجازاكي وهيروشيما.

5- ماليزيا اليوم:

ماليزيا اليوم دولة تتميز بتنوعها الاثني والديني، استطاعت أن تبني دولة موحدة بعدما كانت مجتمعا مفككا إلى مزيج عرقي وديني، و الفضل يرجع إلى النظام السياسي

---

[1]-سورة الرعد، الآية: (11) .

[2]- محمّد بن اسماعيل البخاري، صحيح البخاري، كتاب الأدب، باب رحمة الناس والبهائم، رقم الحديث، 6011، ص1508 .

الـذي سـاعده النظـام و الانضـباط علـى الحفـاظ لماليزيـا علـى أمنهـا واسـتقرارها لأن البشـر يعيشـون عـادة في مجتمعـات، و المجتمـع الإنسـاني لا يمكـن أن يوجـد دون تنظـيم أو انضـباط ومهمـا كـان المجتمـع بـدائيا إلا أنـه علـى الأقـل يتكـون مـن رؤسـاء ومرؤوسـين، و كلمـا كانـت الحضـارة أعظـم وأسمـى، لابـد أن يكـون المجتمـع أكثـر تركيبـا وتعقيـدا، كمـا أن بقـاء المجتمـع نفسـه يتوقـف علـى درجـة تنظيمـه وعلـى اسـتعداد أفـراده أن يطيعـوا الأوامـر و النـواهي، الـتي يضـعها هـذا المجتمـع، أي أن المجتمـع مـدين بأمنـه واسـتقراراه للنظـام و الانضـباط[1] والتـاريخ يثبـت أنـه منـذ القـديم تـدين المجتمعـات والـدول في أمنهـا إلى الأنظمـة الرشـيدة الـتي تضـع الصـالح العـام هـدفا، وتجعـل الشـرائح الواسـعة في المجتمعـات تتمثـل هـذا الهـدف في تعاملهـا، ليصبح الاختلاف تنوعا بدل الخلاف، والحوار منهجا بدل العنف.

تقـع ماليزيـا في قلـب جنـوب شـرق آسـيا، وتنقسـم إلى قسـمين يفصـلهما بحـر الصـين الجنـوبي، القسـم الأول هـو شـبه جزيـرة ميلاكـا الممتـدة مـن بـرزخ "كـرا" حـتى مضـيق جوهـور، والقسـم الثـاني هـو القسـم الشـمالي الغـربي مـن جزيـرة "بورنيـو"، الـذي يتكـون مـن إقليمـي "سـراواك" و"صـباح". وتتكـون مـن 13 ولايـة، وثلاثـة أقـاليم إتحاديـة، بمسـاحة كليـة تقـدر بـ 329.845 كـم^2 عاصـمتها: "كوالالمبـور"، في حـين أن:"بوتراجايـا" هـي مقـر الحكومـة الإتحادية يصل تعداد السكان أكثر من 27 مليون نسمة.

وإلى الشـمال الغـربي تقـع تايلانـد في شـبه الجزيـرة، حيـث تحـدها مـن الغـرب جزيـرة سـومطرة الأندونيسـية وتقـع جـزر الفلبـين في الشـمال الشـرقي مـن إقلـيم صـباح كمـا تحـدها كل من تايلاند وسنغافورة وسلطنة بروناي.[2]

لم يكـن لماليزيـا كدولـة موحـدة وجـود حـتى عـام 1963، إذ بسـطت بريطانيـا نفوذهـا علـى مسـتعمرات تلـك المنـاطق الآسـيوية أواخـر القـرن الثـامن عشـر، وعرفـت هـذه المسـتعمرات باسـم "ملايـا البريطانيـة" حـتى حلـت عـام 1946، ليعـاد تنظيمهـا ضـمن اتحـاد الملايـو، الـذي كـان مشـروعا اسـتعماريا يهـدف إلى جعـل دول الإتحـاد المزعـوم محميـات بريطانيـة، الأمـر الـذي لاقـي احتجاجـا وحركـة واسـعة مـن الـرفض، أعيـد تنظيمهـا ضـمن إتحـاد ملايـا الفـدرالي في عـام 1948، وتشـكلت ماليزيـا بضـم سـنغافورة، سـراواك، وبرونيـو الشـمالية البريطانيـة

[1]-محمد مهاتير، الموسوعة،التحدي، المجلد2، ص 165.

[2]- Pascal Boniface, l'année stratégique , op, cit, pp486

واتحاد ملايا، يوم 1963/09/16، وبعد نشوب توترات ضمن الإتحاد الجديد، وصلت إلى نزاع مسلح مع أندونسيا، وطردت سنغافورة في 9 أوت 1965 تشكلت الفدرالية الماليزية[1].

اللغة الرسمية في ماليزيا في اللغة الملايوية، وهي إحدى عناصر الهوية الماليزية، والدين الرسمي للدولة هو الإسلام حسب دستور الهوية الماليزية، والدين الرسمي للدولة هو الإسلام حسب دستور ماليزيا، والعملة الرسمية هي: الرينجيت.

ماليزيا دولة إسلامية بها 12 مليون مسلم يشكلون 60% من تعداد السكان، ويعيش فيها حوالي 25% من الصينيين البوذيين، و15% من الهندوس وجنسيات أخرى[2].

نظام الحكم، أو النظام السياسي في ماليزيا يتحدد بالدستور على أنه قائم على أساس السلطنة مع المزج مع النظام البرلماني، لهذا كان هذا النظام توافقيا، حيث تنقسم ماليزيا إلى 13 ولاية، منها 11 في شبه الجزيرة الماليزية و2 في بورنيو الماليزية، كما تشتمل على 3 أقاليم اتحادية، والنظام السلطني فيها تداولي وليس وراثي إذ يحكم كل ولاية سلطان لمدة 5 سنوات، بالإضافة إلى مجلس السلطنة وبما أنها اتحاد فإن الحكم مشترك أو موزع بين الحكومة الفدرالية وبين حكومات الولايات، وتستند – في هذا النظام – السلطة التنفيذية إلى مجلس الوزراء برئاسة رئيس الوزراء، الذي يجب أن يكون عضوا في البرلمان حسب ما ينص عليه الدستور الماليزي، ويكون هو الحاكم الفعلي للبلاد، ويجب أن يتمتع بأغلبية في البرلمان، ويشترط فيه أن يكون مسلما.[3]

أما السلطة التشريعية فتنقسم بين المجالس الإتحادية و المحلية ويتألف البرلمان من ديوانين ومجلسين، ديوان"راكيات" أي مجلس الشعب، وديوان "نيغارا" أي مجلس الشيوخ[4]و الجدير بالذكر أن المسلمين و الصينيين في ماليزيا يتقاسمون الحكم و الاقتصاد، فيختص المسلمون بالسياسة بينما يختص الصينيون بالاقتصاد و التجارة.[5]

---

[1]- Pascal Boniface, l'année stratégique , op, cit, pp486

[2]-عادل الجوجري، النمر الآسيوي محمد مهاتير، ص 39.

[3]-محمد الصادق إسماعيل، التجربة الماليزية: محمد مهاتير والصحوة الإقتصادية، ص 27.

[4]- http// ar.wikipedia.org, consulté le 16/08/2014

[5]-محمد الصادق إسماعيل، التجربة الماليزية: محمد مهاتير والصحوة الإقتصادية، ص 28.

المطلب الثاني: التعليم في ماليزيا :

1-مراحل التعليم

عندما تولى مهاتير محمد وزارة التعليم سنة 1974 راجع سياسة التعليم وقرر تطوير مناهج التدريس وفق رؤية معاصرة، لتحقيق الوحدة الوطنية في مجتمع متعدد الإثنيات، وتأكيد الشعور بالإنتماء، والموازنة بين أشكال التعليم في مختلف المناطق الماليزية مع تبني نظام تعليمي ديمقراطي، لإرساء المساواة بين الماليزيين وتمكينهم من حق التعلم[1] . كما كان دائم السعي إلى تحسين مستويات التعليم والتدبير، وحث الملايويين على تحسين مستواهم بالجد واكتساب المهارات ليكونوا أهلا للتقدم والرقي ببلادهم، وكان حرصه نابعا من قناعته أن مردود سياسته ككل متوقف على التعليم، وقد أصدر عام 2002 تقرير أطلق عليه إسم: تقرير الثقة في العقل الوطني: National Brain Trust report كخطة أساسية لاقتصاد المعرفة ركز على ضرورة تنمية الموارد البشرية والتدريس باللغة الإنجليزية في مؤسسات التعليم العالي، واتجهت وزارة التعليم بالإشتراك مع الدولة لوضع خطط منها وضع حملة شاملة للنهوض بالتعليم كرؤية لسنة "2020" تحت شعار: عمل فاعل وسريع "Fast and effective action"[2].

يشتمل التعليم العام في ماليزيا أربع مراحل رئيسية هي: [3]

أ-التعليم قبل المدرسة:

التعليم ما قبل المدرسة يعتبر جزءا من النظام الإتحادي للتعليم، ويشمل الأطفال بين سن الخامسة والسادسة، ويشترط أن تكون جميع دور الرياض وما قبل المدرسة مسجلة لدى وزارة التربية، وهي ملزمة بتطبيق المناهج التعليمية المقررة، وتوجد العديد من المدارس فيما قبل المدرسة، تدربها الوكالات الرسمية والمنظمات الشعبية والقطاع الخاص.

ب-مرحلة التعليم الإبتدائي:

---

[1] Abdul Rawak bagind an petrshir , Education in Malaysia Unifying or divisive? Malaysia strategic Research center and Knored adenauer foundation W.D, P:18.

[2] ماجدة علي صالح: سياسة التعليم وتنمية الكوادر البشرية في ماليزيا، برنامج الدراسات الماليزية، كلية الإقتصاد والعلوم السياسية، جامعة القاهرة، 2008، ص106-107.

[3] محمد الصادق إسماعيل:محمد مهاتير والتجربة الإقتصادية، ص 148

يلتحق بهذه المرحلة التلاميذ من سن ستة سنوات، وتدوم ستة سنوات، تنتهي بما يعرف بـ: اختبار التحصيل الإبتدائي، وتتميز المدارس الإبتدائية بنظام الدوامين بصفة عامة.

جـ-مرحلة التعليم الثانوي:

تنقسم هذه المرحلة إلى قسمين:

-**المرحلة الثانوية الدنيا:** وتلي المرحلة الإبتدائية وتدوم ثلاث سنوات، ثم يتقدم التلميذ لامتحان عام قبل الثانوي.

وهذه المرحلة تعادل مرحلة المتوسط عندنا في الجزائر والتي تلي المرحلة الإبتدائية وتسبق المرحلة الثانوية.

-مرحلة الثانوية العليا:

وتأتي هذه المرحلة كفترة نهائية تؤهل الطلاب إلى مختلف التخصصات في الجامعة، وتشمل الفروع الأكاديمية والفنية والمهنية.

وهذه المرحلة تعادل المرحلة الثانوية عندنا في الجزائر.

وتختتم بامتحان شهادة التعليم الماليزية "M.C.E" وهو خاص بالمدارس الأكاديمية والفنية، وكذا شهادة: "التعليم المهني الماليزية" وهي خاصة المدارس المهنية.

د-مرحلة ما بعد الثانوية:

وهي المرحلة التي يتأهل بها الطلاب للجامعة، إذ يلتحقون بعد اجتياز امتحاناتها بمختلف التخصصات في الجامعات الماليزية، وتنقسم هذه المرحلة إلى نوعين هي: النموذج السادس والمترك.

-**النموذج السادس:** يستغرق هذا البرنامج سنتان، يؤهل بعدها الطالب إلى شهادة المدارس العليا الماليزية بمختلف تخصصاتها.

-**برنامج المترك:** وهي مصممة بصفة خاصة لتأهيل الطلاب لإمتحان يستوفون بعده متطلبات التحاقهم بالجامعة وكذا الشروط المختلفة، ويدوم هذا البرنامج مدة تتراوح بين سنة إلى سنتين حسب الجامعات.[1]

[1] ماجدة علي صالح: سياسة التعليم وتنمية الكوادر البشرية في ماليزيا، ص 109.

2 -**المدرسة الذكية:**

ومن مظاهر النجاح في سياسة تحديث التعليم، ربط المدارس بالإعلام الآلي، وتجربة "Smart School"باستخدامها التقنيات الحديثة لتكون فعلا مدارس ذكية، تتوفر على مواد دراسية تساعد الطلاب على تطوير مهاراتهم واستيعاب التقنية الجديدة، كأنظمة التصنيع الذكية وشبكات الإتصال، ونظام إستخدام الطاقة غير الملوثة وأنظمة النقل الذكية وغيرها.

نفهم من هذه الحقائق أن النهضة في مجال من المجالات تحتاج إلى المتابعة، والتجربة وإعادة التجربة، والنظر إلى الأمم السباقة والناجحة للاسترشاد بأسباب نجاحها والمراكمة على خبراتها ثم الزيادة عليها مع إدخال الخصوصية والبصمة الذاتية على الإنتاج في المستقبل، وإذا تتبعنا فكرة المدارس الذكية نجدها انطلقت في العديد من دول الغربوبدأت باستخدام وإستثمار الحاسب الآلي في مجال التعليم، وبوضع الخطط والإستراتيجيات بهدف إدخال التقنية للمدارس والإستفادة منها ومن أشهر هذه الدول الولايات المتحدة الأمريكية وأستراليا[1].

الأمر الذي جعل القادة السياسيون في ماليزيا يقتنعونأن المدرسة الذكية ستساعد البلاد على اقتحام عصر المعلومات، بما يساهم في الوصول إلى نوعية التعليم الملائمة للبلاد في المستقبل، مما جعل الحكومة توقع عقد مع شركة مدارس تليكوم الذكية – وهي شركة مشتركة بين الحكومة والقطاع الخاص– لتنفيذ الفكرة بداية بـ 19 مدرسة نموذجية لمدة ثلاث سنوات عام 1999، ثم بعدها تم ربط جميع مدارس وجامعات ماليزيا بعمود فقري من شبكة الألياف البصرية السريعة، والتي تسمح بتسريع الخدمة، وتوفير المعلومة. [2]

وتعميم هذا النوع من المدارس في جميع أرجاء ماليزيا سيسمح باستيعاب تقنية المعلومات والإتصالات، وتوظيفها إيجابيا في العملية التعليمية وتطوير قدرات المعلمين ورفع مستوى الطلبة وتمكينهم من الوصول إلى مصادر التعلم المباشرة، بل والإرتقاء بمخرجات التعليم لإعداد جيل منتج ذي مهارات عالية، من خلال دعم جهود الأبحاث في

[1]عبد الحافظ الصاوي: قراءة في تجربة ماليزيا التنموية، مجلة الوعي الإسلامي، الكويت العدد 451، الشهر5، السنة3

[2]محمد الصادق إسماعيل:محمد مهاتير والتجربة الإقتصادية، ص181.

الجامعات، وإقامة الروابط بين الشركات والباحثين والمؤسسات المالية والتقنيين من أجل تنمية حقيقية تستخدم أنشطة البحث الجامعية لأغراض النهوض بإقتصاد البلاد، وفي المقابل تمويل البحوث والحرص على التدريب لتكوين مهارات حقيقية قادرة على الإبداع وهنا مكمن ذكاء سياسة مهاتير، واختصار كثير من الجهد والوقت، وهو بهذا يدرك ما غاب عن كثير من الأنظمة العربية في فصل العملية التعليمية عن مؤسسات الدولة في كثير من الميادين، وغاياتها توقفت عند تخريج جيوش من العاطلين عن العمل، والعاجزين عن دخول ميدان الممارسة والتطبيق، بينما في ماليزيا لم يحدث هذا الأمر لأن السياسة أقامت العملية على دراسات، وفرضيات واستشرافات حظيت منها بالمتابعة والتغيير ودراسة النتائج دراسة تحليلية ونقدية، في إطار مؤسسات محلية وخارجية في أعمال البحوث التطويرية والموجهة للصناعة، وإيجاد مراكز الإمتياز، ومؤسسات التفكير المتخصصة في الإقتصاد والسياسة والدراسات الإستراتيجية والتقنية[1] وهو ما يعرف بالتركيز على "قاطرات التنمية التكنولوجية" وهي إحدى أهداف رؤية 2020، والمقصود منها تركيز ماليزيا على القطاعات التكنولوجية التي تجر وراءها عناصر التنمية التكنولوجية الأخرى، والتي يكمن من خلالها ربط العلم بالتكنولوجيا، لأن العلم ينتج المعرفة، بينما تنتج التكنولوجيا الثروة كما أن العلم يصبح غير ذي معنى إذا لم يتحول إلى تكنولوجيا، ومن ثم يصبح محرك الصناعات والأشكال المختلفة للإنتاج الذي يفرضه المجتمع.

وقد أثمر هذا السعي لتطوير وتحديث ثم تفعيل عملية التعليم أن أصبحت الجامعات الماليزية مركز استقطاب لطلبة الدراسات العليا من مختلف الدول النامية، لجودة التعليم ووفرة التسهيلات التعليمية وتنويع وسائلها من مكتبات، وشبكات الكمبيوتر ودعم هيئات التدريس بالخبرات والتطوير الدائم للبرامج وفق ما يستجد في العالم هنا أو هناك، ثم استيعابه والزيادة عليه، لتحقيق الأهداف المتوخاة، وهي الوصول بماليزيا إلى مستوى الدول المتقدمة وفق شعارين هما:

1-"الماليزي يمكن أن يحقق ما يريد" والتي تكتب باللغة الإنجليزية بعبارة "Malaysian can do" وباللغة الملايوية "Malaysia Boleh"

2-"الماليزي ينظر إلى أعلى" " Malaysian look high" باللغة الإنجليزية

[1] محمد السيد سليم: سياسة العلم والتكنولوجيا، ص 148.

ولا يخفى ما لهذه الشعارات من أثر على الهمة والإرادة والإيمان بالقدرات وما تكسبه النفس من ثقة على القدرة والفعل، وهي ليست مجرد شعارات خاوية، بل هي شعور متأصل في نفس الفرد الماليزي، تسعى السياسة في بلاده إلى أن يبقى نصب عين كل ماليزي، بتسهيل إبقائه مصدرا للإعتزاز ودافعا للفعل الإيجابي الناجح لأن القناعة الراسخة تكون دافعا قويا للفعل والإنجاز، ومنطلقا باعثا على العطاء الدائم والسعي نحو تحقيق المزيد.

3-الجامعات في ماليزيا:[1]

تعدد الجامعات في ماليزيا، نذكر منها:

أ-جامعة مالايا: U.M، أنشئت عام 1949 في سنغافورة، أي إبان الإحتلال، ثم نقلت إلى كوالالمبور عام 1962 وتحتوي حاليا عشر كليات، ومركز للكمبيوتر، ومركز للغات، ومستشفى جامعي، ومتحف.

ب-جامعة العلوم/ماليزيا: U.S.M، وأنشئت سنة 1969، وتضم ثماني مدارس علوم تطبيقية وتكنولوجية، وثلاث مدارس للآداب الحرة، وأربع مدارس علوم وتوفر الجامعة برنامجا استدراكيا خارج الجامعة للذين لم يتمكنوا من مواصلة التعليم.

جـ-الجامعة الوطنية: U.K.M، أنشئت عام 1970 لتكون أول جامعة تستخدم اللغة الملايوية للتدريس في كل التخصصات، وتشمل 12 كلية و 4 مراكز للدراسات، ومعهد للغات والثقافة المالية.

د-جامعة الزراعة في ماليزيا U.P.M: أنشئت عام 1971 وتشمل تسع كليات، ومركز للتطوير والتعليم المستمر.

هـ-جامعة التكنولوجيا في ماليزيا U.T.M: أنشئت عام 1972، ويوجد بها ثماني كليات، ومركز للدراسات الإنسانية.

و-الجامعة الإسلامية العالمية: أنشئت عام 1983، بالتعاون مع هيئات إسلامية دولية، وقد زرتها، واطلعت على مكتبتها الضخمة وتنظيمها، وتصميمها المذهل[2]

---

[1] محمد الصادق إسماعيل:محمد مهاتير والتجربة الإقتصادية، ص 159-160

[2] اطلعت عليها عند زيارتي لماليزيا، جويلية 2016، وقد انبهرت بجمالها ولفت انتباهي أن كل الأسماء في الإقامات والأحياء الجامعية والأجنحة إما أسماء لسور القرآن أو لأسماء الأنبياء أو لأمهات المؤمنين، كما أعجبتني المكتبة الضخمة المتربعة في وسط الجامعة.

ز-الجامعة الشمالية في ماليزيا U.U.M: أنشئت عام 1984، بها ست مدارس في مختلف التخصصات، ويشترط في الطلاب كفاءات عالية لدخولها.

س-معهد "مارا" للتكنولوجيا I.T.M : يعرف الآن بمجلس أمانة راكيات، وينظم دورات في مجال التكنولوجيا والتجارة والإدارة وبه عدة مراكز.

ص-كلية تنكو عبد الرحمن: K.TAR، أنشئت عام 1969، بها أربع مدارس وقسم للدراسات، وتوفر دورات للتأهيل، وتتلقى معونات وهبات من منظمات، وذوي الإحسان ورجال الأعمال.

ع-البوليتكنيك: توجد ستة معاهد بوليتكنيك، وتجري بها دورات تكوينية في أربعة أقسام: التجارة- الهندسة المدنية، الهندسة الميكانيكية والهندسة الكهربائية.

لقد تعمدت ذكر وتعداد الجامعات لنفهم أن عددها عادي، وربما يوجد في جميع الدول العربية هذا العدد أو أكثر منه، لكن الفرق شاسع بين ماليزيا وأية دولة عربية أخرى، لنستنتج أن العبرة في النجاح ليست بالكم بقدر ما هي مسألة نوعية وكيف، ومسألة الإستثمار في الجامعات والمدارس الذي هو في الحقيقة الإستثمار الناجح في البشر، وما يحققه من النمو الإقتصادي المطرد، وهو دليل على نجاح ماليزيا في تأسيس نظام تعليمي قوي ساعدها على تلبية قوة عاملة ماهرة ومتطورة، ما أتاح لماليزيا سهولة الإنتقال من قطاع تقليدي زراعي إلى قطاع صناعي حديث، حقق تراكما كبيرا من رأس المال البشري الذي هو عمود التنمية وجوهرها.

المطلب الثالث: التقليد، والخصوصية:

1-الحكمة اليابانية:

أدرك محمد مهاتير منذ البداية، ضرورة السعي إلى التغيير والتجدد[1]، استجابة لمتطلبات العيش في واقع عالمي تتسارع وتيرة التحولات الحضارية داخله، ويفرض على الدول والشعوب أحد أمرين، فإما أن يسعوا إلى التغيير والتجدد أو يفرض عليهم البقاء خارج الواقع العالمي الساعي إلى التطور والتوجيه للآخرين، فأراد أن يجد لبلده منظورا جديدا، وإطارا يستوعب خصائص الواقع العالمي الراهن، ويتجاوزه بفرض النمط الحضاري

[1] محمد مهاتير و إيشيهارا نسنتارو: صوت آسيا، ط1 1998، دار الساقي، بيروت، ص22

المراد اتباعه، والمناهج والوسائل الذاتية المؤدية إليه، ليتمكن من إحداث التجديد المطلوب في واقع ماليزيا الثقافي والحضاري بصورة صحيحة وفاعلة.

وإن كان لابد من المحاكاة والتقليد فإنه ليس من الواجب إتباع الغرب شبرا شبرا وهو ما صور سياسته في إتباع النموذج الياباني فيما سماه: "بسياسة النظر شرقا" والتي عرف بها، وقد تبلورت الفكرة في رأسه منذ زيارته إلى اليابان بعد أن غدت قوة صناعية عظمى[1]، وتساءل عن إمكان أن يحدث ذلك مع ماليزيا، ولم لا؟ وهي تنتمي إلى آسيا التي أنتجت نموذجا راقيا في التطور والنهضة، وهو اليابان، ونموذج آخر سائر في الإتجاه نفسه وهو كوريا الجنوبية، ويكون بذلك قد فَنَّدَ مقولة الغرب بالنموذج الأوحد، وهو الحضارة الغربية على أساس أنها النموذج الوحيد للتطور والرقي، وهو الأمر الذي شجع الماليزيين على الإقتداء والتعلم من تجربة معاصرة، والأخذ بالقيم التي ساعدتها على ذلك من أخلاقيات تقديس العمل، وإتقانه للوصول إلى الجودة[2]، وتحولت بها ماليزيا في بداية الألفية الثانية من دولة يعتمد إقتصادها على الزراعة، والتعدين، وتصدير المطاط، وزيت النخيل والقصدير، إلى دولة يقوم إقتصادها على الصناعات التحويلية، وتصدير السلع الإلكترونية، ثم الإنضمام إلى منظمة التجارة العالمية، وغيرها من الإنجازات التي كان من أهم عوامل دفعها، تأثر الماليزيين بالمقاربة اليابانية، وتبني المشروع التنموي وإكسابه بعدا إجتماعيا تمثل في طرح أساليب خاصة لمعالجة الفقر من خلال رصد واقعي، وتتبع منهجي لأسبابه وحالاته، ومقدار انتشاره بين الفئات الإجتماعية المختلفة، وبعد الفقر، يأتي الجهل، وبالقضاء عليه تمكن مهاتير من أحد العوامل التي تهدد الإستقرار السياسي في بلاده، كما تنبه إلى ضرورة إصلاح حال الأسرة الماليزية بصياغة خطط عمل لمعالجة المشاكل الأسرية الناجمة عن الفقر والجهل، ثم الإنتقال إلى نمط معيشة جديد مثل العناية بكبار السن والأرامل والمطلقات، وحماية حقوق الأطفال للوصول إلى مجتمع متماسك وقد توصلت دراسة[3]: "ديفيد هيتشوك" المدير السابق لإدارة شؤون آسيا في وكالة الإعلام

---

[1] محمد مهاتير: طبيب في رئاسة الوزراء، ص199

[2] مدحت أيوب: السياسة الإقتصادية الماليزية، برنامج الدراسات الماليزية، كلية الإقتصاد والعلوم السياسية، جامعة القاهرة 2008، ص 45.

[3] عادل الجوجري: النمر الآسيوي محمد مهاتير، ص 124.

الأمريكية أن القيم الإجتماعية الست الأكثر رواجا بين دول شرق آسيا (وماليزيا واحدة من الدول المستهدفة بالدراسة) هي:

- وجود مجتمع منظم ومرتب.
- ووجود تجانس إجتماعي.
- ضمان محاسبة المسؤولين الحكوميين.
- الإنفتاح على الأفكار الجديدة.
- حرية التعبير.
- إحترام السلطة.

وإلى جانب هذه القيم، تأثر الماليزيون بقيم العمل اليابانية التي ساعدتهم على النجاح، ومنها: الإخلاص والإلتزام بالجودة والمواعيد المحددة للإنجاز والتسليم، وهي قيم تلقى التقديس عند الماليزيين، وهي إلى جانب كونها عنصرا ثقافيا تقليديا مغروسا في المجتمع، ومستقر في وعيه فإنها تمثل منظومة قيمية بنيت وصقلت بعناية شديدة ونجحت في إخراج ماليزيا من الفقر كما نجحت قبل ذلك مع اليابان وكوريا الجنوبية، ونستنتج من هذا أن إيمان محمد مهاتير بالنجاح مرتبط بقناعته الراسخة بأن الحكمة ضالة المؤمن أنى وجدها فهو أولى بها، وهي حكمة حالت بينه وبين الإنبهار الأجوف بالغرب، وإعتباره السبيل الوحيد للنجاح، كما أنه لما حلل مسألة النمو في كل من اليابان وأوروبا، وجدها في أوروبا بطيئة إذا ما قورنت مع قضية النمو في اليابان، ومن ذكائه وعمق تحليله للمسألة إعتباره أن الذين خاضوا تجربة النمو في اليابان مازالوا أحياء، يمكننا الإستفادة منهم مباشرة على عكس الذين خاضوها في أوروبا، ومنذ مائتي سنة تقريبا، فكلهم ماتوا، وهي نقطة هامة جدا لها أثر كبير على عملية الإقتباس والتعلم من هؤلاء أو أولئك.

2- منهج الحياة المستقيم:

ختم الله تعالى سلسلة الرسالات السماوية بالحلقة الخاتمة، وكان محمد صلى الله عليه وسلم خاتم الرسل والأنبياء وحامل النور للبشرية جميعا، بما أنزل الله تعالى عليه من وحي متمثلا في القرآن الكريم وسنته المطهرة، لتكون رسالته الخاتمة عالمية للناس كافة، وإلى قيام الساعة، في وسطية وإعتدال، ومقاصد تتلخص في تحقيق مصالح الإنسان في العاجل والآجل، لتحمل الخير والصلاح، والمنهج القويم الذي تستقيم به الحياة، وقد تحقق ذلك في الجيل

الـذهبي الأول الـذي تـربى بهـدي القـرآن، وتمثـل الـدين في ميـادين الحيـاة المختلفـة وعـاش أحكامـه وتفاصـيله، ووصـل بـه إلى السـيادة والإسـتخلاف في الأرض لينتشـر العـدل، والصـلاح في أي مكـان يصـل إليـه، وولـدت الحضـارة الإسـلامية منـذ أن نـزل الـروح الأمـين – عليـه السـلام- على قلـب محمـد ﷺ وقـال لـه يـا محمـد "إقـرأ" وانطـوى بهـا جهـل العـرب، وتشرذمهم في مكة ثم المدينة ثم معظم بقاع الأرض.

واليـوم نلاحـظ غـير ذلـك، أمـة "مسـلمة" هـي أفقـر الأمـم وأضـعفها وأهونهـا في الأرض، والسـبب بكـل بسـاطة، أنهـا أمـة فقـدت فاعليـة العقيـدة في حياتهـا، وتغـير دور الـدين وتعاملهـا معـه كمـنهج للحيـاة، وغـاب عنهـا الفهـم الصـحيح للقـرآن فتحققـت نبـوءة الرسـول ﷺ في الحـديث الـذي رواه زيـاد بـن لبيـد –رضـي الله عنـه- حيـث يـروي عـن النـبي ﷺ أنـه قـال: "وذاك حـين يُرفـع العلـم. فقلـت: يارسـول الله وكيـف يرفـع العلـم ونحـن نقـرأ القـرآن ونقـرؤه أبناءنـا وأبناؤنـا يقرئـونهم أبنـائهم إلى يـوم القيامـة، قـال: ويحـك يـا ابـن لبيـد القيامـة ، فقـال : ثكلتـك أمـك يـا ابـن لبيـد، أن كنـت لأراك مـن أفقـه رجـل بالمدينـة أو لـيس هـذه اليهـود والنصـارى يقـرأون التـوراة والإنجيـل ولا ينتفعـون ممـا فيهمـا بشـيء"[1]، والحـديث يصـور حـال الأمـة الإسـلامية اليـوم، وهـي تتبـاهى بكثـرة قـارئي القـرآن وكثـرة حفاظـه، لكنهـا تغفـل فهمـه وتطبيقـه وإلتـزام أوامـره وإجتنـاب نواهيـه في الحيـاة كلهـا، بينمـا في عصـر الإزدهـار الـذي صـنعه جيـل الصـحابة كانـت الأولويـة لفهـم القـرآن وإدراك مقاصـده، والعمـل بكـل مـا جـاء فيـه، ولـيس الحفـظ والتكـرار الـذي طغـى في عصـر تراجـع الأمـة الحضـاري بغلبـة منهـاج الحفـظ، والمفـاخرة بكثـرة المحفوظـات، والإحتفـال بحفاظـه[2]، وقـد أصـبح مظهـرا سـلبيا، لأن الحفـظ النـافع، والمتمثـل في إحيـاء النفـوس وتعميرهـا بـالقرآن فعـلا وتطبيقـا وفهمـا لمقاصـده وتحقيقـا لعمـارة الأرض بـه، أمـر غائـب في حيـاة المسـلمين، والمطلـوب هـو عـودة "الإحيـاء القـرآني" إلى دوره المـؤثر في المسـلم، ليتبـوأ دور الموجـه والمقـوم للسـلوك، والباعـث علـى إسترجاع دور الشهادة على الناس، والأخذ بيد الأمة للنهوض من جديد.

وقـد أدرك مالـك بـن نـبي دور الـدين في تكييـف وإشـراط المسـلم ليسـتأنف دورة حضـارية جديـدة، حيـث بـين أن إنسـان مـا بعـد الموحـدين، لم يتخـل في الحقيقـة عـن عقيدتـه

[1] سنن الترمذي: كتاب العلم، باب ما جاء في ذهاب العلم، رقم الحديث 2653،ج3، ص58-59

[2] محمد عمارة: فقه الحضارة الإسلامية، ص 43.

لكن عقيدته تجردت من فاعليتها، لأنها فقدت إشعاعها الإجتماعي فأصبحت جذبية فردية[1]، بينما يريدها مولدا للطاقة اللازمة لإنطلاق شرارة الحضارة من جديد.

وهو الأمر ذاته الذي أدركه محمد مهاتير، حين توصل بعد نظر وتدقيق إلى أن ما تعانيه الأمة من تشرذم وضعف، سببه الرئيسي هو سوء فهم الإسلام[2] الذي أدى إلى حصره في مجرد طقوس وعبادات فردية يقوم بها الإنسان ليتجنب غضب الله وينال الجنة في الآخرة، الأمر الذي صرف همة المسلمين عن النظر و طلب العلم الذي كان أول ما نطق به جبريل -عليه السلام- في غار حراء، وحصر غاية التعلم في أمور الفقه والعبادات وإهمال الفقه الحقيقي الذي يثمره فهم القرآن وتنزيله في حياة الناس، لتتغير به أوضاعهم ويغير الله بذلك أحوالهم، ورأى أن الحل هو عودة القرآن الكريم إلى مهمة قيادة المسلمين نحو العلم بسنن الآفاق والأنفس، ووجوب إلتزامهم بقيمه وتعاليمه في العمل وإكتساب المهارات في الطب ، الهندسة ، الفلك والصناعات المختلفة مع الحرص على أداء الفرائض كلها وإجتناب المحرمات جميعا، لكن الإكتفاء بجانب على حساب آخر، سيحدث الخلل ويؤدي إلى ما تعيشه الأمة من وضع خطير.

ومن المؤكد أنه تعلم في الطب تفسير كل شيء بطريقة منطقية، وبأن الأمراض تنجم عن كائنات عضوية تتسبب في اعتلال جسم الإنسان، وكي يبرأ هذا المريض لابد من وصف دواء يعالج العلل الموجودة، مع التوكل على الله وطلب الشفاء له، بعد الأخذ بأسباب البرء، لكن هل يكفي أن نجلس أمام المريض ونبقى نضرع إلى الله أن يشفيه دون أن نعمل أي شيء؟ إنه أمر غير معقول، والله تعالى يقول: ﴿ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ﴾[3]، وفي آيات كثيرة من القرآن الكريم يأمرنا بإتخاذ الأسباب و تقديم الإعداد والأخذ بمقدمات النجاح في أي عمل، ثم التوكل على الله بعد العزم كما أمرنا جل جلاله.

إنه الأمر الذي استرشد به محمد مهاتير وهو يبني سياسته، ويخططلقيادة بلاده إلى التقدم والخروج بها من الفقر والتخلف، وأدرك أن الإسلام منهج قويم لحياة كريمة وآخرة طيبة، وأن العلم قوام الدين وفريضة من فرائضه، والأمة الإسلامية حين فهمت حقيقة هذه

[1] مالك بن نبي: وجهة العالم الإسلامي، ص 54.

[2] محمّد مهاتير: الموسوعة، الإسلام و الأمّة الإسلاميّة،المجلد1، ص280.

[3] سورة آل عمران، الآية: (159)

الفريضة قامت حضارتها، وحين تراجع المد العلمي فيها تراخت حضارتها وهي الآن تعيش معضلة في الوقوف بين تيار الماضوية، والتغني بأمجاد الأجداد، وتيار الإستلاب والتغريب الذي يمجد الحضارة الغربية، ويقدس المادة، وبين التقوقع والإستلاب ضاعت الأمة وتراجع دور المسلمين في الحياة[1] ، من هنا رأى أنه من اللازم إذا أراد بعث الحياة في الملايويين ودفعهم إلى النهوض، أن يحى فيهم ارتباطهم بالإسلام الصحيح، ورجوعهم إلى القرآن الكريم، وفهمه وإدراك أحكامه، وتطبيقه كمنهج كفيل بحل مشكلات العصر كلها[2]، ودعا أيضا إلى تفعيل القيم الإسلامية لتناسب متطلبات وروح العصروليقع التفاعل بين أحكام الإسلام وقيمه وأخلاقه، وبين واقع الملايويين وهم يتطلعون إلى غد أفضل، ومستقبل مشرق وهو بهذا يردد مقولة أنه لن يصلح آخر هذه الأمة إلا بما صلح به أولها.

وله فهم عميق للجهاد حين يعتبر الجهاد الحقيقي، هو جهاد المسلم لرفع الغبن والتخلف عن أمته، وتحقيق الوحدة بين أبنائها، والسعي لإكتساب فنون الحكم والإدارة وتحصيل أصناف المعرفة كلها، والتسلح بالمهارات العلمية أينما كانت ومن أي وعاء خرجت، والإحاطة بالعوامل الكفيلة بإعادة الثقة للمسلمين في أنفسهم وفي قدراتهم للمساهمة بفاعلية في إعادة إنتاج الحضارة من جديد.[3]

ويركز دوما على ضرورة فهم القرآن الكريم فهما مقاربا للواقع، وتنزيل أحكامه على معطيات الزمان والمكان المتغيرين، كما يحث على إستنباط ما في القرآن من خير وتفعيله في حياتنا اليوم، وإخضاعها لأحكامه، بمنظور معاصر، ومعطيات توجب أخذ المشاكل المتنوعة والمتعددة بعين الإعتبار.

ورغم أن الإسلام هو الدين الرسمي لماليزيا، وهي مادة من مواد دستورها إلا أن مهاتير لا يريدها مجرد قول، بل يطلب أن تكون ممارسة، وأن تتحقق عدالة الإسلام في الحياة، ويعم العلم النفوس ليخرجها من الظلمات إلى النور وأن تسود الرحمة والخير والأخوة والسلام بين الناس، وهو بهذا يثبت أنه رجل أفعال لا رجل أقوال، ورجل تطبيق، يسارع الزمن، ويثقل كاهله حمل بلاده وحمل الأمة الإسلامية التي تمتلك قوام النهوض، ومتطلبات الانبعاث الحضاري لكنه لم يتحقق لها بعد بسبب كثرة الموانع والمعوقات، وعلى رأسها

---

[1] محمد باباعمي: القاموس الحضاري للمجدد محمد مهاتير، ص 50.

[2] محمّد مهاتير: الموسوعة، الإسلام و الأمّة الإسلاميّة،المجلد1، ص 286.

[3] المصدر نفسه ، ص 79.

الفهم الساذج للقرآن وفضل العلم فيه على العمل، بينما حياة الدين تكمن في تطبيق آياته وأحكامه، وجموده يكمن في أتخاذنا شعارات جوفاء يتغنى بها الجهال لحقيقة محتواها وقدرتها على تغيير التاريخ من حولهم.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

المبـحث الثاني

المظـهر الاقتصادي

سنحاول في هذا المبحث استعراضمظهر آخر لمظاهر الإنبعاث الحضاري في ماليزيا، وهو الجانب الإقتصادي.

المطلب الأول: السياسة الاقتصادية الجديدة :

1-التمكين الاقتصادي:

تحولت ماليزيا في عهد محمد مهاتير من دولة يعتمد إقتصادها على الزراعة وتصدير المطاط، وزيت النخيل، والقصدير، إلى دولة صناعية، غنية بثراء إقتصادها وتنوعه، بين الصناعات التحويلية، والإلكترونية والكهربائية، وكذا النفطية، مع مراعاة ضرورة التنمية البشرية، وتحقيق الهدف الإستراتيجي المتمثل في تحقيق العدالة والمساواة بين افراد الدولة الماليزية، وتحسين المستوى المعيشي لهم من خلال النمو التقدم الإجتماعي والإقتصادي.

وقد إرتكز التمكين الإقتصادي في ماليزيا على السياسة الإقتصادية الجديدة التي هدفت إلى: تمكين الملايويين وهم السكان الأصليون من الأراضي والمشاريع الكبرى في البلاد، وإمتلاك أكبر عدد من الأسهم حتى لا تطغى عليهم الأعراق الأخرى كالصينيين والهنود ، ويتقهقروا إلى مواطنين من الدرجة الثانية وبدأ هذا التمكين بأول خطوة يعتبرها الدارسون خطوة إستراتيجية إنتقلت فيها الإستراتيجية التنموية[1] من الإستيراد، والذي كان في العهد الإستعماري ما يعتمد عليه إقتصاد ماليزيا ذلك الوقت، وهي إستراتيجية لم تحقق أية أهداف تنموية، ولا أي إرهاص للتطور والنمو، نتيجة لمحدودية السوق وقلة العرض والطلب، وما يتبعهما من ضعف الطلب على العمالة مما يعني إرتفاع معدلات البطالة لتنتقل إلى الإستراتيجية الجديدة، القائمة على الإعتماد على القطاع العام[2] بشكل أكبر لتتوجه بعد ذلك إلى التصدير، ما يعني التركيز على الصناعة والتصنيع، والتي أسهمت في توسيع السوق بشقيها المحلي والخارجي، كما بدأ الطلب على اليد العاملة، خاصة إذا عرفنا أن أهم القطاعات وأكثرها إنتعاشا مع هذه البداية، قطاع الصناعات الإلكترونية وما يمتصه من معدلات البطالة،

[1] محمد الصادق إسماعيل:محمد مهاتير والتجربة الإقتصادية، ص 50.

[2] محمّد مهاتير: طبيب قي رئاسة الوزراء، ص456.

مع التركيز على تحسين إنتاجية العمل وتحسين توزيع الدخول والثروات، لتحقيق العدالة الإجتماعية وهي أهم عوامل الإستقرار المشجع على العمل والإنتاج.

وإذا اعتبرنا تغيير السياسة الإقتصادية الماليزية، انفتاحا، لابد من الإشارة إلى أنه إنفتاح تتحكم فيه الدولة وترعاه[1]، ويسمح لها ذلك بالمراقبة ضمانا لتنفيذ المخططات والوصول بها إلى الأهداف المحددة.

والملاحظ في هذه الخطط وأهدافها، الجرأة التي تميز بها مهندس النهضة الماليزية محمد مهاتير، حيث أدرك بعمق نظره أن العالم يتقدم ويشهد ثورة علمية تكنولوجية كاسحة، ورغم ما نعانيه من مشاكل، وفقر وتخلف، إلا أن هذه الثورة التي يوجهها الغرب جديدة بالنسبة للدول الغربية المتقدمة كما هي بالنسبة لنا، ما داموا يتلمسون طريقهم إليها، ويطورون قدراتهم ومهاراتهم للريادة في مجالاتها المختلفة، لذلك فإن أمامنا فرصة لا تعوض كي نستغلها في اختصار المراحل، والمرور إلى عصر المعلومات مباشرة بالقفز على عصر الثورة الصناعية، ومنها إلى العالم المفتوح، لنكون معهم في نفس المستوى، ونتكيف مع المتغيرات كما تكيف معها المسلمون الأوائل، وتمكنوا من بناء صرح حضاري عتيد لأننا إذا ما قمنا بتوظيف جميع الطاقات والخبرات والمهارات المتاحة لنا، فإننا لن نستطيع البقاء فقط، بل إننا سنلعب دورا في توجيه استخدامات هذه التقنيات والمفاهيم.[2]

كما أن مهاتير جمع بين وضع إستراتيجيات جديدة لضمان النمو الإقتصادي لبلاده، وبين التركيز على فتح باب التعاون الإقتصادي الإقليمي وتطوير طبقة رجال الأعمال الماليزيين من ذوي الأصول الملايوية.

وكان أيضا أكبر عامل ساعد التجربة التنموية الماليزية على النجاح، هو جَعْلُهَا الإنسان محورا للنشاط التنموي وأداة له، والتأكيد على ضرورة التمسك بالقيم الأخلاقية وتحصيل العلم النافع في كل المجالات، لتحقيق نمو متوازن ومتكامل، يسعى إلى تحقيق التنمية البشرية الضرورية لأي نهوض، وهو نتيجة منطقية لحسن التخطيط وبعد النظر الذي تميزت به القيادة الماليزية، حيث أدرك محمد مهاتير أن استبعاد الإنسان من تخطيط النهوض سيؤول حتما إلى

[1] عادل الجوجري النمر الآسيوي، محمد مهاتير، ص69

[2] محمد مهاتير: الموسوعة، الإسلام والأمة الاسلامية، المجلد1، ص 157

الفشل مادام العنصر الأهم الذي تنطلق أي نهضة به، ومن أجله وتكونغايتها في النهاية تحقيق خيره ورفاهيته.

2- النظر شرقا:

إن وجود المثل الأعلى في أي عمل صغيرا كان أم كبيرا هو عامل من عوامل النجاح، لأن العمل يتولد من إتحاد القدرة والإرادة[1]، والإرادة هي التي توجه العمل، والقدرة يكون لها التنفيذ بما يتناسب والعمل، إذ أن الإرادة باعث باطني يتولد عند الإنسان متى عرض له مثل أعلى، يقبله عقله، وتقوم لديه الشواهد على صحته، فيسعى في طلبه، لتنشأ عنه الحركة المثمرة للتغيير والمولدة للإبداع، ومنه نفهم لماذا يلوم القرآن الكريم الذين يفقدون الإرادة ويعذر من يفقدون القدرة كما في قوله تعالى ﴿وَلَا عَلَى الَّذِينَ إِذَا مَا أَتَوْكَ لِتَحْمِلَهُمْ قُلْتَ لَا أَجِدُ مَا أَحْمِلُكُمْ عَلَيْهِ تَوَلَّوْا وَأَعْيُنُهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ حَزَنًا أَلَّا يَجِدُوا مَا يُنْفِقُونَ (92) إِنَّمَا السَّبِيلُ عَلَى الَّذِينَ يَسْتَأْذِنُونَكَ وَهُمْ أَغْنِيَاءُ رَضُوا بِأَنْ يَكُونُوا مَعَ الْخَوَالِفِ وَطَبَعَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾[2] ليكون الضعفاء والمرضى والفقراء من الذين عفا الله عنهم بصريح الآية، لأنهم فقدوا القدرة، أما إرادتهم فهي التي جعلتهم يقصدون الرسول صلى الله عليه وسلم ويطلبون منه إشراكهم في صفوف المجاهدين بأنفسهم، لكن اللوم وقع على من ملكوا القدرة وفقدوا الإرادة الصادقة والرغبة في الجهاد في سبيل الله، وستبقى المسؤولية ملقاة على عاتق المسلمين القادرين القاعدين[3].

والحديث عن الإرادة منطبق على الشعب الياباني الذي خرج من أطلال الحرب بسرعة عجيبة نحو تحويل ركام التفجير إلى ورشة أو مصنع عملاق قادر على إنتاج جميع أنواع السلع، مع دعم إقتصاد البلاد من خلال سياسة التصدير[4] ما جعل القيادة الماليزية متمثلة في محمد مهاتير تقدر هذا النموذج البديل للنموذج الغربي، وهو استنتاج مبني على حصافة وبعد نظر، بناه صاحبه على الواقع الميداني، إذ قام مهاتير بزيارة اليابان وأخرى إلى أوروبا، وكلاهما يحاول محو أثار الحرب العالمية الثانية، وأدرك سرعة الإنجاز الياباني في مقابل بطء الإعمار الأوروبي عامة، ثم في المقارنة بين الطلاب الملايويين الذين تكونوا في الجامعات اليابانية، والطلاب

---

[1] جودت سعيد: العمل قدرة وإرادة، ط2، 1414هـ-1993م، دار الفكر، لبنان، ص 101

[2] سورة التوبة، الآية: (92-93)

[3] جودت سعيد: العمل قدرة وإرادة، ص102.

[4] محمد مهاتير: طبيب في رئاسة الوزراء، ص 200

الذين تكونوا في أوروبا إذ كان البون شاسعا بين العينتين ورغم أن كلا منهم تعلم وبرع في مجالات مختلفة إلا أن الذين قصدوا اليابان تعلموا التفاني والإجتهاد في العمل لتأثرهم بالقيم اليابانية في إتقان العمل والوصول إلى الفعالية والإبداع ما جعل مهاتير يزداد إعجابا باليابانيين، ويتمنى أن يستطيع الملايويون التشبه بهم في اجتهادهم في العمل والابتكار والتصميم الأمر الذي سيجعل ملايا بلدا عظيما.[1]

ومادامت الحضارة مشتركا إنسانيا، قائما على الإفادة والإقتباس، لم يتردد محمد مهاتير في الإستفادة من الغير، سواء من الغرب أو الشرق، ثم إضافة الحضور الذاتي في تجارب الآخرين، وهو التقليد الإيجابي الذي يحث عليه القرآن، فنقتبس من تجارب الغير مواطن النجاح لنعمل بها ونطورها بإضافة إبداعنا لها، وكذا مواطن الخطأ لنتجنبها ولا نقع فيها نحن فنعفي أنفسنا تكرار الأخطاء وتكرار دفع الثمن، وفي ذلك يرى مهاتير أن الماليزيين لا يخجلون من الإعتراف بالإستفادة من الآخر، وأخذ تجربته الناجحة وكيفها مع الواقع الماليزي وخصوصيته، للخروج بالقرارات الصائبة والإنطلاق منها نحو تغيير الواقع إلى الأحسن.

وأكثر ما أبهر مهاتير لما زار اليابان، شبكة السكك الحديدية، ونظام القطارات المتطورة، "كالقطار الرصاصة"*، والحركية الكبيرة التي تشهدها محطات القطارات في طوكيو وأعدادها الكبيرة، يقول أنه بقي مندهشا من خدمة القطارات في اليابان، وقد سحره منظر القطارات والديناميكية الكبيرة في المحطات المختلفة، ورؤية عشرات القطارات في الإتجاهين بتفوق لم تلحق إليه دول أوروبية كثيرة حاولت تحديث شبكات سككها الحديدية، وهو الإنطباع الذي جعل مهاتير لقوة التأثر به، يسعى بعد توليه رئاسة الوزراء، إلى تحديث جوانب كثيرة في بلاده، منها السكك الحديدية، بإنشاء خطوط متعددة، يقول: «عندما عدت من رحلاتي إلى اليابان وأوروبا إمتلأ ذهني بالأفكار وجلبت معي طاقة وروحا وحماسة جديدة »[2] ليحققها عندما يصبح رئيسا للوزراء فيما بعد، وعينه على الشرق ترقب اليابان وكوريا الجنوبية، والأخرى في الغرب تأخذ من كل نجاح قسط، ومن كل تجديد قبس.

والملاحظ أن "سياسة النظر شرقا" لم تكن مجرد تحمس لنجاح الأشقاء الآسيويين بل سياسة فرضت نفسها، وفتحت الطريق واسعا أمام الملايويين بقيادة مهاتير إلى إدراك النجاح،

---

[1] محمد مهاتير: طبيب في رئاسة الوزراء، ص 201.

* سمي كذلك لسرعته الفائقة، ويعرف في اليابان بـ: الشّينكانْسِنْ، محمد مهاتير طبيب في رئاسة الوزراء، ص202

[2] المصدر نفسه، ص206.

كما نجحت هذه التجارب الفتية بإرادة قوية، ويستدل مهاتير بتضحية الشعب الياباني في سبيل بناء بلاده وقيامها بعد جرائم التفجير، وتهور السير وراء ألمانيا في الحرب العالمية، لكن قيمهم الوطنية والعلمية، وتفانيهم الكبير مكنهم من التعافي من آثار الهزيمة بسرعة فائقة، ويروي ما كتبه "أكيو موريتا" في كتابه "صنع في اليابان" "Made in Japan" [1] حكاية تأسيس شركة "سوني" "Sony" وكان ذلك في السنوات التي أعقبت الحرب، حين كان العمال اليابانيون يعملون مقابل كوب الأرز مع شيء من "صلصة الصويا"، لأنهم عرفوا أن بلادهم منهارة، وعليها إعادة بناء صناعاتها، فتجردوا من ذاتيتهم وأعطوا دون مقابل، وبسرعة إنطلقت الآلة الصناعية فيها، وكان المكسب خروج اليابان من معاناتها، ما يعني توفير حياة أفضل لأبنائها، وإنتشار الرخاء في بلادهم، واليوم يتقاضى الياباني أجرا هو من أكبر الأجور في العالم.

إن كان مهاتير على صواب حين توجه شرقا نحو اليابان وكوريا، بواقعية وإقرار بالنجاح[2] في تنمية الإنسان هناك، لأنه محور الحضارة وصانعها في آن واحد، وكان استثمارا ناجحا، أفادت منه ماليزيا للنهوض بالفرد المالايوي، والحرص على تعليمه وحسن تدريبه ليفعل هو أيضا، ويوجه أحداث بلاده وأحداث العالم، كي يكون بحق نموذجا يستحق الإعجاب والإقتداء به في التفكير الجاد في حل المعضلات، وتتبع الحال بالنقد، والتجريب حتى إدراك الغاية التي سُطِّرَتْ، ولابد من أن يتحقق لها النجاح بوعد الله تعالى في قوله ﴿ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آَمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا وَمَنْ كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾[3] وفعلا تبدلت أحوال الماليزيين من الفقر، والجهل، والخوف، إلى الإزدهار، والتطور، في مجالات الإستثمار في الآفاق والأنفس، وتبدو حنكة محمد مهاتير في التركيز على رأسمال الحضارة وهو الإنسان فخصصت السياسة الحكومية أكبر قدر من ميزانيتها ليصرف على التعليم، والبحث، وتطوير البنى التحتية للدولة وتقديم الرعاية للفقراء والإهتمام بصحة الفرد الماليزي حتى يقوى على العمل والجد والنشاط، وكان آخر إهتمامها الإنفاق على السلاح والجيش والعتاد الحربي إذ نجد أن ما تنفقه ماليزيا على التعليم يبلغ عادة ثلاثة أضعاف ما ينفق على الجيش والدفاع، ففي سنة 2007 بلغت ميزانية التعليم نحو 34,33 مليار زنغيت ماليزي، فيما

[1] محمد مهاتير: طبيب في رئاسة الوزراء ، ص442.

[2] المصدر نفسه، ص462.

[3] سورة النور، الآية: (55)

بلغ الإنفاق على السلاح نحو 13,36 مليار زنغيت ماليزي[1]، وفي سنة 2011 بلغ ميزانية التعليم نحو 40,13 مليار زنغيت ماليزي فيما بلغت ميزانية الدفاع والجيش حوالي 14,04 مليار زنغيت ماليزي.

نلاحظ من هذه الإحصائيات وغيرها عقلية ترتيب الأولويات عند مهاتير ، ورؤيته الثاقبة في إعطاء الأهمية للإنسان وليس السلاح، لأن السلاح الفتاك في يد جائع أو جاهل، أو ضعيف لن يزيده إلا ضعفا وتخاذلا، أما المتعلم المزدهر، والعامل الدؤوب فإنه محصن بسلاح العلم وسلاح العمل ومادام غير محتاج فإن استلابه صعب ، وقناعته بوجوب تطوير بلاده والتقدم بها نحو الخير، والرفاه تدفعه إلى التضحية بجهده ووقته وأشياء كثيرة من أجل بلوغ هدفه، وخير مثال اليابان إذ لم ينفق هذا البلد على التسليح أكثر من 1% من ميزانية إلا أنه زاحم الغرب وغزاهم في بلدانهم بصناعته، وتكنولوجياته العالية من ناحية الجودة والسعر والتفوق، وهو أحد أسباب سياسة محمد مهاتير في النظر إلى الشرق " the look east"، وإتخاذ اليابان وكوريا الجنوبية والدول الآسيوية الأخرى التي سلكت طريقها نحو التصنيع والتقدم، قدوة.

3-معادلة الكل يكسب:

إن الشراكة بين الشعوب والدول في مفهومها الصحيح، تبادل، يكسب منه كل طرف ما يحتاجه ويعود عليه بالخير، وهو المعنى الذي يكرسه الإسلام لمفهوم الشركة والذي قيدته الشريعة الإسلامية بالنفع لجميع الأطراف، وتحقيق الخير لهم.

والغرب أيضا يتكلم عن الشراكة، وتتشدق كثير من دوله بأنها تعتبر الدول النامية شريكة مميزة، لكن في حقيقة الأمر، تتميز هذه الشراكة بالمنطق الغربي أنها إغناء لهم وإفقار لشركائهم والأمثلة كثيرة في ذلك، لأن المنطق هو الربح على أساس إفقار الآخرين[2] وتحقيق المصالح على حساب الآخر دائما، وهي لعبة منتهجة لاستبدال الإستعمار بالأسلحة بالإستعمار الإقتصادي، وتقوم هذه اللعبة على مباراة ذات ربح معدوم، أي طرفا اللعبة يكون أحدهما فائز بالضرورة ليكون الآخر خاسرا، وهي لعبة لا يوجد فيها ربح في الحقيقة لأنها حين نجمع الناتج لا نجد ربحا، بل نجد انتقال أو تحويل ما لدى طرف إلى الطرف الآخر.

---

[1] محمد مهاتيرو ايشيهارا نسنتارو: صوت آسيا، ص87

[2] محمّد مهاتير:الموسوعة،العلم و التكنولوجيا وحقوق الانسان،المجلد 7 ، ص7.

هذه هي قاعدة التجارة بين الدول، والأساس فيها تحقيق الربح على حساب الآخر[1]، ولابد من أن يخسر الآخر لأغتني أنا، مادام الربح مجرد انتقال من طرف إلى طرف، لتكريس منطق الهيمنة ولو بطريقة غير مباشرة، إنما المهم هو إيجاد مصادر تموين وفي الوقت ذاته تكون أسواقا تروج فيها سلع الدول المصنعة والمتطورة.

وبالرجوع إلى نشأة الرأسمالية[2]الغربية نجد أن أهم عواملها السيطرة على موارد العالم الطبيعية، والمتمثلة في اليد العاملة المضطهدة لإقامة الأعمال الشاقة في مشاريع الثورة الصناعية في أوروبا، ما ساعد على تفقير المستعمرات، وإضطرارها إلى فتح إقتصادها أمام الشركات متعددة الجنسيات، وكذا أسواقها لإستهلاك ما يفرض عليها، وإيهامها بعملية تحضيرها بتكديس منتجات الحضارة، وتشجيع شعوبها على الإستهلاك المحموم من تكنولوجيا، إلى سيارات، إلى ميترو الأنفاق إلى الطائرات إلى السلع الترفيهية، والدواء والغذاء وكل ما يذر الأرباح الطائلة على الدول المستعمِرة، وسعيها المتواصل إلى إستمرار تبعية ما تسميه بالدول النامية أو السائرة في طريق النمو ، وهي في الحقيقة سائرة في المزيد من التخلف والتبعية، وإلى درجة الجمود الإقتصادي، وما ينتج عنه من عدم الإستقرار السياسي[3]،والذي أيضا يخدم الدول الإمبريالية، ويزيد من فرص ربحها واستثماراتها في السلاح والدواء والإستمرار في إشعال فتائل النزاع هنا وهناك، لنستنتج في النهاية أن الثورة الصناعية[4] في أوروبا ولدت نتيجة الإستعمار والنهب الأوروبي لمستعمراتها في أمريكا وإفريقيا وآسيا، لتنتقل بعد إستقلال المستعمرات إلى الشراكة القذرة التي ما هي إلا إمتداد للإستعمار والإستنزاف المادي والمعنوي لدول العالم الثالث، التي دخلت معظمها مرغمة في اللعبة الأوروبية.

لكن من الدول الفقيرة التي نادت بشراكة نزيهة مبنية على سياستي "الكل يربح" وكذا "لا تفقر جارك" ماليزيا التي آثر قائد نهضتها أن يكون مشوار الألف خطوة بخطى نزيهة،

---

[1] محمّد مهاتير: الموسوعة،العلم و التكنولوجيا وحقوق الانسان،المجلد 7 ، ص13.

[2] أندرو ويبستر: مدخل لسوسيولوجية التنمية، ت: حمدي حميد يوسف، ط1، 1986، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، ص 88.

[3] مريم أحمد مصطفى: قضايا التنظير للتنمية في العالم الثالث، دط، 1986م، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، مصر، ص 22

[4] محمد نصر عارف: نظريات التنمية السياسية المعاصرة، ط4، 1427هـ-2006م، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، مكتب بيروت ص 219.

وطريق النمو والإزدهار واضح مبني على الإعتماد على النفس، والشراكة الذكية التي يعتبرها مقاربة مربحة للجميع، للدول الغنية من حيث كونها وجدت في ماليزيا مجالات واسعة للإستثمار، ولماليزيا التي لم تتقوقع على نفسها، بل دعت المساهمين الأجانب لمزيد من الشراكة، بتقديم العمالة الرخيصة، والحوافز السخية، والأرضية الملائمة لمختلف أنواع النشاط، في جو من الإستقرار السياسي، دون إهمال عامل آخر مهم في التحفيز على هذه الشراكة، وهو تكاليف المعيشة المنخفضة في ماليزيا التي فتحت أبوابها للجميع ضمن سياسة واضحة، ومعاملة نزيهة، وكان أكثر المتعاملين هو اليابان والمحصلة النهائية تمثلت في إستفادة الجميع، من إزدهار ورفاه لماليزيا، ومزيدا من الربح للأجانب،[1] ليتضح أنها سياسة ذكية ونزيهة، يعم بها الخير و الرفاه كل الأطراف وفي حقيقة الأمر هي من تأثير الفهم الصحيح، و النظر العميق في القرآن الكريم، في فكر مهاتير الذي أدرك أن الله تعالى خلق الخيرات لعباده، وسخر لهم الطيبات ليكون التمتع بها من حظ كل مجتهد كما أن حث الإسلام على التعاون، وحب الخير للإنسان يجعل أنتهاج سياسة الكل يربح "win to win" سياسة إسلامية، نادى بها رسول الله – صلى الله عليه وسلم– في دعوته إلى الناس بالتآخي و التحاب، وقضاء حوائج الناس وغيرها من الفضائل الإسلامية، التي تمثلها محمد مهاتير في سياسته ونجح بها في جلب الخير لبلاده، وجلب الخير لجيرانه ولكل من يتعامل معهم.

المطلب الثاني: التخطيط أساس النجاح

1- آفاق و تحديّات:

إن نجاح السياسات التنموية مرهون بعوامل هامة لابد من توافرها فيها، أبرزها عامل التخطيط وإيجاد رؤى إصلاحية طويلة الأمد، يلتزم صناع القرار فيها بالإنجاز وفق المراحل المتتالية، لتحقيق هدفين في آن واحد، الأول تحقيق إطمئنان الشعوب على سلامة وصحة مسار حكامها، والثاني اجتناب الشعارات الفارغة، وتحويل الرؤى إلى برامج عملية جادة في إطار نظرة إستشرافية تصنع أهدافا، تتحول إلى تحديات تتطلب المواجهة والإنتقال إلى التحقيق.

وتجدر الإشارة إلى أن الدراسات الإجتماعية التي تتناول السياسات التنموية المختلفة التي ينحو بها أصحابها في مجملهم إلى تمجيد أنماط التنمية التي نشأت وتبلورت

[1] محمد مهاتير: الموسوعة، العلم و التكنولوجيا وحقوق الانسان،المجلد 7، ص8.

في المجتمعات الغربية [1]، على أنها مسلمات لا تتحقق أية تنمية عندنا إلا على أساسها وينسون أنها تشكلت في ظروف تاريخية، وحضارية مختلفة تماما عن ظروفنا، ما يحتم علينا أن نقف منها موقف الإنتقاء، نأخذ ما نقدر أنه نافع، ونحاول إخضاعه لخصوصيتنا وقيمنا ومرجعيتنا.

وهو أمر تنبه إليه محمد مهاتير [2] حين قدم تقرير "الرؤية 2020" في أول إجتماع للمجلس المهني الماليزي يوم 8 شباط/ فبراير 1991، لتكون استشرافا لماليزيا بعد ثلاثين سنة، و تصبح حينها دولة راقية، سياسيا، وإجتماعيا، وثقافيا، ضمن خلفيتها الثقافية الإسلامية، وفي إطار الحضارة الإسلامية، والخصوصية الآسيوية، لا بتقليد الآخرين –أي الغرب– وخسارة الذات الماليزية الآسيوية المسلمة العريقة، ولأنه رجل تنظير، بخلفية طبيب اكتسب مهارة التشخيص والعلاج ومهارة التفكير البعيد، حدد محمد مهاتير تسعة تحديات، وألزم نفسه وسياسته والماليزيين، بتجاوزها إذا كانوا فعلا يريدون تحقيق التقدم وبلوغ الغاية من الرؤية "2020" ، والتحول الملايوي، من العفوية الريفية، إلى المعطى الحضاري الإسلامي، في السياق الآسيوي، بقدر عال من التفاعل والإنفتاح والحركية ضمن برديم ماليزي بديل.[3]

وقد بين محمد مهاتير التحديات قائلا: "وبالجملة حددتُ تسعة تحديات توجب علينا مواجهتها، ومع أنه ليس فيها تحد جديد، فقد باتت تستلزم عناية مركزة الآن إذا كنا ننوي التقدم نحو تحقيق هدفنا"[4]وهي :

التحدي الأول: بناء دولة ماليزية موحدة

قد يكون عامل العرق بموروثه القيمي أساسا للمجتمع، كما يكون عامل الوطن والإنتماء أساسا آخر، وتدل الإستنتاجات أن الأساس الأول قد يكون عاملا للتناحر والخلاف داخل المجتمع، على خلاف الأساس الثاني الذي قد يكون عاملا للتوحد داخله، وما يحدد كلا من النتيجتين، هي العوامل المساعدة على إثارة النعرات العرقية، والخلافات

[1] محمد نصر عارف: نظريات التنمية السياسية المعاصرة، ص 191

[2] محمد مهاتير: طبيب في رئاسة الوزراء، ص702-703-704-707-708.

[3] محمد مهاتير وإيشيهارا نسنتارو: صوت آسيا، ص 22.

[4] محمد مهاتير: طبيب في رئاسة الوزراء، ص703-704

المبنية على الحساسيات، أو العوامل المساعدة على لم الشمل والإنطواء تحت لواء الولاء للوطن وللإنتماء.

في حالة ماليزيا ، وهي دولة متعددة الأعراق، تحققت النتيجة الأولى والثانية، الأولى إبان الحقبة الإستعمارية[1]، إذ حاول البريطانيون عزل المالايو وجلب الصينين والهنود بكثرة وتركيزهم في المدن، وتمليكهم المشاريع على حساب السكان الأصليين، مع تغذية الخلافات العرقية، وإثارة الحقد الطائفي، بين أطياف المجتمع الماليزي، بما يضمن بقاء سيطرة المستعمر في النهاية على موارد البلاد، وإدارة المشاريع على حساب العمالة الصينية، والهندية الرخيصة، ليكون المستفيد الأول، وإبقاء جو التوتر بين السكان الأصليين، وباقي الأعراق، لتنمية الحقد المطلوب كسلاح قوي بيد الإستعمار.

لكن بعد الإستقلال كان لابد على السياسة الحاكمة للبلاد نزع فتيل الحقد وإزالة آثار الإستعمار، فتحولت الإختلافات العرقية إلى تنوع ساعد كثيرا على نمو البلاد، وإعطاء حقوق المواطنة للجميع تحت شعار: "الأمة الماليزية" أو "بانغاسا ماليزيا"[2] وهو مفهوم يؤدي إستيعابه إلى أن يعتبر كل فرد نفسه ماليزيًّا قبل كل شيء وأنه يكون مواطنا إذا ربط هويته بماليزيا، لتسود بينهم جميعا هوية واحدة مشتركة تذوب فيها الأعراق، والإثنيات والثقافات المختلفة، وهو الأمر الذي سعى مهاتير إلى تحقيقه حيث يقول: "ومن الناحية المثالية علينا أن ننسى جميعا البلد الذي نشأ فيه أجدادنا، وأن نعتبر أنفسنا ماليزيين فحسب"[3] وهو تحد يستحق كسب رهانه لأن تعدد الأعراق سلاح ذو حدين، مادامت السياسات الماليزية تحافظ عليه كميزة دافعة للإخلاص للوطن والتفاني في السير به نحو الرقي والإزدهار، فإنها ستنجح حتما في إبقائه عامل وحدة للماليزيين.

التحدي الثاني: الإستقلال الكامل:

كثير من الدول التي كانت مستعمرة نالت إستقلالها السياسي، لكنها بقيت مرتبطة بمستعمريها نفسيا وفكريا وثقافيا، لتكون قد خرجت من استعمار عسكري ظالم لتدخل في مرحلة استلاب حضاري قاتل، تتملكها القابلية للإستعمار، والولع بالغالب[4].

---

[1] محمد الصادق إسماعيل:محمد مهاتير والصحوة الإقتصادية ص 56.

[2] محمد مهاتير: طبيب في رئاسة الوزراء، ص706

[3] المصدر نفسه، ص706

[4] نظرية ابن خلدون في أن المغلوب دائما مولوع بالغالب' ابن خلدون: المقدمة، ص120

لكن مهاتير يريد بلاده أن تكون مستقلة فكريا وثقافيا وإقتصاديا حتى لا تعاني من أي شكل للتبعية للغرب، وتكون آمنة تعتز بإنجازاتها ليشعر الماليزيون بأحترامهم لأنفسهم، ويستطيعوا بعد ذلك إدراك احترام الغير لهم، ومن ثم يتحقق لهم النهوض وفق القيم الماليزية المنبثقة من الإسلام، والفكر الإنساني المستقيم، والتجارب الناجحة.

التحدي الثالث: إدراك النضج الديمقراطي

وهو أحد التحديات، على اعتبار أن الهيمنة الغربية تريد طرح مقاربة واحدة للديمقراطية بالمفهوم الغربي، الأمر الذي يرفضه محمد مهاتير، والذي يتبنى الديمقراطية من حيث كونها أفضل نظام حكم، لكن بعيدا عن الإيديولوجيات الغربية، والممارسات المختلفة التي تفرضها على العالم، بل يريد ديمقراطية خاصة بالآسيوي، تتشبع بثقافته وقيمه، وتتماشى وطبيعة الآسيويين الذين يجب أن يرفضوا استمرار الهيمنة الغربية والأمريكية على العالم، ويبادروا إلى تصحيح الممارسات الخاطئة للأوروبيين، ليتحقق العدل والمساواة والمشاركة في السلطة بما يضمن رفاهية وأمن جميع الأطياف في ماليزيا.

التحدي الرابع: المحافظة على الأصالة

والمتمثلة في القيم الدينية والروحية التي تحقق للماليزيين مجتمعا شريفا يحترم القيم الأخلاقية، والروحية، والدينية، لا سيما أن الإسلام هو دين غالبية الشعب الماليزي، وقيمه صالحة للمسلم ولغير المسلم من حيث كونها توافق العقول والفطر السليمة، إضافة إلى القيم الآسيوية الرائعة التي يتميز بها الآسيويون.

هذا التحدي يعتبر واقيا من طغيان الحضارة المادية على حساب القيم، والجانب الآخر من الإنسان والذي أهملته الحضارة الغربية فكان الإنسان الغربي أكبر ضحايا مادية حضارته.

التحدي الخامس: التعايش وقبول الآخر:

ماليزيا كمجتمع متعدد الأعراق يحتاج إلى قدر كبير من الحريات، ليتمكن كل من ممارسة شعائره، وعاداته وثقافته، دون حجر على الآخرين، ويضمن للماليزيين على اختلاف مللهم وعقائدهم حق أداء الفرائض والطقوس، كل كما يجب آداءها، وهو جو يضمن أيضا التعايش بين الفئات المختلفة بفوارقها تحت أساس واحد، ومشترك هو

الإنتماء إلى الوطن الواحد فيضمن حقيقة الأخوة الباعثة على الإجتهاد، والتعاون في سبيل ازدهار ماليزيا.

التحدي السادس: الإنتقال من الإستهلاك إلى الإبتكار:

تعرض مالك بن نبي إلى هذه الفكرة وهو يحث العالم الإسلامي على النهوض الحقيقي، والسعي نحو التحضر من جديد، محذرا إياهم من التكديس واقتناء أشياء الحضارة ومنتجاتها وهم يظنون أنهم يتحضرون، إذ حقيقة التحضر ليست اقتناء منتجات الحضارةفالحضارة هي التي تلد منتجاتها[1]، وهو ذاته التحدي الذي طرحه محمد مهاتير متأثرا إلى حد كبير بفكر مالك بن نبي، في كون أنه يجب على ماليزيا أن تحرز تقدما في عالم التكنولوجيا بالبحث والإبتكار للخروج من دائرة الإستهلاك إلى دائرة الإنتاج والإبداع، وهو عامل مهم من عوامل الإستقلالية عن الغرب.

التحدي السابع: تحقيق التوازن بين النزعة الفردية والجماعية:

من أكبر القيم الآسيوية وخاصة الماليزية أن الفرد يبقى مرتبطا بالأسرة ضمن الثقافة القروية التي حافظت على التماسك المجتمعي، الذي نراه غائبا في المجتمعات الأوروبية ما هيأها إلى تبني النزعة الفردية وإهمال الروابط الأسرية والإجتماعية، ومحمد مهاتير يرى أنه من الضروري أن يحافظ الماليزي على أصالته في قمة المعاصرة، وعلى تمجيد العلاقات الأسرية والإجتماعية، ليكون توازناً بين اعتماد الفرد على نفسه في غير فردية عنيفة وعلى التعاون دون اتكالية في تحديد الأهداف والسعي الجاد لتحقيقها.

التحدي الثامن: بناء مجتمع عادل قائم على المساواة والتعاون والأخوة

تعلم الدروس أمر بالغ الأهمية في النجاح، لأن تكرار الأخطاء يعني دفع الثمن مكررا، والقرآن الكريم يعرض علينا قصص السابقين لنستخلص منها العبر والدروس ويعلمنا منهج الإعتبار من التاريخ عموما، ومحمد مهاتير أفاد من المنهج القرآني، وأدرك أخطاء المناهج الأوروبية، وأقصد الرأسمالية والإشتراكية، وما جرته على الإنسانية من أضرار، فقرر بناء رؤية "2020"[2] على منهج إنساني قوامه العدل،المساواة، وكذا التعاون

[1] مالك بن نبي: شروط النهضة، ص 47.

[2] 2020 هي الرؤية التي وضعها مهاتير كخطة تمتد لثلاثة عقود تتحول خلالها ماليزيا إلى دولة صناعية متقدمة، محمد مهاتير، الموسوعةن المجلد 7: التكنولوجيا والتكنولوجيا ، ص،12

والشراكة التي أساسها "الكل يربح" ليتحقق الإزدهار والتقدم للجميع، والتكامل بين البشر، مع رفض المظالم والتمييز بينهم.

التحدي التاسع: بناء اقتصاد قوي تنافسي

لم يهدف هذا التحدي إلى تحصيل أرقام للنمو أو التنمية الإقتصادية الصرفة، بل حرص على اقتصاد يبنيه الشعب الماليزي بانتقاله من طابعه الزراعي الفقير إلى دولة مصنعة مزدهرة، تراعي التنمية البشرية لتكون منطلقا للتنمية الشاملة، لأن الإنسان هو محور البناء وعامله الأساسي، ولئن وصل الماليزي إلى الوعي اللازم للنهوض ببلاده واقتصادها سوف تنجح ماليزيا في تخطي هذا التحدي، وتصل بالإنسان إلى تبوأ الصدارة والمحورية في كل عمليات البناء بعزمه وإصراره وجهده وتفانيه، ليحقق لبلاده النجاح والقدرة على المنافسة.

إستعرضنا التحديات التي حددها مهاتير قبل ست وعشرين سنة من تاريخ إطلاق رؤية "2020"[1] ، والخطة حددت بثلاثين سنة، أي يمكننا الحكم عليها، واستعراض ما أنجزته ماليزيا سواء في عهد محمد مهاتير أو بعده للوقوف على ما تحقق من هذه الأهداف وما لم يتحقق، وقد نكون أوفر حظا ممن عاصروا بداية الرؤية فتعاملوا معها نظريا أما نحن فبإمكاننا الحكم عليها فعليا، بالوقوف على نجاحاتها أو على إخفاقاتها بناء على الواقع، و الإنجازات التي نعايشها ونحن في سنة إجراء هذه الدراسة وهي سنة 2016، أي قبل أربع سنوات على إنقضاء مدة الرؤية الاستشرافية التي وضعها مهاتير لماليزيا والتي تؤكد الإنجازات الباهرة على نجاحه في ما تطلع إليه، وقد زرت ماليزيا[2] ووقفت على المنجزات، ورأيت ازدهارا وتقدما يشهد على أن محمد مهاتير نجح فعلا في الخروج ببلاده من الفقر والتخلف إلى التطور والازدهار.

2- عين على الأسواق الخارجية :

كي تنجح دولة نامية أو فقيرة في تخطي عتبة الفقر، لابد أن تتجه نحو التصدير[3]، الذي يعني الوصول إلى أعلى دفعة إنتاجية ممكنة لتحريك النظام الإقتصادي إلى مستويات جديدة من الأداء المنتج، والإستمرار في الأداء رغم الصعوبات والعراقيل المختلفة،

[1] أتكلم عن هذه المدة باعتبارنا في عام 2016

[2] كانت زيارتي لماليزيا في جويلية 2016

[3] محمد مهاتير: طبيب في رئاسة الوزراء، ص 711.

والسياسة الناجحة ستسعى دوما إلى إيجاد الحلول، ودفع الماليزيين إلى اكتساب المزيد من المهارات والطرق والوسائل التي تمكنهم من تطوير أدائهم دوما.

و قد سعى مهاتير ووزيرة التجارة الدولية والصناعة: تان سري رفيدة عزيز، إلى إرسال وفود كثيرة لإيجاد أسواق خارج ماليزيا[1]، وكانت الأرجنتين من أوائل الوجهات وكان الاستثمار في الجلود، كما كانت سوقا صعبة إلا أن مهاتير كان دائم السعي لإقناع التجار، ورجال الأعمال الماليزيين بتتبع الأسواق الصعبة وتجنب السهلة والمألوفة منها على اعتبار أن النجاح يكون في النوع الأول من الأسواق، ولأنه كان يولي اهتماما كبيرا لالتجارة وتوسيعها عبر امتلاك ماليزيين مغامرين، متعهدين أذكياء يتحينون الفرص ويحسبون العواقب، ويهدفون إلى تحقيق نتائج مربحة فقد تولى محمد مهاتير شخصيا الترويج لبلده بقيادة عدد من البعثات التجارية والإستثمارية إلى دول أوروبا الشرقية وروسيا، والصين وأوروبا والدول الإفريقية، لتحقيق أهداف الرؤية 2020 والوصول بماليزيا إلى بلد مصنع وقادر على المنافسة[2].

وضمن سياسة النظر شرقا استفادت ماليزيا من التجربة اليابانية خاصة والتشابه بينهما في امتلاك[3] الموارد الطبيعية كبير، فاليابان تفتقر إلى المواد الخام، والموارد الطبيعية لهذا اعتمدت على استيرادها لتصنيعها ثم إعادة تصديرها وقد أضافت إليها البصمة اليابانية وماليزيا كذلك تعد فقيرة في الموارد الطبيعية باستثناء القصدير، والمناخ الإستوائي المساعد على نمو بعض أنواع النباتات الإستوائية، ونجحت في هذه المحاكاة، وغدا الإقتصاد الماليزي متسارعا في النمو، إذ تشكل السلع المصنعة فيه ما يقارب 82% من إجمالي صادراتها التي تبلغ 100 مليار دولار، وأكثر ما يسعد له محمد مهاتير أن يرى منتجات كثيرة اليوم تحمل علامة "صنع في ماليزيا"، دون إهمال دور "آسيان" [4] التي تعتبر سوقا كبيرة نظرا لتعداد شعوب منطقة آسيان بما يقدر بنصف مليار نسمة، لأن حجم التبادل بينهما وبين ماليزيا كبير جدا، خاصة وأن ماليزيا تتقاسم مع الفلبينيين إدارة شؤونها، وتسعى مع بقية

---

[1] عادل الجوجري: النمر الآسيوي محمد مهاتير، ص 70.

[2] نبيه فرج أمين الحضري: تجربة ماليزيا في تطبيق الإقتصاد الإسلامي تحليل وتقييم، ط1، 2009، دار الفكر، ص 126.

[3] محمد مهاتير: طبيب في رئاسة الوزراء، ص 716.

[4] آسيان: إتحاد أمم جنوب شرق آسيا، تأسس سنة 1967، محمد مهاتير: الموسوعة، السياسة والديموقراطية و آسيا الجديدة،المجلد 8 ص 231 .

دول إتحاد أمم جنوب شرق آسيا الأخرى، كرابطة لدول قومية تفرض نفسها في القضايا ذات الأهمية الإقليمية المشتركة والقضايا العالمية، ما جعلها أنجح تجمع بين سائر تجمعات الدول النامية، حاورت رؤساء حكومات الدول المتقدمة الذين يحضرون اجتماعاتها وتفاوضت مع كبرى إقتصاديات العالم، وأثبتت قدرتها على استقطاب المستثمرين الأجانب بما تنعم به من مناخ تجاري جيد.

المطلب الثالث: الخصوصية والاستقلال الإقتصادي:

1- ماليزيا المتحدة:[1]

هو مفهوم للمقاربة المهاتيرية في العلاقة بين القطاع الخاص والقطاع العام، أو ما يسميه بالشراكة الذكية، التي لا يتحقق بها الرفاه فحسب بل الكل له نصيب عادل فيه: على المستوى المحلي والإقليمي والعالمي.

أما في ماليزيا فقد كان اختيار صيغة الشراكة الذكية بين القطاع العام والقطاع الخاص، بجعل الأخير هو المحرك الأساسي للنمو، وتسريع الخطى نحو التصنيع، والإتجاه بقوة نحو النمو الذي يعتمد في المقام الأول على التصدير، وبالتالي جعل العالم كله سوقا كبيرة للإنتاج الماليزي.

وقد وضع محمد مهاتير [2] نصب عينيه عاملان أساسيان هما: الوقت والذي لم يكن يسمح بالتنظير بعيدا عن التطبيق، والثاني هو حسن اختيار الصيغة الإقتصادية المؤدية إلى النمو والإنتقال من مجتمع زراعي فقير إلى مجتمع منفتح ومتحرر إقتصاديا، ضمن قيمه الإسلامية والآسيوية والإنسانية، وبغرض المنافسة النزيهة، بمؤسسات، وشركات قادرة على ذلك، تضمن ألا يسحقها عمالقة الإقتصاد من الخارج، كما تضمن مستوى معيشة أعلى للجميع، وخدمة أفضل لمصالح الشعب والأمة، وعامل الزمن حاسم في المسيرة التنموية لهذا يجب أن لا يكون هناك تباطؤ في إنجاز وتنفيذ البرامج الإقتصادية، بل يجب إتخاذ خطوات عملاقة لتنفيذ البرامج الإجتماعية، وتحصين البنى التحتية، لاكتساب القدرة على إيجاد شعب متوازن في قواه، مادام أحد أهداف الرؤية "2020" تحقيق مجتمع ديمقراطي يتحقق

[1] محمد مهاتير: الموسوعة، العولمة والشراكة الذكية والحكم، المجلد 4، ص 133.

[2] محمد مهاتير: الموسوعة، ماليزيا، المجلد 5، ص 205.

له التوازن الصحيح بين التطور المادي والتطور الروحي، للحفاظ على أصالة الأمة الماليزية[1] وعدم تصديق الحتمية الغربية التي تدعى توازي التطور مع الإنحلال الأخلاقي وكافة الشرور والآفات الإجتماعية.

ونلاحظ أن هذه المقاربة ذكية إلى حد كبير من محمد مهاتير، في إبداع صيغة "الكل يكسب"، وهي صيغة واضحة، ولا تحتاج إلى تلاعب أو مناورة، بل كل طرف سيزيد من طاقاته، وإبداعاته ليكسب أكثر، ولن يفكر أبدا في عرقلة الطرف الآخر أو محاصرته ليزداد ربحهما معا، ولو اتخذ الغرب هذه النظرية مكان نظريته: لعبة فيها الرابح والخاسر: "Win_Loose game" الربح والرفاه في العالم كله، ولا حاجة للموازنات التي تقتضي منك كي تربح لابد أن يخسر الآخر.

2- **مهاتير وصندوق النقد الدولي:**

بعد انتهاء الحقبة الإستعمارية، تلونت الإمبريالية بألوان جديدة، وكان الإقتصاد هو السلاح البديل، وإرادة من الغرب أن يكون مركزا للعالم،وكذا لدوام هذه المركزية فإنه لا يُسمح للدول التي كانت مستعمرة بالأمس أن تنهض اليوم، والخطر معروف من قطع لإمدادها بالمواد الأولية، وخيرات مستعمرات الأمس، وتحولها من مراكز استقبال وأسواقا واسعة لمنتجات الدول المتقدمة، إلى المنافسة والتهديد.

والنمور والتنانين الآسيوية بدأت في تهديد الهيمنة الغربية على الإقتصاد، ما جعل الدول الغربية تشن هجوم عملات الصرف لتقويض أمنها واستقرارها، ثم الظهور بمظهر المعالج للأزمات، وجاءت مقاربات صندوق النقد الدولي الذي يبدأ على شكل قروض وإعانات للدول على حل مشاكلها، ثم يصبح صاحب القرار والسيادة على هذه الدول بزعم حقه في المحافظة على استقرارها، وضمان تسديد قروضها، وكانت البداية بتايلاند والهجوم على "البات"[2] وأخذت أحوال تايلاند في السوء حتى اضطرت إلى اللجوء إلى صندوق النقد الدولي[3]، ثم جاء دور "الرينجيت" ليخيم على ماليزيا ظل الأزمة المالية ويجرها نحو صندوق النقد الدولي، لكن حصافة وذكاء محمد مهاتير جعلاه يؤجل أو لنقل

---

[1]Mohamed rais bin abdulkarim: Improving the efficiency of the public sector: case study of Malaysia united nation secretaria , 1995,p17.

[2]البات: عملة تايلاند، عادل الجوجري، النمر الآسيوي، محمد مهاتير، ص67

[3]محمد مهاتير: طبيب في رئاسة الوزراء، ص 784-785

يستبعد هذا الحل، ومن أمارات جده وإخلاصه لبلده ومنصبه، أن اشترى كتبا[1] تتحدث عن العملة وتجارتها ليدرس القضية دراسة معمقة شاملة ويقرر بعد ذلك، ولإدراكه لطبيعة قيود البنك الدولي وصندوق النقد الدولي، إجتهد بالتشاور مع مساعديه في تطوير منظومة قانونية اقتصادية تعطي البدائل الممكنة والمتاحة، وكان أهمها استقطاب الإستثمار الأجنبي كوجه من أوجه تعويض نقص رأس المال من جهة ومن جهة أخرى إدماج الملايويين في معامل وشركات الإستثمار، لتطوير قدراتهم، واستعدادهم للتحول والإعتماد على الذات[2]. ما جعل ماليزيا من الدول القليلة التي أدارت ظهرها للبنك الدولي، وصندوق النقد الدولي خلال أزمتها، بلجوئها إلى خطط مدروسة، ومرسومة من طرف الحكومة، مكنتها من كسر حتمية اللجوء إليهما، وإبطال زعم أنهما الحل الوحيد لخروج دول جنوب شرق آسيا من أزماتها المالية المدمرة، وكذلك ألقت في وعي قادة الدول النامية أنه من الممكن تغيير قواعد اللعبة العولمية التي قادتها الدول المصنعة لتقويض الأنظمة السياسية القائمة أو إجبارها على الدخول في لعبة، معلوم مسبقا من الرابح فيها.

وقد تمثلت مقاربة مهاتير[3] -بإختصار – في مراقبة، وتقييد خروج رؤوس الأموال وتوجيه سعر الصرف بالتحكم فيه وتثبيت قيمة الرنجيت بالنسبة للدولار الأمريكي وتخفيض الفوائد لإنعاش الاقتصاد الوطني، وإخراجه من الأزمة، والإحتياط ثم التصدي لمحاولات إثارة البلبلة والاضطرابات والإضرابات بين الماليزيين، وإحباطها بذكاء القائد المحنك الذي كان ينزل إلى بؤرة التوتر ويقنع العمال على الإلتفاف حول حكومتهم وقيادتهم وعدم الإذعان لمحاولات نشر الفوضى وعدم الإستقرار، باستغلال الظروف الصعبة، وما ضمن له النجاح، منطقه الذكي في أن العامل الوحيد لزيادة أجورهم ورفع مستويات المعيشة، هو زيادة الإنتاج والعمل الجاد وإخراج البلاد من الضائقة المالية، وفعلا توسع حجم العمالة، وتحسنت إنتاجية العمل، وأدى ذلك إلى إنخفاض معدل البطالة وكذا تحسن الدخول والإستفادة من العدالة في توزيع الثروات.

وإذا لاحظنا إتقان محمد مهاتير للعبة الإنعاش الإقتصادي خارج مجال صندوق النقد الدولي،نجد أن مهد لإنطلاقة ثابتة وراسخة نحو التقدم، والإحلال محل الواردات

[1] محمد مهاتير: طبيب في رئاسة الوزراء ، ص 786.

[2] محمد الصادق إسماعيل:محمد مهاتير والصحوة الإقتصادية، ص 70.

[3] عادل الجوجري: النمر الآسيوي محمد مهاتير، ص 68.

والتوجه نحو إقامة صناعات ثقيلة بالاعتماد على المواد الأولية المحلية، وتدابير التقشف وشد الحزام مع التصدي للفساد واتخاذ الإجراءات الوقائية ثم الردعية له وقد نجح في تحقيق غاية اطلاق حملة: "النظافة والكفاءة والأمانة"[1] والتي تشير إلى أن التغيير يجب أن يكون في نواح ثلاث قدرها محمد مهاتير في:

- تطهير البلاد من الفساد
- رفع الكفاءة
- التحلي بالأمانة

والجدير بالذكر أن هذا الشعار الذي أطلقه محمد مهاتير، لم يكن مجرد إبداع في صياغة الشعارات كما يحدث عندنا في مختلف الدول العربية، لكنه لازم بين القول والفعل من جهة، ومن جهة أخرى جعل نفسه قدوة لكل الماليزيين، وبدأ بنفسه في كل الإصلاحات، والتدابير التي اتخذها فكان ذلك من أهم عوامل نجاحه، نضيف إليها تهديده بالعقاب الشديد لمن يتورطون في قضايا الفساد والإضرار بمصالح الماليزيين.

المطلب الرابع: الإنجازات الكبرى:

1- كوالالمبور: تطلّع و نجاح:

كوالالمبور هي عاصمة ماليزيا، وتتميز بتربتها الطينية، وكانت إبان الإحتلال معظم بيوتها من الطين، وشوارعها تكاد تخلو من السيارات، وأعلى مبنى فيها غداة الإستقلال كان فندق "فيدرال" المؤلف من سبعة طوابق[2] وبقي الأعلى في كوالالمبور حتى سنة 1981، لكن العاصمة بدأت تعرف نهضة بلا حدود خاصة في عهد مهاتير محمد.[3]

تتربع العاصمة على مساحة تقدر بـ: 234 كم^2 ويتوسطها برجا بتروناس التوأمان أطول برجين في العالم، وهما معلمان من معالم ماليزيا وبعض مظاهر الإزدهار فيها، تولى بناءهما شركتان، الأولى من كوريا الجنوبية وهي : "سامسونغ إنجنيرينغ كونستراكشن" والثانية من اليابان هي: "هزاما كوربورايشن"[4]، تولى التخطيط له مصمم مناظر برازيلي، وطلب منه محمد مهاتير مراعاة الخصوصية الإسلامية والماليزية في التصاميم المختلفة وهما ملكا

[1] محمد مهاتير: طبيب في رئاسة الوزراء، ص 429.

[2] المصدر نفسه ، ص 755

[3] عادل الجوجري: النمر الآسيوي محمد مهاتير، ص 40.

[4] محمد مهاتير: طبيب في رئاسة الوزراء، ص 759

"لبترونـاس" الشـركة الماليزيـة للبـترول، وكانـت تكلفتـه تقـارب 3 مليـارات رنجيـت، تتـزين كوالالمبـور بحـدائق خلابـة، ونـوافير علـى الطـراز المغـربي الإسـلامي، وبـرك للسـباحة مخصصـة للأطفـال، ومجسـمات مائيـة، ومسـجد، ومركـز تسـوق: "سـورايا كـاي أل-سـي-سـي" وفنـادق مـن طـراز سـت نجـوم، ومطـاعم ودور سـينما، و"منـارة كولالمبـور" الـتي تعـد رابـع أعلـى منـارة إتصالات في العالم[1].

كمـا أن كولالمبـور تزينـت بقصـر ملكـي يشـبه قصـر "بـاكنغ هـام" في لنـدن، وبهـا منطقـة "جنتنج" السـياحية الـتي لا تبعـد كثـيرا عـن قلـب المدينـة، "وقـد زارهـا أحـد الأصـدقاء في صـائفة السـنة الماضـية وأخـبرني أنهـا تقـع علـى علـو شـاهق يجعـل السـحاب يلفـك وتحـس أنـك في مكـان تنـاطح فيـه السـحاب، وأنـت تتجـول بـين الجبـال، مـا جعلهـا مدينـة رائعـة"[2] ، ومـا زادهـا جمـالا المصـنع الملكـي لصـناعة الهـدايا، والمحـافظ علـى الطـابع الريفـي والبيـوت التقليديـة مـن جهـة للتعبـير عـن الأصـالة والهويـة، والبسـاطة الملايويـة في قمـة الشـموخ والتطـور ومـن جهـة أخـرى، طـابع النشـاط فيـه هـو الـذي يفـرض نفسـه، إذ تتحـول فيـه الفضـة الخالصـة إلى تحـف وهـدايا تذكاريـة سـاحرة، تمتـزج فيهـا القـيم الآسـيوية[3] مـن إتقـان وجماليـة عاليـة، والصـنع اليـدوي التقليـدي الراقـي، والـذكاء الملايـوي أيضـا إذ جـل هـذه التحـف تشـير إلى ماليزيـا، أو منجزاتهـا خاصـة برجـا بترونـاس إضـافة إلى حديقـة الطيـور[4] الـتي تبهـر الزائـر لوجـود آلاف الأنـواع مـن الطيـور النـادرة في العـالم وقـد كـان حلـم مهـاتير أن يـرى كولالمبـور مـن أحسـن العواصم في العالم.

[1] محمد بابا عمي: القاموس الحضاري للمجدد محمد مهاتير، ص26.

[2] المرجع نفسه ، ص 40

[3] محمد السيد سليم: الإسلام والتنمية في ماليزيا، ص 116.

[4] زرتها وتجولت فيها وسحرني جمال الطبيعة فيها ، في جويلية 2016،وقد زرت حديقة الطيورالساحرة والشاسعة، والتي يعيش فيها مئات الطيور النادرة، بألوانها الزاهية، وفكرتها بسيطة لكن تحمل بصمة الإبداع الماليزي، إذ أنها محمية طبيعية، بغلاف نباتي متنوع وأشجار كثيفة قاموا بتغطيتها على علو مرتفع بشباك كبيرة تمتد على طول الحديقة ، حيث تعيش الطيور في حرية وتحلق كما تشاء دون أن تغادر الحديقة، وتوجد فيها محلات لبيع التحف التذكارية، وبعض محلات الإطعام البسيطة وتذكرة الدخول إليها 50 رينجت.

2-بوتراجايا: شكر وعرفان

بوتراجا هي العاصمة الإدارية لماليزيا، رأى محمد مهاتير في نقل الوزارات والمقرات الإدارية إليها لتخفيف الضغط الخانق على كوالالمبور، فقرر تشييد مدينة جديدة في "سيلانغور" الواقعة بين العاصمة كولالمبور والمطار الدولي الجديد، وسميت بهذا الإسم تخليدا لإسم: "تنكو عبد الرحمن بوترا" أول رئيس وزراء لماليزيا بعد استقلالها، عرفانا بسعيه إلى تحقيق رفاهية الشعب الماليزي، وهي التفاتة طيبة من محمد مهاتير تدل على أنه ينزل الناس منازلهم، ويقدر جهود المخلصين تقديرا يليق بهم، ويخلد من يستحق منهم أن يبقى اسمه عَلَمًا في ماليزيا، رغم أنه لم يكن يحب ذلك لنفسه، لتواضعه، ويقينه أن كل ما قدمه ويقدمه قائم على أساس الواجب الوطني عليه.

وبوتراجايا مدينة عصرية، تنبض حضارة وديناميكية، بنيت على تخطيط دقيق لتجمع بين الجمال والأعمال، وتكون مقرا لنحو 300000 شخص معظمهم موظفون حكوميون[1]، وأرادها مهاتير رمزا لتقدم ماليزيا وتفوقها بشوارعها الواسعة والمخططة وطرقاتها المزينة بالأشجار والنباتات على جوانبها، وحدائق تضم سبعة منتزهات وبحيرة اصطناعية ساهمت بشكل كبير في تلطيف الجو، وإضفاء صفة جمالية خلابة على المدينة، كما كانت مسرحا لرياضات مائية متنوعة، وتفصل هذه البحيرة بين جزئي المدينة وتجعلها ضاحيتين الأولى حكومية وما يليها من مقرات التنمية ، الثقافة ، التجارة والرياضة، والثانية خارجية وتشمل السكنات والحدائق ومناطق الإسترخاء والاستجمام.[2]

هذا المشروع العملاق أثمره إقبال الماليزيين على العلم، والمعرفة والتطلع إلى التنمية وانطلاقا من قناعتهم الجديدة بقدراتهم اللامحدودة[3]، وثقتهم في قائد نهضتهم، ما جعلهم يبدعون مشروعا ضخما يضاف إلى إنجازاتهم الأخرى، وما يزيد في افتخارهم واعتزازهم أنها مدينة مدهشة تعكس بحق مستوى التطور في ماليزيا، وستكون فخرا للأجيال القادمة

[1] محمد مهاتير: طبيب في رئاسة الوزراء، ص 772-773.

[2] عادل الجوجري: النمر الآسيوي محمد مهاتير، ص 45.

[3] محمد السماك: موقع الإسلام في صراع الحضارات والنظام العالمي الجديد، ط2، 1999، دار النفائس، بيروت، ص 185.

وشهادات الإعجاب قدمت لها من كثير من الدول صرَّح قادتها اتخاذها نموذجا لبناء عواصمهم الإدارية الجديدة.[1]

وما يسترعي الإهتمام أن مدينة بهذا الحجم تم بناؤها وتجهيزها في ثلاث سنوات حيث يذكر محمد مهاتير أنه[2] ترأس حفل وضع حجر الأساس وكان حفلا كبيرا شهده نحو ثمانين وفدا ديبلوماسيا في 19 سبتمبر 1996م و جعل رمز المدينة نصب فولاذي على شكل علم ماليزي مشرع على سارية وبدأت الأشغال على نحو كبير من الجدية والإتقان، وكان يتابع بنفسه سيرها حيث يحضر مرة كل أسبوع إلى موقع البناء، للوقوف على كل مجرياته، وفي أقل من ثلاث سنوات انتقل إلى مكتبه الجديد في مقر رئاسة الوزراء ليكون وقتا قياسيا لم يسبق أن شيدت عاصمة أخرى في مثل هذا الوقت الوجيز، لتضاف إلى سجل مهاتير الناجح في القيادة بالمتابعة الشخصية للمشاريع.

وفعلا كانت تخطيطا حكيما لفك الخناق عن كوالالمبور، وتخفيف ضغط الإزدحام فيها، ومهما تكن الإنتقادات التي وُجِهت إلى مهاتير حول فكرة بناء هذه العاصمة الإدارية، بأنه إرضاء لغرور قائد ورؤيته الشخصية، تبقى بوتراجايا تحقيقًا لحاجة ماليزيا إلى رئة إضافية تضمن تنفسًا صحيًّا لا مجال فيه للإختناق، وكذا الحفاظ على جمال كولالمبور من الإكتظاظ، وما يسببه من ضيق في الحركة، وهروب من زحام المدن الكبيرة، لشعب يبقى وفيا إلى طابعه القروي الزراعي، وحنينه إلى مد البصر في الأرض الشاسعة، وتنفس الهواء النقي.

3-وسائل كبيرة لغايات سامية:[3]

من أسباب النجاح الماليزي، فكر القائد المحنك، الذي اتخذ كل التدابير للوصول ببلاده إلى مصاف الدول المتطورة، فمع تركيزه على القيادة الرشيدة، وتوفير فرص النجاح لبلاده، نجده يخلق من الأشياء التي يعتبرها الكثيرون ثانوية، فرصا لزيادة تنمية بلاده وسأختار في هذه الفكرة نقاطا مهمة أجملها في:

---

[1] تنظيمها مدهش وطريقة بنائها فيها إبداع، وبوقوفي على مكان مستعلي بدت لي أنها لوحة فنية، وهي فعلا مدينة ساحرة وفخمة، فيها الأبنية الشامخة، وفيها الطبيعة الخضراء وفيها جمال التصميم والتنظيم، وفيها بحيرة تحولت فيها بزوارق صغيرة، وقد رأيتها في النهار فكانت جميلة وساحرة، ثم رأيتها ليلا بالإشارة والأضواء الملونة فكانت أكثر سحرا وجمالا.

[2] محمد مهاتير: طبيب في رئاسة الوزراء، ص 774.

[3] المصدر نفسه ، ص833.

1- السعي لاستضافة ألعاب الكومنولث.

2- ربط مطار كولالمبور بخدمة القطار السريع.

3- بناء مضمار لسباق الفورمولا وان.

وكان لها جميعا الأثر البالغ في دفع مسيرة ماليزيا التنموية إلى الأمام أذ كانت استضافةألعاب الكومنولث من 11 إلى 21 سبتمبر 1998 بتسجيل رقم قياسي للمشاركة الدولية، واعتبرت نجاحا عظيما، لأن ماليزيا أعدت العدة اللازمة لإنجاح هذه الفعالية التي روجت لها، وعرفت بهذا البلد، وحضرت لهذه الألعاب بعناية بالغة، ببناء المجمعات الرياضية، والملاعب الحديثة، وقاعات الألعاب المتعددة وغيرها من المرافق الضرورية، وقد كان مهاتير ذكيا في اختيار تموضع المرافق، مثل اختيار جزيرة: "لنكاوي" لبناء حقل للرماية تجري فيه مباريات الرماية، ويكون فرصة يرى الناس المقصد السياحي الجذاب لهذه الجزيرة الخلابة، والتي تحس عندما تزورها أنك في عالم آخر غير عالمنا الموبوء بالتلوث وآثار المصانع، واختناق الطرقات وتعيين فيها لحظات مميزة مع سحر الطبيعة الذي يطير بلب الإنسان، قد أحسست عند زيارتها أني انقطعت عن العالم الخارجس وعشت فيها أياما كأنني في روايات من نسج الخيال.

أما ربط مطار كولالمبور[1] بخدمة القطار السريع فكانت دليلا على براعة القيادة في التفكير طويل المدى، والمناسب للوتيرة المتسارعة للنمو الماليزي، فكان مطار كولالمبور واحدة من تحف ماليزيا، ويعتبر أفضل مطار متوسط الحجم في العالم، وما زاد فاعليته ربطه بوصلة السكة الحديدية السريعة، لتوفير أرقى خدمة لحركة النقل الجوية في ماليزيا، وتسهيل الوصول من وإلى مطار عبر هذا القطار السريع.ذ، والذي يستغرق منك من 20 إلى 40 دقيقة للوصول إلى المطار بينما لو ركبت سيارة ستأخذ أكثر من ثلاث أو أربع ساعات أو ربما أكثر حسب السيولة المرورية.

وكذا مضمار سباق "الفورملاوان" والذي أراده مهاتير، إنجازا آخرا يضاف إلى الإنجازات العظيمة في وقت توليه رئاسة الوزراء، وأراد تحقيق عدة أهداف بهذا المشروعفمن جهة أراد الترويج لماليزيا من خلال تصوير السباقات وبثها على المباشر عبر شاشات التلفزيون في أكثر من 201 دولة، ومن جهة إتاحة الفرصة للمهندسين الماليزيين لإمتلاك

[1] محمّد مهاتير: طبيب في رئاسة الوزراء، ص831.

تكنولوجيا سيارات السباق، وما كان النجاح ليتحقق لولا الرقابة والمتابعة التي لم يغفل عنها محمد مهاتير[1]، والتي سرعت وتيرة الإنتاج، وقللت من فرض الإخفاق والخطأ، وحتى إن حدثت مشاكل فالمراقبة الدائمة والحضور القوي للرجل الأول في البلاد، في ميدان الإنجاز وحرصه على وصول التقارير الآنية إليه جعل عينه ساهرة على تحقيق الحلم بعد الآخر والوصول بماليزيا إلى أهداف الرؤية، ما يشجع محمد مهاتير على المزيد من التطلعات وإحراز خطوات أخرى نحو التقدم ببلاده إلى المكان الذي ينبغي أن تكون فيه.

4- القرية النموذج"شنكال":

أهمّ ما يميز القيادة الناجحة، العمل على جبهات متعددة في الوقت ذاته ولتحقيق الهدف نفسه، وأقصد محمد مهاتير الذي حقق أحد أهم أهداف الرؤية 2020 بتحقيق النمو وسط الملايويين والقضاء على الفقر بينهم[2]، وتحقيق العدالة والمساواة في مجتمع ماليزي متحد، خاصة وأنه ابن عائلة متوسطة في مجتمع فقير، وكثيرا ما عانوا الحاجة والضيق، واضطر إلى العمل والجد للمساعدة في كسب القوت اليومي، كما مر في عناصر سابقة في البحث، وهو أمر جعل محمد مهاتير يحس بالفقراء، ويشاركهم همومهم وهو طبيب يعالج المحتاجين في عيادته مجانا، ويسعى وهو رئيس الوزراء إلى تخفيف معناة الفقراء والمحرومين، باتخاذ الإجراءات وترتيب الأولويات، سعيا نحو النهوض بهم ومن ورائهم النهوض بماليزيا ككل، للوصول بها إلى مصاف الدول المتقدمة[3]، وبما أن الفقر ظاهرة إجتماعية لا يقضى عليها بمجرد توضيحها وإحصاء أرقامها، ولا حتى باتخاذ بعض الإجراءات الترفيهية السهلة كالتي يتّخذها الحكام في الدول النامية، ويزعمون أنهم يعالجون الفقر، وفي النهاية هم يغطون الفقر بدثار يؤجل إلى حين انفجار الجبهة الإجتماعية وجبتدراسته كظاهرة، دراسة جدية واتخاذ الحلول الظرفية والمتوسطة المدى، والبعيدة للقضاء عليه نهائيا ومن الذين نجحوا في تشخيص الظاهرة كداء يحتاج إلى علاج جذري وفعال، محمد مهاتير الذي ادرك بعقلية الطبيب، وجوب البحث عن أسبابه، وتوضيح كامل أعراضه لوصف العلاج الشافي له، وفي الطب حسن التشخيص جزء كبيرمن العلاج، بهذا

[1] جابر سعيد عوض: السياسات العامة في ماليزيا، برنامج الدراسات الماليزي، جامعة القاهرة، مصر، 2008، ص 46.

[2] محمّد مهاتير: طبيب في رئاسة الوزراء، ص770.

[3] مدحت أيوب: السياسة الإقتصادية الماليزية، برنامج الدراسات الماليزية، كلية الإقتصاد والعلوم السياسية، جامعة القاهرة 2008، ص 46.

المنطق العملي والطبي تعامل مع الفقر، ووضع نصب عينيه العوامل التي أفرزت عرقا سلبيا تسيطر عليه القابلية للإستعمار، واحتقار قدرات الذات وهو يعيش بين الصينيين والهنود ومع أنهم الأقلية إلا أنهم يسيطرون على المال والأعمال في ماليزيا، ورغم أن الملاي مسلمين، والإسلام يحث على السعي والإجتهاد ويعتبر العمل عبادة، إلا أن سلبيتهم جعلتهم أفقر الأعراق في بلدٍ، هم سكانه الأصليون، من هنا بدأ مهاتير تتبع أسباب تأخرهم وفقرهم وخاطبهم بلهجة شديدة في كتابه "المعضلة الملايوية" " The Malay Dilemma" لإيجاد علاج لأوضاعهم والخروج مما هم فيه من جهل وفقر وتخلف، وكانت الإنطلاقة السليمة لسياسة وضعت الخطط القصيرة ، المتوسطة والطويلة لدفع عجلة التنمية والقضاء على الفقر والجهل، ثم السعي إلى إمتلاك الثروة وإدارة الأعمال.

وكانت قرية "شنكال" نموذجا لبرامج مكافحة الفقر، وهي قرية فلاحية بالدرجة الأولى يبلغ عدد سكانها ما يقارب 2230 نسمة، معظمهم أي حوالي 70% منهم يمتهنون الفلاحة، ويشتغلون في بساتين الخضر ،الفواكه ، أشجار المطاط وتسويق منتجاتهم والبقية منهم من يشغل مناصب حكومية، ومنهم قلة يمكن اعتبارهم قطاعا خاصا والباقي في حالة بطالة[1] فكانت الخطوات المقترحة:

أ-إقناع سكان القرية بضرورة تغيير أوضاعهم بمساعدة الدولة، فكانت الإستجابة في البداية محتشمة لكن فيما بعد تزايدت أعدادهم وبدأ ظهور النتائج بعد ذلك.

ب-تغيير النشاط التقليدي بتحديث الوسائل والطرق للحصول على محاصيل أكبر وأحسن.

جـ-تحسين المستوى الدراسي لأولادهم ذكورا وإناثا، وإدخالهم عالم المعلوماتية لتطوير قدراتهم.

د-توعية الأسر وتدريبها على أسس الرعاية الصحية، والعناية بالأسرة والبيئة وتطوير المجتمع، وكانت الدورات التدريبية ناجحة، وفي هذا إدراك لأهمية التعليم كعنصر مؤدي إلى تنمية الموارد البشرية وضمان سرعة إرتقائها سلم التطور الحضاري.[2]

---

[1] سعد بن محمد العبيد: التجربة الماليزية، ص5، 6 على الرابط:
http://cps:files imamu.edu.Sa/ar/documents consulté le 17/12/2014

[2] ماجدة علي صالح: سياسة التعليم وتنمية الكوادر البشرية في ماليزيا، برنامج الدراسات الماليزية كلية الإقتصاد والعلم السياسية، جامعة القاهرة، 2008، ص 93.

وفعلا كانت الفكرة منتجة، وتحول الملايوي من الكسل والرضا بقليل الرزق، إلى تنمية نشاطاته وزيادتها، والسعي إلى شراء الأسهم وإدارة الأعمال في الميادين كلها.

وما ذكر حول هذه القرية كنموذج، هو ما طبقه مهاتير في ماليزيا، في كل المراكز على تحقيق الإنتعاش الإقتصادي، وإخراج بلده من صفة الدولة النامية إلى أحد النمور الآسيوية العملاقة.

وقد سعى محمد مهاتير جاهدا لمحاربة الفقر وإبعاد شبحه عن جميع فئات الشعب الماليزي، بكل أعراقه باتخاذه لذلك جملة من التدابير الإجتماعية التي مكنته من الإنتقال بالفقر سنة 2010 من 5.7% إلى 2.8%[1] والكلام عن القضاء على الفقر يعني محاربة البطالة بالتشجيع على العمل وتحسين دخل الأفراد والأسر، وقد تمكنت القيادة الماليزية من القضاء على ظاهرة البطالة بحكمة تظهر من خلال التدابير المتخذة لتضييق نطاقها منها[2]:

– تنفيذ البرامج المحددة في إطار التنمية وقد توجهت إلى الأسر الأشد فقرا لمساعدتها على إيجاد فرص للعمل، والإرتقاء بمستوى معيشتها.

– تحقيق التوازن بين الفئة الأكثر فقرا، وهم السكان الأصليون الذين تعمد الإستعمار عزلهم في القرى، وإغلاق فرص التنمية في وجههم بينما كان يشجع الأعراق الأخرى من الصينيين، والهنود ليضمن بقاء السكان الأصليين مهمشين، ويجعل التمييز العرقي ورقة يستعملها عند الضرورة بإشعال الفتن بين الأعراق بعد الكره والتمييز الذي غذّاه بينهم، وكحل لهذه المشكلة اعتمد برنامج أمانة أسهم البوميبترا[3] التي تهدف إلى تمكين الملايويين المسلمين من قروض بدون فوائد، لأنهم كانوا لا يتعاملون مع البنوك خوفا من الفوائد الربوية، وهو أمر شجعهم على الإنتعاش والنهوض.

وخوفهم من الربا يثبت تعلقهم بدينهم وحرصهم على عدم إقتراب المحرمات للدلالة على أصالة الإسلام فيهم.

– تمويل الحكومة لمشروعات المنظمات الأهلية الوطنية في إطار برنامج: "أمانة إختيار ماليزيا" ويهدف إلى تقليل الفقر وزيادة الدخل الأسري للأسر الفقيرة، ومرافقتها عبر القروض بدون فائدة لإمتلاك نشاطات مربحة.

---

[1] سعد بن محمد العبيد: التجربة الماليزية، ص 11.

[2] محمد الصادق إسماعيل:محمد مهاتير والصحوة الإقتصادية، ص 65-66.

[3] البوميبترا: تعني السكان الأصليين، محمد مهاتير، طبيب في رئاسة الوزراء، ص772.

- تمويل المشاريع الصغيرة والمتوسطة
- الدعم المالي لمن يرعى أسرة فقيرة أو مريضا أو عاجزا أو شخصا معاقا.
- القرض الحسن بغير فائدة لشراء مسكن أو إدارة مشروع من المشاريع التنموية الإجتماعية في إطار تطوير الريف، وتحسين مستوى المعيشة فيه
- توفير مرافق البنية التحتية الأساسية للمناطق الريفية من مدارس، نقل، اتصالات وغيرها.
- دعم فتح المراكز الصحية وتوفير الأدوية، والتشجيع على فتح العيادات الخاصة لضمان الرعاية الصحية للأهالي، وتطويق الأوبئة والأمراض الناتجة عن إنعدام النظافة والصرف الصحي، وسوء التغذية وقلة المياه.
- تشجيع المدارس الدينية لترسيخ عقيدة التوحيد وتوطيد الصلة بين الملايويين في إطار الأخوة الإيمانية، وتقديم الخدمات للمحتاجين في إطار التطوع والمجال الخيري، وتفعيل آليات التكافل في الإسلام كالزكاة والصدقة والوقف وغيرها.

وإذ يوَّجَهُ الإتهام لمحمد مهاتير بالعنصرية[1]، لسعيه إلى مساعدة فئة الملاي المسلمة يمكن القول أنه لم يفعل أكثر من رفع الغبن والظلم التاريخي والإستعماري الذي نفذه البريطانيون في حق الملاي، والسعي بكل الوسائل إلى إفقارهم وتهميشهم وتغليب العناصر الأخرى من غير السكان الأصليين لضمان مصالحهم وهم الذين استقدموهم بأعداد هائلة ومكنوهم من مزارع المطاط ومصادر الموارد الأولية في ماليزيا، والدليل على أنها مجرد إدعاءات يراد من ورائها هضم حق الرجل، وإخفاء حقيقة نجاحه الساطعة والتي يكذبها الواقع في أن مهاتير إنما أراد إرجاع الحق لأهله، والنهوض بمن طالهم الظلم والتهميش، كما أنه لم يفرق في برامج التنمية بين السكان الأصليين وغير الأصليين، بل حقق التوازن في ضمان أن يكون للملايويين على الأقل نسبة 30% من الأصول والأملاك.

5-نظام إقتصادي خاص[2]:

من المشروع والصواب لماليزيا أن ترغب في التقدم والنمو، لتصبح أحسن حالا وأفضل مما هي عليه، وتقضي على الفقر والتخلف، وتكون ضمن الدول المتطورة، ولأنها لم

[1] محمّد مهاتير: طبيب في رئاسة الوزراء، ص551.

[2] محمد مهاتير، الموسوعة، العولمة والشراكة الذكية والحكم، المجلد4، ص 115-116.

تكن لديها رؤوس أموال كافية ولا خبرة قادرة على الإقلاع الإقتصادي، فتحت بابها للأجانب ومعهم المال والمعرفة، مقدمة الحوافز والتسهيلات، وتمت استفادة الطرفين وتحققت شراكة ذكية، الكل فيها يكسب، وهي السياسة التي انتهجها محمد مهاتير وجعلها ضمن أهداف الرؤية 2020، وقد شملت الشراكة الذكية الأعراق المختلفة في ماليزيا، وكذا بين القطاعين العام والخاص، وبين العمال والإدارة مما عزز ثقافة العمل والإجتهاد والسعي إلى كسب الثروة لكل الأطراف.

ونجد محمد مهاتير يرفض النظام الإشتراكي[1] لأنه نظام يقوم على المادية البحتة ويهمل العدل بمعناه الإسلامي الصحيح، بل يطلب عدلا ماديا ومساواة مادية بين الناس وهو أمر يستحيل تحققه لان الإختلاف بين البشر حتمي، وهو نظام يؤمن بالتأميم كوسيلة للمساواة في الثروة حيث يرفع مستوى دخل العامل مادامت الدولة –على أساس أنها صاحب العمل– ستوزع الأرباح على العمال، وكذلك يضيق الفجوة بين دخل كبار العاملين وصغارهم، وهو منطق يعتبره محمد مهاتير محض خيال يؤدي في النهاية إلى تقسيم الدخل على الجميع، سواء من عمل واجتهد وحقق أرباحا كبيرة، والآخر الذي خسر ولم ينجح في عمله دون أن ننسى أن الحكومة (الدولة) مسؤولة عنكافة الشعب، وستؤدي هذه الإيديولوجية إلى أن يتساوى دخل الجميع، سواء في ذلك من عمل وكسب أو عمل وخسر أو لم يعمل أصلا. وهذا جنون اقتصادي حقيقي سيؤدي إلى مشاكل في تمويل الخدمات العامة، وارتفاع الضرائب لتكون مصدرا للتمويل.

في ماليزيا أصحاب الدخول المنخفضة لا يدفعون الضرائب التي يدفعها أصحاب الدخول المرتفعة، وبهذا لا يشعرون بالعبء، فتكون سياسة فرض ضريبة الدخل على أصحاب الدخول المرتفعة فقط، سياسة صائبة، ومقاربة استنتجها محمد مهاتير من شعيرة الزكاة التي فرضها الله على الأغنياء وجعلها حقا للفقراء في أموالهم، لتخفيف فاقة الفقر والحاجة عنهم، وهي فعلا سياسة ذات مرجعية إسلامية، لأن السياسة الإشتراكية في بلدان كثيرة تفرض أنظمتها ضريبة على جميع الدخول، فيكون من الطبيعي أن تثقل كواهل ذوي الدخول المتدنية، وسيبقون دائما يطالبون بزيادة في الأجور، لكن اقتصار دفع الضرائب على ذوي الأجور المرتفعة سيساعد الدولة في تنمية مداخيلها، وتتخفف من أعباء

[1] محمد مهاتير، الموسوعة، التحدي، المجلد2، ص 14.

مساعدة الفقراء، ويرى مهاتير[1] أن إصرار الإشتراكيين والشيوعيين على تساوي الجميع في الثروة تصور خيالي، ناتج عن الجشع والحقد، والواقع يثبت أن المساواة الوحيدة التي تحققت في مجتمعاتهم هي المساواة في الفقر، بين جميع شرائح المجتمع إلا شريحة واحدة هي طبقة الأغنياء من الذين روجوا لفكرة الشيوعية وأصبحوا زعامات يعيشون في رغد من الحياة ويتمتعون بكل ما يريدون.

والحقيقة أنه ليس المطلوب أن يكون المجتمع كله غنيا، بل المطلوب أن يُضمن لكل إنسان حقه في حياة كريمة، وأن يسود المجتمع خلق التكافل ليخفف الأغنياء عن الفقراء ويسند الميسور من كان معسرا، وتتحقق السعادة الحقيقية وليست السعادة ببعدها المادي لأنها سعادة سطحية[2]، ولا تحقق للإنسان إلا حاجاته المادية، وتحقيق التوازن يفرض ربط هذه الحاجات المادية وتحقيقها بأهداف سامية يسعى الإنسان إلى إدراكها، وخلال ذلك يحقق التنمية الكفيلة بضمان حاجاته، لأن مسألة التنمية[3] عامة، والتنمية في جانبها الإقتصادي خاصة، ليست مما يمكن تجاهله أو الإستغناء عنه أو تأجيله، لأن الإنسان حين يعيش في عصر محوره المال، والمنجزات المالية، يصبح المقياس الذي تنضبط به إنجازاته وتقيم على أساسه إمكاناته، ويجد أن مخزونه الثقافي أو الحضاري قاصر على التحرك بدونه. لهذا يصر محمد مهاتير على كون التنمية عبارة عن دفع وتحريك الكينونة الفردية والجماعية للإنسان نحو الأفضل، حينها يكون الفقر والغنى أمرا نسبيا، تحددهما اعتبارات مختلفة.

والميل المهاتيري إلى اقتصاد يتماشى وروح الشريعة الإسلامية واضح، في إنشاء البنوك الإسلامية، واحترام تعلق الملايويين بدينهم، بعدم اللجوء إلى المعاملات الربوية مهما كانت حاجتهم، والأهم في مقاربته الإقتصادية جعل الإنسان محور العملية الإقتصادية وليس المال، لأن الإنسان -كما يعتبره- مالك بن نبي [4] هو العدة الدائمة للحضارة والذي إذا تحرك كي يصبح رجل حضارة فإنه لا زاد له سوى التراب والوقت وإرادته لتلك الحركة، وبالتالي يكون رأسمال الحضارة الذي يمسك التراب بيده ليمده بقوته الزهيد حتى

[1] محمد بابا عمي: القاموس الحضاري للمجدد محمد مهاتير، 142.

[2] محمد بابا عمي: القاموس الحضاري للمجدد محمد مهاتير، ص 142

[3] عبد الكريم بكار: مدخل إلى التنمية المتكاملة رؤية إسلامية، ط4، 1432هـ-2011م، دار القلم، دمشق، ص21.

[4] مالك بن نبي،:شروط النهضة، ص67.

يصل إلى هدفه، مستغرقا الوقت الكافي والضروري لذلك أي بكل بساطة أذا تحرك الإنسان تحركت معه حضارة في التاريخ.

ويبدو أن مهاتير هضم أفكار مالك بن نبي جيدا، وصاغها عمليا في سياسته الإقتصادية كمؤشرات لإنطلاقة صحيحة للتنمية ككل، خاصة وأن الإسلام يدعو إلى النهوض وفتح مجالات للعمل والإجتهاد، للقضاء على الفقر من خلال القضاء على البطالة، وتحسين الأوضاع المالية والمعيشية للإنسان ومنه للمجتمع ولا ضرر في الإقتباس من النظم السائدة خير ما فيها من دراسات ومقاربات تتماشى وروح الإسلام ومقاصده ووفقا للقيم الأخلاقية ، العدالة الإجتماعية والمساواة بمعناها الصحيح في نيل الفرص وامتلاك المؤهلات وحيازة الدعم من الدولة للنهوض.

وتعتمد ماليزيا في النشاط الإقتصادي[1] على مبدأ الشورى الإسلامي بين الأحزاب لبلوغ ديمقراطية حقيقية توفر مشاركة واسعة في مناقشة القضايا المتعلقة بالمصلحة العامة ومتابعة السلطة التنفيذية والمحاسبة إن بدا منها أي تقصير أو إخلال، ما يضمن الجدية والإلتزام، وقد مر في البحث شعار: "النظافة-الكفاءة- الأمانة"[2] الذي جعله مهاتير شعار للعمل الذي يعكس حقيقة القيم والأخلاق السامية في الإسلام[3]، ويكون أرضية لأي برنامج ذلك لأن الإسلام لم يعط نموذجا جاهزا للتنمية بل أعطى خطوطا عريضة تضمن النجاح في وضع أية خطة تنموية أساسها العدالة، والبعد عن الأذى، والضرر للنفس وللغير، وكذا الإلتزام بالعمل المتقن والصالح والجاد الذي يحقق الخير، والنفع للنفس وللمجتمع، والتخلق بالصدق والوفاء وأداء الأمانة، والمحافظة على الأخوة والتكافل والإحسان بين الناس.

إلى جانب إعتماد ماليزيا بعض التطبيقات الإسلامية في الجانب الإقتصادي مثل شركات التأمين التي تراعي المنهج الإسلامي في التعامل، وكذا البنوك والصيرفة الإسلامية، وإذا كان البنك لا يعمل وفق الشريعة الإسلامية تفتح نوافذ إسلامية فيه لتطمين المسلمين الملايويين بعدم الإقتراب من التعاملات الربوية، ورغم بعض الإعتراضات يبقى هذا الحل جيدا من نواحي عديدة، مادام يحقق للملايويين الطمأنينة على أنهم يحافظون على دينهم،

[1] محمد الصادق إسماعيل: محمد مهاتير والصحوة الإقتصادية، ص 62.

[2] محمّد مهاتير: طبيب في رئاسة الوزراء، ص433.

[3] محمّد مهاتير: الموسوعة، التحدي، المجلد2، ص11.

ولا يقتربون مما حرم الله عليهم، ولا يتعارض مع أحكام الشريعة الإسلامية أي لا يحل حراما نهى عنه القرآن في آيات صريحة عدة مرات، وكذلك إتخاذ التعاون أساسا أقام مهاتير عليه ما سماه "بالشراكة الذكية" أو أيضا "الكل يكسب" و "لا تفقر جارك"، وهي شعارات كلها قائمة على التعاون، والرحمة في التعامل الذي، غايته تحقيق الخير والربح للجميع، مخالفا بذاك الإديولوجيات الغربية القائمة على الأنانية، والكسب على حساب الآخر، أما التكافل فيظهر جليا في الدعم الذي وسع محمد مهاتير مجالاته بدءا بالإعفاء من الضرائب بالنسبة للفقراء ذوي الدخل الضعيف، أو في الدعوة الصريحة التي يوجهها إلى الأغنياء كي يساعدوا الفقراء ويعتبره اعتدالا يمارسه من يؤمنون بالإسلام في كل تعاملاتهم لأنه (الإسلام) لا يعتبر الثروة مكروهة أو محرمة، بل بالعكس يأمر المسلمين أن يجتهدوا في عملهم ليزيد كسبهم ويستطيعون التقرب به إلى الله تعالى، والإسلام[1] يريد من الغني أن يساعد الفقير طواعية عن طريق الصدقة وأفعال البر المختلفة كزكاة المال وزكاة الفطر لتحقيق نوع من التوازن داخل المجتمع، وأن الأغنياء وهم يفعلون ذلك، يجب عليهم عدم المن والتباهي على الفقراء، بل يحتسبون أفعالهم عند الله، عندئذ سيساعدون في تحسين المناخ الإجتماعي، ويمهدون الطريق لمجتمع آمن مستقر وسعيد[2]. كما يؤكد محمد مهاتير على التعايش بين الأعراق في ماليزيا لأنه يحقق الإنسجام بينها ويكون أرضية قبول بعضهم البعض، ما يدفع إلى التعاون لخدمة بلد واحد هو ماليزيا، والعيش في رخاء ورفاهية للجميع.

أما الصكوك الإسلامية[3] فهي مظهر آخر من مظاهر تبني ماليزيا للمنهج الإسلامي في الإقتصاد، إذ تعتبر أكبر سوق لإصدار السندات الإسلامية (أو الصكوك)[4] وتشير البيانات إلى احتلال ماليزيا الريادة في السوق العالمية إذ تمتلك 70% من إصدارات الصكوك العالمية، بما قيمته 43 مليار دولار سنة 2012، مع توقعات في توسع حجم سوق رأس المال الإسلامي في ماليزيا، نظرا لإقبال المستثمرين على التعامل معها بناء على

[1] محمّد مهاتير: الموسوعة، التحدي، المجلد2 ، ص 26.

[2] محمّد مهاتير: طبيب في رئاسة الوزراء، ص47.

[3] محمّد مهاتير: الموسوعة، الإسلام و الأمة الإسلامية،المجلد1 ص68.

[4] محمد الصادق إسماعيل: محمد مهاتير والصحوة الإقتصادسة، ص72.

النجاحات التي حققتها في مجال التمويل والصيرفة الإسلامية، ما أهلها للسيطرة على ثلثي تداولات هذه السوق على مستوى العالم.

ولا يخلو هذا النجاح[1] من عقلية رجل انتقل من طب الأجساد إلى طب المجتمع محاولا تحقيق النجاح في السياسة كما حققه في عمله كطبيب ماهر، وعقليته العملية جعلته يضمن نجاح ماليزيا في الإستحواذ على سوق الصكوك والصيرفة الإسلامية، بالتشجيع والتحفيز الذي ضمن له ذلك، إذ قام بإعفاء الإستثمارات العالمية التي تعتمد الصكوك الإسلامية من الضرائب لمدة ثلاث سنوات، مع تدابير تحفيزية أخرى، تدل أن الأمور السياسية في ناحية الإقتصاد خاصة لابد أن تكون مدروسة بعناية، ومخطط لها بإحكام.

كما يظهر لنا جليا قيام الإقتصاد الماليزي على أساس تفاعل أحكام الإسلام وقيمه مع شروط الحياة الآسيوية، لإبراز دور الإسلام كمنهج حياة، وكعقيدة فاعلة، تحث المسلمين على تبوأ المقاعد الريادية في الحياة لأنهم ينعمون بأعظم دين، ويتلون اعظم كتاب أمرهم بالنظر والتدبر، وتطبيق أحكامه القائمة على الرحمة والعفو التسامح، وبذل الوسع في القيام بالوظيفة الوجودية التي أمر الله بها الإنسان ليكون خليفة في الأرض، ويسعى لتحقيق خيرية الأمة الإسلامية وشهودها الحضاري على الأمم، ويتحقق وعد الله تعالى لها بالإستخلاف حين قال ﴿وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِنْ بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ﴾[2] والصلاح الذي يتحقق للإنسان بالتمسك بدينه، والعمل الجاد، وبذل الوسع لتحقيق الخير والنفع له ولمجتمعه.

6-بروتون وأخواتها: [3]

يبدأ التحضر بالتحرر الإقتصادي، والإجتماعي، من التبعية، والسيطرة والسعي لإيجاد صيغة تنموية، فيها من الخصوصية ما يفي بتحقيق نهضة على أساس القيم السائدة في المجتمع، والعقيدة الباعثة على الإجتهاد والعمل بتوجيه الأهداف والغايات نحو الإستقلالية والتميز، ما يعني تحقيق السيادة الوطنية التي تظهر في التحكم الأمثل للأمة في مقدراتها، ومصيرها، وثقافتها وقيمها، ما يمنحها الفاعلية، والتأثير في البيئة والمجتمع والعالم.

---

[1] عادل الجوجري: النمر الآسيوي محمد مهاتير، ص 83.

[2] سورة الأنبياء، الآية: (105)

[3] محمد مهاتير :طبيب في رئاسة الوزراء، ص 606.

والتحرر الإقتصادي خاصة للدول النامية أو التي كانت مستعمرة يزعج الدول المصنعة لأنه سيغير معطيات كثيرة، وعوامل أدت إلى أن يزداد الأغنياء غنى والفقراء فقرا، لهذا سعت وبكل جهدها للحيلولة دون هذا النمو بأساليب متنوعة، بالمسخ للثقافة والقيم المشجعة على النهوض والتطور، وبالإغراء والتشجيع على الإستهلاك المسعور لكل شيء يأتي من الغرب، حتى غدت الدول التابعة مركز نفايات للإقتصاد المتبوع[1] حيث يصدر إليه مشكلاته، ويحلها على حسابه، ويكون بذلك في أحسن حالاته مادام يملك الأطر التي تمكنه من التخلص من كل ما يزعجه، وعوض إتلافه يذر عليه أرباحا طائلة.

وماليزيا من الدول النامية غداة نيل إستقلالها، لكنها لم ترض بالتبعية، وقررت بما تهيأ لها من قادة مخلصين، أن لا تترك فرصة للتبعية أبدا، والقاعدة واضحة في أن الذي لا يريد أن يكون تابعا، لابد أن يكون متحررا خاصة في الجانب الإقتصادي، ما جعل التفكير ينصب حول الكيفيات التي يتحقق بها النهوض في هذا الجانب، فكان أن تحقق لها الإقلاع التنموي الإقتصادي وهو أحد أهداف الرؤية "2020" التي أطلقها محمد مهاتير، لتغدو بها ماليزيا دولة متطورة بحلول عام 2020، وتحقق النمو والإنتعاش في وقت قياسي، فآزدهرت الصناعات الماليزية، وتوجهت نحو إيجاد أسواق خارجية لدفع عملية التصدير التي تضمن الحرية الإقتصادية، وتضمن أيضا الإنطلاق الفعلي نحو التطور والرفاهية.

ومن الأحلام التي إستقرت في وعي محمد مهاتير، حلم سيارة[2] من صنع ماليزي تسير في شوارع ماليزيا ثم في شوارع بلدان العالم، وقد بذرت بذور هذا الحلم عنده، لما زار نيويورك سنة 1964 م كعضو وفد مشارك ضمن فعاليات مؤتمر: "الجمعية العالمية للشباب" فانبهر بالعدد الكبير للسيارات في شوارع المدينة، وتمنى أن تتمكن ماليزيا من إمتلاك شيء مماثل وأنه سيكون دون شك أمر رائع.

والحلم بدأ يتحول إلى فكرة قابلة للتطبيق عندما تعامل مع رجال أعمال يابانيين وهو مدير لـ:"فيما"[3] لإبرام صفقة شراء الألواح القصديرية الضرورية للتعليب، فتنقل إلى

---

[1] عبد الكريم بكار: مدخل إلى التنمية المتكاملة رؤية إسلامية، ص 15.

[2] محمد مهاتير: الموسوعة، العلم و التكنولوجيا وحقوق الانسان،المجلد 7، ص 15.

[3] فيما: مجمع للصناعات الغذائية في ماليزيا، :محمد مهاتير، طبيب في رئاسة الوزراء، ص201

اليابان لزيارة مصنع "كوازاكي" للفولاذ بالقرب من طوكيو في: "شيبا بيرفكتشور"[1] وهناك اطلع على القدرة اليابانية العظيمة، والمهارة التي مكنتهم من النجاح، إذ رأى كيف تصنع الألواح الفولاذية ثم تطوى في لفائف دون تدخل الإنسان، فكان بالنسبة له مثالا جيدا على التكنولوجيا الحديثة. ثم بعدها زار مصنعا للسيارات واستقر في نفسه إمكان أن يكون لماليزيا سيارة، وهو رجل لا يعرف المستحيل، الذي تعود الناس خاصة في المجتمعات المتخلفة وكذا النامية، إطلاقه على عدم الإمكان أو عدم القدرة على تصور تحقيق حلم أو بلوغ مرتبة بلغها كثيرون قبلهم. مع الإشارةإلى أن المستحيل لا يبقى مستحيلا مع الإرادة والتدريب واكتساب المهارة، لكن أصحاب الكسل الذهني تحجبهم قسوة المعطيات الحاضرة عن تقدير قيمة الإمكانات الكامنة، وفي المقابل يرى أهل البصيرة المستقيمة أن كل حركة في الإتجاه الصحيح إضافة تنزع لبنة من صرح المستحيل، وتنقلهم خطوة من دائرة الإستحالة إلى حدود الإمكان.[2]

إمتلك مهاتير عقلية تركيبية إقتنعت بأن الإمكان والإستحالة في يد الإنسان، وهو الذي إذا أراد حول المستحيل إلى ممكن، وإذا تقاعس وسيطرت عليه الكلالة، صيَّر الممكن مستحيلا وعلى هذا الأساس انطلق في التفكير والتخطيط لتحقيق نجاح آخر، ورؤية سيارة تسير في الشوارع تحمل بصمة الماليزيين، وخصوصياتهم، وتدل على قدراتهم وإبداعهم وينتقلوا به من عالم الأشياء إلى عالم الأفكار[3] الملاحظ في دول العالم الإسلامي جميعا والذي مازال في طور الإستهلاك دون الإنتاج، لهذا يعتبر تطوره الإقتصادي منذ ما يقارب قرنا من الزمن تطور يتجه نحو الأشياء، ولم ينتج إلا زيادة من العوز والحاجة المتمثلة في صور البؤس، والفقر التي يعيشها معظم المسلمين، وقد زاد هذا العوز من حاجات العالم الإسلامي للأشياء، دون أن ينقله إلى علم الأفكار الذي يصاحبه الإنتاج والإبداع.

أما ماليزيا فقد انتقلت بالفعل إلى عالم الأفكار، وانتقلت من الإستهلاك إلى الإنتاج، بفعل الإرادة التي كانت دافعا لفكرة امتلاك صناعات متطورة منها صناعة السيارات، بدءا بالتركيب، وانتهاء إلى التصنيع، والفكرة قائمة على أساس أن التقدم

---

[1] محمد مهاتير: طبيب في رئاسة الوزراء، ص202

[2] عبد الكريم بكار: مدخل إلى التنمية المتكاملة، رؤية إسلامية، ص 64.

[3] مالك بن نبي: فكرة كومنولث إسلامي، تر:الطيب الشريف، ط1، 1434هـ-2013م، دار الوعي للنشر والتوزيع، الجزائر، ص 51.

الحقيقي ليس تكديس منتجات الحضارة، بل هو صنع منتجاتها، ويحذر مهاتير الشعب الماليزي من أن يكون مستهلكا لما ينتجه الآخرون، ويعتبره تحضرا سطحيا أو حداثة غثائية تحقق للماليزيين طموحاتهم وأحلامهم، ولا توفر لهم الأمان، والإستقلال الحقيقي[1]، لكنه ورغم المعارضة التي لقيها، إلا أن إصرار محمد مهاتير على السيارة الوطنية تحقق مع تأسيس شركة: "بيروساهان أتوموبيل ناسيونال بيرهاد" أو ما يعرف بـ: "بروتون"، وهي أول شركة ماليزية لصناعة السيارات، يوم 7 ماي 1983، وكان حينها مشروعا مشتركا مع شركة ميتسوبيشي للمحركات، وشركة ميتسوبيشي للسيارات اليابانية، انطلق المشروع محتشما واعترضته صعوبات تحدت الإرادة المهاتيرية التي لم تستلم، ولما فكر في الأمر وجد أن سوء الإدارة الماليزية هو السبب، فإستبدل المسؤول عن المشروع، بمسؤول ياباني أدخل إلى الشركة مبدأين يابانيين هما:

-"كايزن": وتعني الكفاح المتواصل للتحسين في طريقة العمل ونوعية المنتج.

-"جيت": ويتضمن تخطيط تسلسل العمل وجدوله ليتم إختزال التكاليف والوقت وحيز التخزين، أي العمل حسب الطلب.

وبدأ النجاح بعد ذلك في ظهور سيارات بجودة عالية بلغت 80% من الإستهلاك[2]، مع إعتماد سياسة المنافسة في تخفيض الرسوم على السيارة الوطنية لتكون أقل من المفروضة على السيارات المستوردة، وكانت سياسة ذكية، زاد بها الإقبال على بروتون، ليضاف هذا النجاح إلى سجل إنجازات محمد مهاتير، ومن "بروتون" إلى "واجا" التي كانت أول سيارة مصممة في ماليزيا إلى "ساتريا" و "جين2"، و"وايرا" و "إسواره" و "أرنا" و "بيردانا" و"جدارا" كلها موديلات للسيارات الماليزية.

والكلام عن صناعة السيارة الوطنية يجر حتما إلى التساؤل عن مدى الإهتمام بالطرق والجسور ونحوها. وماليزيا تتزين بطرقات واسعة وجسور خلابة مثل "بينانج" بطول 13.5كم يربط جزيرة بينانج بباقي أنحاء شبه الجزيرة[3] ومعه إهتمام ماليزيا بشبكة الطرقات أيضا وكذلك توسع حلم مهاتر إلى إمتلاك الطائرة بعد السيارة، ويتحقق له ذلك بأنجح شركة ماليزية في المجال الجوي وهي شركة: "كومبوزت تكنولوجي ريسرتش ماليزيا" وتوجد

[1] محمد مهاتير: طبيب في رئاسة الوزراء، ص 603.

[2] عادل الجوجري، النمر الآسيوي محمد مهاتير، ص86.

[3] محمد مهاتير: طبيب في رئاسة الوزراء، ص 612.

في ملقا[1]، وإضافة إلى الطائرة، تصنع الشركة قطع التركيب لشركات مرموقة مثل "إيرباص" و"بريتيش أيروسبايس"، وازدهرت صناعة الطائرات بعد تنظيم معرض "ليما" في لنكاوي والذي روج للصناعة المحلية، ووسع في عدد الزوار والوافدين إلى ماليزيا، وإزدهرت الحركة بلنكاوي إلى حد كبير، وتسنى للماليزيين أن يروا أفضل الطائرات في العالم وأغلاها تحلق في سماء لنكاوي.

يحق لماليزيا أن تفخر بهذه المنجزات التي قفزت بها إلى دولة من الطراز الصناعي المتميز بالقيم العالية والجودة المتميزة في الصناعات وفي المعاملات، لأن محمد مهاتير أحسن صنعا عندما جعل أول إستثماره في الإنسان، وأحسن أيضا إذ نقل حماسه المتوهج إلى كل ماليزي، بشعار: "ماليزيا تستطيع"، و "أفتخر لكوني ماليزي" و "ماليزيا تنظر فوق" وغيرها من الشعارات التي ألهبت حماس الماليزي، ونقلته من الكلالة والسلبية القاتلة إلى الفعالية المنتجة للحضارة، وفعلا حين تحرك الماليزي تحرك التاريخ.

7- الممر الضخم للوسائط المتعددة:

وصل النمو الأوروبي إلى ما هو عليه على حساب العالم غير الأوروبي، إذ كانت الكشوف الجغرافية وما أوصلت إليه من خيرات في البلدان المكتشفة، سببا لقيام الثورة الصناعية بإستنزاف، خيرات البلاد التي أصبحت مستعمرة لها، وعلى سواعد من إستعبدتهم من السكان الأصليين فيها.

كما ساعدت الأدمغة والعقول المهاجرة إلى أوروبا، وإيهامها بالحيل المختلفة وإغرائها بالحياة الطيبة والبذل الواسع، على التطور التكنولوجي، وكذا سيطرت الشركات متعددة الجنسيات على موارد العالم[2]، وجعلت الدول غير الأوروبية أو ما يصطلح عليها بالدول النامية، ومعها المتخلفة، سوقا رائجة للمنتجات والتجارب الأوروبية، وكذا تطويقها لمحاولات النهوض هنا وهناك بالعراقيل المختلفة.

ويكون من الطبيعي السعي إلى المحافظة على هذه الإمتيازات بالوسائل المشروعة وغير المشروعة، وما التلاعب بالعملة في دول آسيا، أو ما يعرف بالنمور الآسيوية التي شكلت تهديدا قاتلا للغرب، وكانت ضربات موجعة تلقتها دول جنوب شرق آسيا، ومنها

[1] المصدر نفسه، ص 616

[2] نصر محمد عارف: نظريات التنمية السياسية المعاصرة، ص 272.

ماليزيا التي عصفت بها موجة هبوط أسعار "الرينجيت"، وخلقت مشاكل لدولة مستقلة حديثا.

لكن حينما يدير شؤون البلاد حاكم مخلص، يحب وطنه، وشجاع لا يهرب حين إشتداد الأزمة، يمكن بالعزم والسعي تذليل الصعاب، ومع ما إتخذه محمد مهاتير من تدابير تجاوزت ماليزيا ما كان مقررا لها من إستعداد للدخول في لعبة البنك الدولي، وصندوق النقد الدولي، وبدأت عندئذ بالتعافي فيما ظهر من انتعاش، بعد حزمة التدابير والسياسات التقشفية وإلتفاف الماليزيين حول حكومتهم، لكنه لم يتوقف عند حالة الإنتعاش، بل تخطى عتبة الكبار وتحدى الأمريكان واليابانيين، ونافس سلعهم، وأصبح لماليزيا سيارات وطنية وشركات، وطائرات، ومدن عصرية، وحل في كولالمبور أعلى برجين في العالم محل بيوت الطين كما حل محل مزرعة النخيل قرب العاصمة «أكبر ممر الوسائط المتعددة في العالم»[1] وهو مركز حاكى به محمد مهاتير وادي السيليكون في كاليفورنيا[2] وتمثل في حقل ضخم لإجراء تجارب التكنولوجيا وعلى طريقة الحياة في بيئة المعلومات الفورية وغير المحدودة، أقيم هذا الممر الضخم والسريع للوسائط المتعددة[3] في مكان يقع بين "كولالمبور سيتي سنتر" ومطار "كولالمبور الدولي"، وشيدت به مدينتان، الأولى هي بوتراجايا العاصمة الإدارية لماليزيا، والثانية هي "سايبرجايا" مدينة الذكاء النموذجية[4] التي صممت لتعمل بها الشركات الخاصة بالتكنولوجيا، والوسائط المتعددة، كما صممت أيضا لتحتضن الإبداع والإبتكار، وقد جهزت ببنية متقدمة من تكنولوجيا المعلومات والإتصال عالية الجودة والسرعة وسهولة الإتصال، وسمي المشروع: MSC وكانت أول شركة تشيد مبناها بسايبرجايا هي: "ميبون تلغراف أندتلفون"، وهي أكبر شركة إتصالات في آسيا، ولحقتها شركات كبرى أخرى مثل: "فوجيستو، إريكسون، ايدس" وغيرها، وسرعان ما توسعت المنشآت فيها، حيث أقيمت جامعة متخصصة بتكنولوجيا الإتصالات أطلق عليها إسم: "جامعة الوسائط المتعددة" وهي من المنشآت التعليمية الممتازة الكثيرة، التي تم إنشاؤها في الممر السريع للوسائط على غرار: الحكومة الإلكترونية والبطاقة الذكية متعددة الأغراض

[1] محمد بابا عمي: القاموس الحضاري للمجدد محمد مهاتير، ص26.

[2] المرجع نفسه، ص 26.

[3] محمّد مهاتير: الموسوعة،التنمية والتعاون الإقليمي،المجلد 9، ص104.

[4] المرجع نفسه: ص 105.

وكذا المدارس الذكية، ومراكز البحث والتطوير ومراكز للطب العلاجي عن بعد، وشبكة تصنيع وتسويق عالمية بلا حدود، والجيد في خطة سايبرجايا، أن هذه المشاريع القومية ستساعد على توليد شبكات من الشركات العالمية، وأيضا الماليزية بطبيعة الحال لأن الممر السريع للوسائط المتعددة سيدخل ماليزيا إلى القرن الرقمي، كما ستوفر مساكن للإقامة ومرافق للترفيه والتسلية ، الإستجمام، وبنية تحتية حديثة، ومنظومة قوانين، وأنظمة أمن إلكتروني[1]، وتقرر تشكيل مؤسسة ذات صلاحيات كاملة لإدارة مشروع الممر السريع للوسائط المتعددة MSCوستفتح هذه الشركة وهي MDC عشرة مكاتب في جميع أنحاء العالم لتكون قريبة من الشركات التي تعمل معها.

وأروع ما في هذا المشروع الذي يدل على عبقرية محمد مهاتير، ويجعله مفارقا في تفكيره لأساليب التفكير المادية الغربية، مزية فريدة من نوعها في سايبرجايا، وهو تأسيسها على أساس إنسجام تكافلي بين الإنسان والبيئة والتكنولوجيا، حيث يضمن نوعية حياة إنسانية ترتقي بالتكنولوجيا التي ستكون مستخدما ومحافظا على البيئة لضمان تهيئة مناخ مناسب لتعزيز الصحة النفسية والعقلية والجسمية والتمتع بالطبيعة للشعور بالراحة والإستقرار، ولتهيئة الوسط الملائم للإبداع والإبتكار، وسط مظهر للخضرة والمياه والحياة في أحضان الطبيعة الماليزية الخلابة.[2]

حلم آخر يحققه محمد مهاتير، يضيفه إلى رصيده، ويكون لبنة أخرى في البناء الوطني الذي بدأه منذ توليه قمة هرم السلطة في بلاده، ونقل ماليزيا بقيمها وأصالتها من الفقر إلى الإزدهار والتطور، ومد لها جسور التواصل مع جيرانها، ومع العالم إلى ما وراء حدود العصر الصناعي، مستعليا على النموذج المفروض والأوحد، وناظرا إلى الشرق تارة وإلى أي موضع يجد فيه فكرة تتبلور إلى خطوة نحو الهدف القريب والمتوسط والبعيد وبفكر يرفض التقولب و النمطية، أبدى محمد مهاتير، ما يجب أن يتوفر عليه الحاكم من ذكاء وقدرة على الإبتكار، وكذا السعي إلى الرقي الدائم وبذل الوسع للنهوض بالمسؤولية على أحسن وجه، وآداء الآمانة بكل إخلاص وتفاني، مستحضرا الخصوصية والتميز دائما ماجعله يخطو خطوات عملاقة، ويختزل الزمن للوصول إلى المنجزات الضخمة قبل انتهاء

[1] محمد مهاتير: طبيب في رئاسة الوزراء، ص 749.

[2] محمد مهاتير:الموسوعة،، المجلد التاسع، التنمية والتعاون الإقليمي، ص 106.

المدة التي حددها لهدفه، ساعده في ذلك ذكاؤه ونزاهته، وأكثر منهما حبه لماليزيا، وحرصه على الوصول بها إلى مراتب العظماء، وقد وصل إلى ما لم يصل إليه غيره، بالجد والإجتهاد والتفاني، والإخلاص ليعطينا قدوة صالحة للإقتداء بها، ونموذجا للحاكم المسلم الذي أنار القرآن قلبه، وأثار العلم عقله فجمع الخيرين في نفس .... للنجاح، وقد جعل خلفه الكلالة، والكسل، ولم يعترف بشيء إسمه المستحيل.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

المبحث الثالث

المظهر السياسي

وهو ثالث مظهر اخترناه لبيان مظاهر الإنبعاث الماليزي، وبه تكتمل الرؤية التي حددناها له.

المطلب الأول: النظام السياسي في ماليزيا

1-طبيعة الحكم السياسي الماليزي:

الحكم في ماليزيا ملكي دستوري، وهي دولة ديمقراطية برلمانية، يتولى رئاسة الفدرالية ملكا يختاره سلاطين الولايات مرة كل خمس سنوات، وله أن يملك ولا يحكم لأن سلطته رمزية فقط، وفي معظم الأمر يتصرف بناءً على " نصيحة" الحكومة، ويحمل لقب "Agong"[1]

في البداية كانت سلطات الملوك واسعة، إذ أن كل القرارات الصادرة عن البرلمان لا بد أن يوقع عليها الملك و(السلاطين)، وإذا لم يوقع، تفشل مساعي البرلمان، ولا شيء يمنع من حدوث هذا الأمر، أي لا يوجد في البرلمان الماليزي ما يحل مثل هذا الإشكال حال وقوعه، هذا من جهة، ومن جهة أخرى طبيعة الملايويين في تبجيل ملوكهم وسلاطينهم، وعدم الإعتراض على ما يفعلون، وانعدام الجرأة لديهم ولدى رئيس الحكومة ونائبه على قول "لا" للملوك، زاد من تكريس الصلاحيات الواسعة في أيديهم، و القادرة على تقويض اختيار الشعب بما يعني تهديد الديمقراطية[2].

وقبل التوسع في بيان طبيعة الحكم السياسي الماليزي لا بد من توضيح صفة الحكم الفدرالي.

يجري تداول مصطلح الفدرالي، ويراد به الإتفاق و الثقة، إذ من الواضح أن المعنى الأكثر شيوعا له، هو كونه نوع من الإتفاق الذي يقوم على أساس الثقة المتبادلة بين الأطراف[3]، كما يعرف على أنه دولة مركبة من مستويين ودستوريين بارزين، أحدهما الدولة الفدرالية والآخر الوحدات أو الدول الفدرالية، ويتشاركان على مستوى الدولة عبر الغرفة

---

[1] محمد مهاتير:الموسوعة،، المجلد التاسع، التنمية والتعاون الإقليمي، ص 535

[2] محمد مهاتير: طبيب في رئاسة الوزراء،137.

[3] معمر مهدي صالح الكبيسي: توزيع الاختصاصات الدستورية في الدولة الفدرالية، دراسة مقارنة، ط1، 2010، الحلبي للنشر و التوزيع لبنان، ص21.

العليا[1]، وهناك من يعتبرها تنظيما سياسيا قانونيا، ودستوريا داخليا ليمنع بذلك اعتبارها عقدا أو معاهدة دولية[2]، أي النظام الفدرالي نظام قائم على اللامركزية، والتشاركية في إطار دولة موحدة.

ونظام الحكم في ماليزيا كما قلنا سابقا ملكي دستوري، فدرالي، يرجع إلى طبيعة الحكم البريطاني، على أساس أن ماليزيا مستعمرة بريطانية ، فالملك "Agong " كما يسمى، لا يحكم فعليا، لكن له صلاحيات واسعة، يختاره مجلس السلاطين مرة كل خمس سنوات، وقد شهدت فترة حكم مهاتير محمد في الفترة ما بين 1981-2003 عهد خمسة ملوك لماليزيا .

تضم ماليزيا أربعة عشر ولاية، وحكومة فدرالية مركزية يرأسها رئيس الوزراء الحاكم الفعلي للدولة، و الذي يفوز حزبه في الإنتخابات على مستوى الدولة، كما توجد حكومات محلية للولايات، يحكمها من يفوز حزبه في الإنتخابات الولائية.

ومنه فالنظام الفدرالي آلية تمكنت بها الدولة الماليزية من استيعاب التنوع الإثني، وتحقق لها به الجمع بين الأعراق المختلفة، وتوحيد أتباع أديان مختلفة أيضا، فكانت هذه الآلية استجابة طبيعية للتنوع والتمايز الديني، والثقافي، والعرقي في ماليزيا، وهو نظام نجح في تجنيب البلاد صراعات قاتلة، بل وساعد على النمو في إطار التنوع الإيجابي الذي يضمن لكل عرق المحافظة على هويته وثقافته وسمح لهم جميعا بالتعاون بمنطق الجماعة داخل الوحدة. لا سيما إذا تحقق لماليزيا قادة أكفاء مثل، تونكو عبد الرحمن بوترا الحا، أول رئيس وزراء لماليزيا المستقلة، والذي كان مهندس التوافق الماليزي بين الملايو والصينيين و الهنود، وواضع حجر أساس الوحدة الماليزية التي لا تزال قائمة إلى اليوم، بما أتخذه من إجراءات[3]، وتعتبر فترة رئاسته للوزراء أول خطوة نحو إستقلال ماليزيا الفعلي، وإثبات انها

[1]-Hugues Portelli, Droits constitutionnels ; serie Hupper cours, Normandi Roto IMP ; 3eme Ed, Paris, 1999, P.P 17-18

[2]محمد عمر مولود: الفدرالية وإمكانية تطبيقها كنظام سياسي: العراق نموذجا، ط1، 2009، مجد للنشر و التوزيع، لبنان، ص 27-28.

[3]- Anak Jawan, Malaysian Politics and government (shah Alam- Malaysia : Karisma Jayum14, publications 2003,pp 62-157.

قادرة على قيادة نفسها، وأنها تملك من القادة من أثبتوا فعلا جدراتها بالإستقلال، وإمكانية التصرف خارج إملاءات الوصاية الإستعمارية .

وقد كان تنكو عبد الرحمن أميرا[1] ونجلا لسلطان ولاية قدح، ومديرا في وزارة التعليم ، ومساعدا للمدعي العام، كما أنه كان يرأس عددا من الدوائر الحكومية، وهي مؤهلات ساعدته على تولي أول منصب في الحكومة، ثم خَلَفَهُ تون عبد الرزاق حسينثاني رئيس وزراء لماليزيا ، بعد ما تقلد عدة مناصب، كما كان من أسرة عريقة في باهانج ثم أصبح وزيرا للخارجية فيها، إلى أن أصبح نائبا لتنكو ثم رئيسا للوزراء، ومثله تون حسين عون الذي كان من أسرة تولى أفرادها مناصب رفيعة في " جوهور" إذ اعتلى والده وجده سدة رئاسة الوزراء فيها فكان من السهل عليه- حسب الأعراف والتقاليد- أن يرتقي في المناصب العليا إلى أن غدا ثالث رئيس وزراء ماليزيا، وتميز بالسير على نهج سلفه في محاولة النهوض بماليزيا وكان امتدادا له .

أما رابع رئيس وزراء ماليزيا والذي خلف تون حسين عون، فكان من عائلة عادية من عامة الملايويين، ولم تربطه بالطبقة الحاكمة روابط أسرية، وفوق ذلك كان متمردا، طرد من صفوف " المنظمة الملايوية الوطنية المتحدة" أو ما يعرف بـ: "أمنو" ثم عاد إليه بمساعدة تون رزاق، الذي سهل خطوات ارتقائه في السلم السياسي، حتى الوصول إلى الفوز بمقعد في البرلمان، وحقيبة وزارية، ثم مساعد رئيس الوزراء، ثم رئيس الوزراء [2]. من عام 1981 إلى 2003 استطاع خلالها أن يحوّل أفكاره إلى واقع، وأحلامه إلى مشاريع على الأرض. إنه محمد مهاتير رابع رئيس وزراء مليزيا، ليأتي بعده عبد الله أحمد بدوي 2003-2009 وليتابع سياسة محمد مهاتير خاصة مرجعيته الإسلامية وسعيه إلى مشروع " الاسلام الحضاري" ليكون نموذجا للاعتدال، وأخيرا جاء بعده نجيب بن تون عبد الرزاق ليكون سادس وزراء لماليزيا.

ونلاحظ منذ أول رئيس وزراء إلى الآن، الإنتقال السلس للقيادة بين الوزراء الستة بتنظيم الإنتخابات وإجرائها في مواعيدها بطريقة شفافة وديمقراطية خالصة[3]، لا تشوبها

---

[1] محمد مهاتير: طبيب في رئاسة الوزراء، ص15.

[2] عادل الجوجري: النمر الاسيوي محمد مهاتير، ص25.

[3] مهاتير محمّد: طبيب في رئاسة الوزراء، ص356.

تلاعبات أو تزوير، وهو الأمر الذي جنب ماليزيا المواجهات، حتى في أوج الحملات الإنتخابية التي كانت ميدانا نزيها للسباق نحو كسب تأييد الماليزيين.

2- فكر مهاتير السياسي:

سعت الدول الاستعمارية[1] عند احتلالها للشعوب المستعمرة إلى استبدال المؤسسات القائمة على اعتبار أنها أنماط متخلفة، تقليدية، جامدة تحول بين إدارة التحديث والتنمية وبين هذه المجتمعات المتخلفة والبدائية، والقياس بطبيعة الحال إلى المجتمع الأوروبي المتحضر، ولإحداث أي تغيير، أوعصرنة، لا بد من القضاء على هذه الأنماط المساعدة على التخلف، وكان الحل هو نقل هياكل المؤسسات، ونظمها لتكييف المؤسسات الإجتماعية والسياسية والتشريعية للدول التي يراد تحديثها وتنميتها من طرف الدول المستعمرة لها [2].

من المؤكد فشل هذا الإسقاط الشكلي للتنظيم المؤسساتي على بيئة مغايرة لبيئة نشأته، وثقافة مختلفة عن خلفية واضعيه، وزمن متأخر عن زمن وضعه، وملابسات مختلفة أيضا، لهذا يعتبر هذا الاستنبات فاشل قبل وقوعه، على اعتبار أن ما يصلح لزمن وبيئة معينة لا يصلح لبيئة مختلفة وزمن غير الذي كان وقت وضعه وصياغته وتطبيقه، كما أن المجتمعات المستعمرة لم تكن بيئة تعدم المؤسسات بل كانت بها مؤسسات قائمة وأصلية لها مكانتها في وجدان الشعوب وضمائرهم، واستبدالها جريمة في تقديرهم، خاصة إذا كانت من جهة غير مرغوب في كل ما يأتي منها حتى ولوكان في ظاهره خير وفائدة .

ويزداد الأمر تعقيدا إذا وجدت الدول المستقلة نفسها أمام رفض للنمط الأوروبي الغريب عن ثقافتها وبيئتها، وإحساس بالنقص أمامه، لعدم امتلاكها نظاما بديلا لم يسعفها الوقت للتنظير له أثناء الإستعمار، لكن الإحتمال الأقرب هو إما الأخذ بالنموذج الأوروبي مع إمكانية التطبيق الحرفي كما في كثير من الدول العربية، و الإفريقية، وغيرها، أو الإقتباس للهيكل مع إدخال اللمسة المحلية والخصوصية الثقافية كما حدث في ماليزيا التي أبقت على النظام الملكي الدستوري وهو نظام في أصله بريطاني، لكنه يمتد بجذوره إلى النظام الاقطاعي السابق على الاستعمار[3] وزيدت له صفة الفدرالية، فتحقق الحكم

[1] نصر محمد عارف: نظريات التنمية السياسة المعاصرة، ص 346-347

[2] هشام جعيط: الشخصية العربية الاسلامية والمصير العربي، تر: المنجي الصيادي، دار الطليعة للنشر، بيروت. ص134.

[3] محمد مهاتير: طبيب فر رئاسة الوزراء، ص537 .

التشاركي في ظل التنوع العرقي والديني في ماليزيا، وأصبح ميزة خاصة بها، كما رسّخ لبناء ديمقراطية حقيقة يشارك الشعب في الحكم عبر اختياره الحر لحكامه، ولبرامج الأحزاب التي يراها تحقق تطلعاته، وقامت مؤسساته على نمط يوافق الإطار الحضاري، والثقافي العام، ويحقق الفعالية اللازمة لتطوير المجتمع الماليزي، وتحفيز الشعب على المشاركة الفعالة في النظام السياسي بصورة تحقق الشورى والعدل والمساواة، وترقى بالمجتمع الماليزي إلى نمط من المجتمعات القادرة على تجاوز سلبيات الأنظمة الغربية، ومسقطا من اعتباراته المعيارية الغربية، وهو ما فعله مهاتير حين طمح إلى الرقي بماليزيا إلى مصاف الدول المتقدمة بمفهوم جديد مفارق للمفهوم الغربي، يجمع بين الرقي الاقتصادي و القيم الاسلامية فكانت إنطلاقه ماليزيا في عهد مهاتير وفق التخطيط المحكم[1] والرؤية الواضحة، انقلابا على الحتمية، والنمطية الغربية، وتأسيسا لنظام سياسي نزيه يشارك الشعب ضمنه في قيادة البلاد، واختيار المرشحين الأكفأ للقيادة، وعرفت في عهده الذي أمتد لـ 22 سنة من سنة 1981 إلى سنة 2003، استقرارا ورفاهية بعيدا عن صندوق النقد الدولي، وعن الهيمنة الامبريالية الإقتصادية الغربية.

ومنه نستنتج أن فكر مهاتير السياسي قائم على كسر حتمية النمط الغربي وأحاديته، وكذلك رفض الأيديولوجيات التي أثبتت فشلها كالنظام الشيوعي، وهو توجه تبناه بعد أن حدد معالم المجتمع المنشود والدولة التي تحقق الإستقلال والتميز، كما يقوم على اعتبار الصالح العام، إذ لا يعقل أن يُسمح للأفراد بعنوان الحرية، التعدي على قيم المجتمع، أو الدفع به إلى الفوضى والإضطراب[2] لأن حقوق المجتمع تأتي قبل حقوق الفرد فماليزيا تنعدم فيها السياسات المتصارعة، بل فيها نبض جماعي قوي، تَنَافُسُه، شريف وغايته خدمة البلاد، والسعي بها نحو الرقي و الازدهار. إلى جانب مراعاة الصالح العام نجد غيرة مهاتير ووطنيته بلغت حدا كبيرا جعله يقول أنه ملايوي ويفتخر وبأنه ليس ملايويا على الورق بل " أنا ملايوي بالشعور والروح، وأنا أربط نفسي بالمطلق بكل ما يتصل بالملايويين ومشاكلهم"[3] وحب الوطن من الإيمان، وهو آمن أن الماليزي باستطاعته أن يفعل، وجعلها شعارا لجميع الماليزيين لإثارة حماسهم، ودفعهم نحو التغيير والتطور، ولعل

[1] محمد بابا عمي: القاموس الحضاري للمجدد محمد مهاتير، ص 25.

[2] محمد مهاتير: الموسوعة، العلم والتكنولوجيا وحقوق الانسان،المجلد7، ص60.

[3] محمد مهاتير: طبيب في رئاسة الوزراء، ص 46.

أبرز ما عبر به عن حبه وغيرته على بلاده و انتقاده الذي استفز من خلاله مشاعر الملايويين وعنّفهم على التكاسل والرضا بالمراتب الدونية، وتحذيرهم من المصير المخزي الذي ينتظرهم ما لم يسارعوا إلى تغيير ذهنياتهم و قناعاتهم.

أما التداول على السلطة فكان قناعة راسخة في فكر محمد مهاتير الذي ترك رئاسة الوزراء وهو في قمة النجاح، وكل الماليزيين يقدرون طبيبهم الذي أبدع في تشخيص أدواء ماليزيا، ، وأبدع في وصف الدواء الذي عالجها، وقضى على الفقر والجهل والتخلف في دولة كانت تعيش على الزراعة، وتعاني التخلف والفقر، لكن الرجل لم تغره السياسة ولا بريقها ليثبت أنه أراد السلطة كقوة دافعة إلى التغيير، وإلى أن يطبق قناعاته ويحقق أحلام ملايوي مسلم، أراد لبلاده مزاحمة القوى الكبرى، وتبوأ مكانة بينها، بقوة ناعمة مختلفة عن التسلح والتدمير، بل بالعمل الجاد، وبناء الإنسان ليكون مصلحا في الكون متعاونا مع بني جنسه، ومتعايشا مع من يخالفونه الرأي و المعتقد. وحين وجد أنه حان الوقت لإفساح المجال لغيره، قال إنه لن يتولى أي مسؤوليات رسمية بعد 31 اكتوبر 2003، لأنه من المهم أن يتولى قيادة ماليزيا جيل جديد بفكر جديد[1]. والحقيقة أنه تقليد ماليزي، سبقه إليه سلفه "تون حسين عون" والذي استقال بسبب المرض، لكنه استقال، ومهما تكن الأسباب فإنه يظهر لنا سلوكا غريبا، لأننا في العالم العربي نعيش أنظمة لا تعترف بالتداول على السلطة، وأنها ديمقراطية بوجه نظام ملكي مدى الحياة إلا في حالات نادرة، أما في ماليزيا فالسلطة سبب ووسيلة من وسائل خدمة الوطن، ولما سئل محمد مهاتير عن نظرته إلى السلطة من حيث كونها هدفا في حد ذاتها، أجاب انها لم تكن بالنسبة إليه هدفا أبدا، إنما كانت وسيلة قوية لتحقيق أهداف وأفكار ما كانت لتتحقق وهو خارج السلطة، وأن خدمة ماليزيا تبقى أمانة يؤديها في أي مكان يكون فيه خارج السلطة[2]، و الواقع أن فكرة الإستقالة راودته قبل ذلك بكثير وبالضبط في أواخر 1997، وكان بقاؤه بعد ذلك تلبية للواجب الوطني وعدم التخلي عن ماليزيا في عز أزمة العملة التي عصفت بالدول الجنوبية لشرق آسيا، ولما مرت الأزمة بسلام رأى أن الوقت حان، لكن هذه الروح الوطنية قوبلت باعتراف " أمنو" بما قدمه مهاتير وتشريفه بلقب :" الرجل المحبوب"، وكذا اعتراف ملك

[1] محمد بابا عمي: القاموس الحضاري للمجدد محمد مهاتير، ص31.

[2] المرجع نفسه ، ص33.

ماليزيا بصنيع هذا الرجل الناجح فقرر منحه في 19 أكتوبر 2003 أعلى وسام مدني في ماليزيا، وهو وسام :" سيري مهراجا مانغو نيجارا" أو ما يعرف باللقب: "تون"[1] وهو أهل له عن جدارة واستحقاق.

المطلب الثاني: القيادة المدنيّة

1- نظام الخدمة المدنية:

يقوم هذا النظام على تولي كفاءات مختصة في الإدارة والتسيير، ومدربة على الخدمة العمومية بما يتماشى مع تطلعات وطموحات القيادة السياسة، وإضفاء طابع الحركية والديناميكية السياسية، وتغليبه على البيروقراطية أحد عوائق التنمية، نظرا للعراقيل وكثرة الوثائق وعدم التنسيق والسماح بالمتابعة، ما يعطل المشاريع وينفر من الإستثمار، وقد تفطن مهاتير محمد إلى عائق البيروقراطية، وهو ينتهج سياسة "النظر شرقا" ويطمح إلى تسريع عملية التنمية في ماليزيا، وجلب المستثمرين ومساعدتهم على الإسهام في نهضة بلاده، فكان من الضروري تطوير مفاهيم إدارية كثيرة لتحديث الإدارة، و تعزيز ثقافة الإنضباط والولاء للأمة و للمؤسسة، والإخلاص والتفاني في العمل وفق القيم الإسلامية و القيم الآسيوية، خاصة منها اليابانية، وكذا ضرورة اختيار مديرين جيدين ليكونوا قدوة[2] ويحرصوا على التأكد من تنفيذ قرارات الحكومة، والسهر على الإلتزام بتنفيذيها، ومتابعة الأوامر بصرامة، ما يضمن إمتلاك إدارة جيدة، ويقظة، ونزيهة، لتكون أداة لمكافحة الفساد[3] باعتباره آفة التطور والإزدهار. كما أدرك أنه يجب توسيع مفهوم الشراكة الذكية والعمل به، في أي مسعى يحقق التعاون والخير للجميع، ما ساعد على تقبل جهاز الخدمة المدنية للقطاع الخاص على أساس كونه عاملا مهما في معادلة النمو الماليزية، وأداة فعالة لبناء الأمة، والخروج بها من محنة التخلف والتبعية، واللافت للإنتباه أن رؤساء الحكومة الماليزية ومنهم محمد مهاتير، لم يكن واحدا منهم من المؤسسة العسكرية بل كلهم أبناء جهاز الخدمة المدنية، ما يعني أمرين مهمين، الأول ابتعاد الجيش عن السلطة، واعتباره وزارة من الوزارات التابعة لرئيس الوزراء، ومنه فسلطة المؤسسة العسكرية تابعة لسلطة أعلى

[1] محمّد مهاتير: طبيب في رئاسة الوزراء، ص902.

[2] محمد بابا عمي: القاموس الحضاري للمجدد محمد مهاتير، ص27.

[3] محمّد مهاتير:الموسوعة،التحدّي، المجلد2، ص180.

منهـا وهـو مـا هيـأ الإسـتقرار لماليزيـا، بينمـا في الـدول العربيـة والإفريقيـة تتـولى المؤسسـات العسـكرية إدارة البـلاد علـى خلفيـة الوصـاية، و المـن علـى البـلاد و العبـاد بالـدور الـذي تلعبـه الجيـوش في تـأمين الإسـتقلال والحفـاظ علـى السـيادة. والثـاني ضـمن حيـاد المؤسسـة العسـكرية وبعـدها عـن الحيـاة السياسـية، لماليزيـا التحقيـق الفعلـي للديمقراطيـة. و الإنتقـال السـلس للسلطة وفق ما تقرره صناديق الاقتراع[1] لاوفق ماتمليه قيادات الجيش.

ودليـل بعـد الجـيش عـن الحيـاة السياسـية أن ميزانيـة الجـيش المـاليزي لا تتجـاوز الـ 3% مـن إجمـالي الـدخل الـوطني [2] ، بينمـا تكـون موازنـة القـوات المسـلحة في البلـدان العربيـة هـي أعلـى ميزانيـة في البـلاد، كمـا أن مهنيـة الجـيش المـاليزي جعلتـه يتجـرد مـن الأطمـاع السياسـية وحـتى مـن يرغـب في الترشـح للإنتخابـات يفعـل ذلـك بعـد خروجـه مـن الجـيش، ولأن رئـيس الـوزراء والـوزراء في الحكومـة الماليزيـة لا بـد أن يكـون مـدنيا[3] مـا جعـل ماليزيـا دولـة ديمقراطيـة يحكمهـا مـدنيون يحـترمهم العسـكر ويطيعـون أوامـرهم، ومـن نـاحيتهم يحـترم المـدنيون المؤسسـة العسـكرية[4] ويبجلونهـا تبجـيلا كبـيرا، و الواقـع يؤكـد ذلـك إذ نجـد أن الجـيش والشـرطة في ماليزيـا كـان يمكنهمـا اسـتغلال أحـداث الشـغب العرقيـة الـتي انـدلعت سـنة 1969 والإسـتيلاء علـى السـلطة بـدعوى السـيطرة علـى الغليـان السياسـي وانفـلات الأوضـاع، إلا أن حكمـة ورزانـة كـل منهمـا جعلـت تـدخلهما بنـاء علـى أمـر الحكومـة ووفـق مـا سـيطر علـى الأجواء، ليعود كل إلى مهامه ويعم الهدوء بعد وقت وجيز.

بهـذا يكـون جهـاز الخدمـة المدنيـة عـاملا مـن عوامـل نجـاح السياسـة التنمويـة الماليزيـة، وسببا لتحقيـق الإسـتقرار لا سـيما مـع مـا أتخـذ مـن إجـراءات إداريـة صـارمة لمحاربـة الفسـاد، وبيـان قـيم وأخـلاق العمـل، والحـرص علـى النزاهـة و الكفـاءة و الإنضـباط، ومعاقبـة مـن يخالف أحكام الالتزام و النزاهة .

2- الراهن وواجب الأمة:

ازداد العـالم الاسـلامي بالإسـتعمار تخلفـا ماديـا، واسـتلابا حضـاريا، سـعت ظـروف متنوعـة لتكريسـه، و سـاد ثـالوث الجهـل و التخلـف والفقـر غالبيـة دولـه، وفي المقابـل اتجـاه

[1] محمد مهاتير، الموسوعة، ماليزيا، المجلد 5، ص35.

[2] عادل الجوجري: النمر الآسيوي محمد مهاتير، 127.

[3] المرجع نفسه، ص129.

[4] محمد مهاتير: الموسوعة، العولمة والشراكة الذكية و الحكم،المجلد 4،ص60.

عكسي للغرب بدوله الإستعمارية، وهي تبني تقدمها وازدهارها على الإستنزاف والغصب المادي والبشري، لخيرات الدول المستعمرة، وتغرس في وعيها ثقافة التبعية، وأحادية التوجه بل وضرورة إتباع الغرب واقتناء منتجات حضارته إذا ما فكرت في النهوض، كما شجعت الأدمغة والطاقات المبدعة على الهجرة، لتمهيد أوساط هذه الدول المغلوبة والمنهكة من الظلم الإستعماري، لتقبل الثقافة الغربية، دون استثناء بريق الحضارة الغربية الداعي إلى مركزية الغرب في جميع الميادين، مقابل التخلف الفكري الثقافي والإنحطاط الإجتماعي والإقتصادي الذي تقنعها أنه واقع، من العبث محاولة تغييره، للبون الشاسع بين الغرب أي العالم المتقدم والعالم المتخلف.

لكن العالم الإسلامي بمرجعيته الدينية وخلفيته الحضارية، أنجب أجيالا من المصلحين الذين لم تسكت أفكارهم ونضالاتهم عن تبيين الحق للناس، ودفعهم إلى جهاد التخلف و الفقر والجهل كما جاهدوا المستعمر وطردوه من بلدانهم فتعالت صيحات " "جمال الدين الأفغاني" و" محمد عبده" و" محمد بن عبد الوهاب" و" بديع الزمان سعيد النورسي" و" وعبد الحميد بن باديس" وغيرهم كثيرون لاسيما "مالك بن نبي" الذي كان يهز العالم الإسلامي بالدعوة إلى التغيير والرجوع إلى القرآن الكريم وإلى قوله تعالى﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ﴾[1]، وقد أثبت الواقع أن الذين سعوا إلى التغيير ووفروا لذلك الأسباب اللازمة، وضعوا أقدامهم على الطريق الصحيح، وأستلهموا الصراط القويم من هدي القرآن الكريم، ومنهم الشعب المالايوي الذي تلمس طريق التغيير بقيادات استرشدت بالقرآن الكريم و السيرة النبوية الصحيحة، حيث استطاع أول رئيس للوزراء في ماليزيا " تنكو عبد الرحمن"[2] إقناع الأحزاب القائمة على أسس عرقية، وإثنية بالدخول في ائتلاف موحد فاز في أول انتخابات تنظمها ماليزيا، في ظل الحكومة البريطانية، ثم التي تليها بعد الاستقلال، وبحنكة قادة الإئتلاف خاصة القادة الملايويين أي المسلمين استطاعوا توجيه اهتمام الأنصار وعامة الشعب إلى التنمية والسياسات الإقتصادية المختلفة الهادفة إلى تغيير أحوالهم نحو الرقي، و التقدم، وكان لها ذلك.

[1] سورة الرعد، الآية: (11)

[2] محمد مهاتير: الموسوعة، الإسلام والأمة الاسلامية، المجلد1 ص145.

أما في عهد محمد مهاتير الذي طالما أعتز بكونه مسلما، وُلِدَ مسلماً ونشأ أيضا مسلما، وإيمانه قوي وعقيدته ليست محل تشكيك كما يقول في مذكراته[1]وأنه تعلم في مرحلة صباه الصلاة والصيام، ولا يتخيل نفسه إلا مسلما، وبلاده " ماليزيا " دولة مسلمة دستورها يقر أن الاسلام دين الدولة وأسلمة الإدارة أمر واضح وليس محل نزاع، ويجب الإعتراف أن ماليزيا منذ أن تبنت القيم الإسلامية في إقامة الدولة على التعاليم الإسلامية عرفت التطور والإزدهار ونمت على نحو لم تعرفه من قبل، وسادها الأمن و السلام و الإستقرار، رغم أنها دولة متعددة الأعراق و الأديان.

وقد سعي إلى توجيه الملايويين إلى فهم الإسلام فهما صحيحا، وتطبيقه ليشمل الحياة الدنيا بكل جوانبها، منبها إلى أن الإسلام ليس مجرد طقوس تؤدى، و تحصيل المعرفة التي تكسب الثواب في الآخرة أي المعرفة الشرعية[2] بل هو منهج حياة متكامل، يستغرق الحياة على امتدادها بين الدنيا و الآخرة، ويوجه إلى المسلمين اللوم الشديد على الحال التي أوصلوا أنفسهم إليها من الهوان، والضعف، وأهم سبب لذلك تخليهم عن تعاليم الإسلام الحقيقية، أو فهم الإسلام فهما خاطئا، جعلهم يخلقون حاجزا بينهم وبين غير المسلمين[3] من جهة، ومن جهة أخرى بين المسلمين بعضهم مع بعض، وهي حواجزساعدت العدو في إحراز تقدم كبير في تشويه صورة الإسلام الناصعة، وفي بث بذور الفرقة والطائفية بين المسلمين وتركهم ينحر بعضهم بعضا وهي تصدر إليهم الأسلحة وتستنزف خيراتهم على حين غفلة منهم، بخطط غاية في الدقة والخبث، يغذيها الحقد الدفين على الإسلام وأتباعه.

وعى محمد مهاتير مشاكل وأدواء الأمة الإسلامية، وحاول بخلفيته الطيبة أن يشخصها تشخيصا دقيقا ثم يصف لها العلاجات المناسبة، مثل قوله بأن مستقبل الأمة الإسلامية في جانبه الاقتصادي، مرهون بالإرادة الجادة للأمة في الخروج مما تعانيه، إذ لا يوجد ما يمنعها من النهوض مجددا متى كانت جادة في تحقيق ذلك [4] واقترح على الأمة أن تعد نفسها للتصدي للتحديات المستجدة بأمور ثلاث هي:

---

[1]محمد مهاتير: طبيب في رئاسة الوزراء، ص565.

[2]محمد مهاتير: الموسوعة، الاسلام و الأمة الاسلامية،المجلد1، ص 62.

[3]المصدر نفسه ،ص95.

[4]محمد مهاتير: الموسوعة، الاسلام و الأمة الاسلامية ،المجلد1، ص78.

- التكيف مع الواقع الراهن: أي قبوله، وإدراك أنه نتيجة التقاعس وترك الدين وتوجيهاته، وفي المقابل كد الأعداء واجتهادهم في تحقيق الرفاه والتقدم كما خططوا له وتوجيه الأحداث بما يخدم مصالحهم .

- التعامل مع هذا الواقع بإيجاد وسائل التغيير لما هو مردود منه والإفادة مما هو نافع عند الغير من نظم، وسياسات أدت إلى النجاح.

- التمسك بجوهر وأصول الدين الإسلامي الحنيف، وتطبيقه لإدراك الخير والصلاح، وحسن عرضه على الغير لإزالة الصورة المشوهة التي يسعى الأعداء إلى تكريسها.

والملاحظ أن محمد مهاتير أدرك أمر هاما غاب عن الكثيرين، وهو أن الإسلام أكبر من أن يحصر في ضرب الأعناق وقطع الأيدي، وفرض التعليم الديني ومنع التعليم الدنيوي[1]، إذ كان يرى أن الإسلام أمانة في أعناق المسلمين، عليهم حسن عرضها على الناس، بتحقيق العدالة الإجتماعية، و التمسك بقيمه الفاضلة وتعاليمه السمحة، و الجد في العمل و الإخلاص فيه، والسعي إلى تحقيق الشهود على الأمم بالعلم و التفوق في جميع المجالات، وكذا بممارسة الشعائر وإدراك الحكمة منها بما ترسخه في أخلاق الإنسان من أدب وحسن معاملة، ومراقبة لله تعالى في الأعمال سرا وعلانية. كما أن محمد مهاتير أدرك أن القرآن دعا المسلمين إلى إقامة مجتمع مسلم وأمة مسلمة، وأن الجهاد الحقيقي هو تحقيق الوحدة والأخوة بين المسلمين[2] واكتساب العلوم، وفنون إدارة الدولة بمهارة عالية، وإعداد الشعوب الإسلامية للمساهمة بفاعلية في استرجاع أمجاد الأمة الضائعة، وتبوأ المكانة اللازمة لهم في الكون، أي أن الإسلام منهج حياة متكامل، ولا وجود للفصل بين شعائر الإسلام والأخلاق الفاضلة التي دعا إليها[3]، وأذكر في ذلك ما استدل به مهاتير في ارتباط شعيرة الحج بمدلولات عملية تتعلق بالحياة ، في كلمة ألقاها في المؤتمر الدولي للحج المنعقد بالعاصمة الماليزية كولالمبور في 30 سبتمبر 2000[4] حيث بين فيها أن الحج ليس مجرد شعيرة دينية، بقدر ما هو مؤتمر جامع للمسلمين، يحقق الأخوة الإيمانية بينهم، كما

[1] محمد مهاتير:طبيب في رئاسة الوزراء، ص568.

[2] عادل الجوجري: النمر الآسيوي محمد مهاتير، ص111

[3] عبد المجيد النجار: مراجعات في الفكر الإسلامي، ص38

[4] محمد مهاتير: الموسوعة: الإسلام والأمة الإسلامية،المجلد 1، ص 57.

يحقق التعارف و التعاون وتبادل الخبرات بينهم أيضا. كما أن المغزى من تحريم القتال والتنازع و الفسوق وكل أنواع الأذى، هو تعليم المسلمين أن هذه هي الأخوة التي ينبغي لهم التحلي بها في الحج وبعد الحج، كما يعلمهم احترام الزمن، والمسارعة إلى الخير و العمل الصالح النافع. ويذكر أن القرآن الكريم يأمرنا بأن نحافظ على سلامة أنفسنا، وأن نعد العدة اللازمة للدفاع عن أنفسنا وأرضنا وأعراضنا وديننا، وبما نرهب به أعداء الله وأعداءنا وأن نتسلح بالعلم والمعرفة لتحقيق الشهادة على الأمم[1]، لأن منهج الإسلام في الحياة هو الأسلوب الذي يكفل للمسلمين وللإسلام الإحترام و التقدير، ويحقق لهم المهابة في نفوس الأعداء .

هكذا ينبغي أن نجعل من الاسلام روحا تسري في أفعالنا وأقوالنا وفي أفكارنا لتكون باعثا على الاضطلاع بالأمانة، التي لا تتحقق إلا باستقامة المسلمين على الصراط المستقيم، والإهتداء بأحكام الدين القويم، ونتمكن من الخروج من الحالة المزرية التي تطبق على الأنفاس، إلى التفوق والريادة التي ترجعنا خير أمة أخرجت للناس من جديد.

المطلب الثالث :مواقف محمد مهاتير:

سنستعرض في هذا العنصر موقف محمد مهاتير من قضايا مختلفة منها:

1- **الديمقراطية:**

يرى مهاتير أن أكثر الأنظمة التي اخترعها الإنسان، عدلا وإنتاجية وتمدينا، النظام الديمقراطي، الذي يدور حول مشاركة الشعب في الحكم وفي اختيار ممثليه، لكن لا تنفك عن عيوب ومساوئ متعددة كنظام من حيث المبدأ والتطبيق، أما الديمقراطية بالمفهوم الغربي وهو المفهوم السائد، والذي فرضته الليبرالية كصيغة فريدة لأية ممارسة مرجوة لها تتلخص في إرادة الهيمنة، وفي كونها تمجد حقوق الفرد على حقوق الجماعة، والأقلية على الأغلبية، لذلك يرى مهاتير أنه من الضروري لماليزيا[2] وللدول غير الغربية عموما من اختيار نظم ديمقراطية خاصة بالبيئة و القيم الآسيوية، لأن النظام الديمقراطي ليس قانونا مقدسا مادام من وضع الإنسان في ظروف زمانية ومكانية خاصة، ومن العبث فرضه كمفهوم واحد للممارسة الديمقراطية. مؤكدا أن ماليزيا بحاجة إلى استقرار سياسي قبل أي شيء

[1] محمد عمارة: فقه الحضارة الإسلامية، ص46

[2] محمد مهاتير: الموسوعة، الإسلام والأمة الاسلامية، المجلد1، ص 177-178.

لتنجح في ترتيب بيتها من الداخل أولا، بعيدا عن كل أشكال التدخل والوصاية الخارجية بالضغط الممارس من طرف القوى الغربية التي كانت بالأمس دولا استعمارية[1] ، وهي اليوم ليست مستعدة للتخلي عن مستعمرات الأمس،إذ تتخذ هذا الضغط السياسي على اختيار نوع النظام الذي يخدم مصالحها، وسيلة فعالة تبلغ بها حقيقة ما تريده، وإلا تستخدم الشعوب وتحرضها على استخدام العنف ضد الحكومات وإجبارها على ترك المكان للقيادات "الدمى" والتي تكون قابلة للتوجيه والإستخدام .

ويرى أن صلاحية أي نظام للحكم تعتمد على صلاحية القائمين عليه، وأن جودة النظام أو سوءه تتحدد على قدر كفاءات وقدرات المسؤولين عن تطبيقه، و الوصول إلى الإستقرار المنشود والتنمية المطلوبة، ومنه فالماليزيون مطالبون بالعمل على بلورة نظم ديمقراطية خاصة بهم تجعل، صناديق الإقتراع هي الوسيلة الوحيدة للصول إلى الحكم والبقاء فيه أو التنحي في حالة العجز وعدم الكفاءة، بعيدا عن الفوضى .

ونستطيع أن نتصور خوف مهاتير من الأقنعة الإمبريالية، التي تنوعت وأعدت خصيصا باسم الديمقراطية و الحرية وحقوق الإنسان لتكون وسائل مشروعة في أيدي المستبدين لإيجاد الأنظمة المطلوبة، وتغيير أو إسقاط الحكومات وقتل الملايين وتدمير البنى التحتية للبلدان المتمردة باسم الديمقراطية، ولو استدعى الأمرإلى التآمر، أو اغتيال القيادات الرشيدة في بلدانها. والخروج في النهاية بملاحظة أن القوى الباغية لن تتوقف عن بغيها وظلمها وتجبرها إلا في حالة الوعي المشترك بين الشعوب الثائرة و قاداتها المدافعين عن استقلالها وحريتها، وإيجاد الوسائل الخاصة للحكم النزيه و الراشد.

2- الأخوة:

يعطي محمد مهاتير مفهوم الأخوة بعدا فكريا ودينيا كبيرا، من حيث كونه ثاني شيء قام به النبي ﷺ لما وصل المدنية المنورة بعد بناء المسجد، للدلالة على أهمية هذه القيمة التي أمر بها القرآن الكريم في قوله تعالى﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴾[2] وكان عمل الرسول ﷺ في المؤاخاة بين الأنصار والمهاجرين قائما على مضمون هذه الآية وآيات أخرى كثيرة. وما تعيشه الأمة الإسلامية

[1] محمد بابا عمي: القاموس الحضاري للمجدد محمد مهاتير، ص 182.

[2] سورة الحجرات، الآية: (10)

اليوم من ضياع وتناحر إلا بسبب غياب مفهوم الأخوة الإسلامية[1]، ما سهل الإنقسام والتشرذم وفوقه تكفير كل طائفة لمن يخالفها، ومحاربة الدولة المسلمة للدولة المسلمة جارتها من منطلق إنكار مفهوم الأخوة الإسلامية وغيابه، وحري بالمسلمين أن يفهموا أن عقيدتهم تحثهم وتأمرهم بأن يعتبر كل واحد منهم الآخر أخاه، بصرف النظر عن الإختلافات السياسية أو الفكرية أو غيرها، كما يعتبر العنف والكراهية في قلب المسلم لإخوانه، خيانة للإسلام، وتخاذل عن الإلتزام بأوامر الله تعالى، القائمة على تحقيق الخير للإنسان، وتنظيم حياته وتوجيه تطلعاته نحو القضايا الكبرى، و الإهتمامات الكفيلة بإعادة الكرامة للمسلم، والمكانة المرموقة للأمة، والصورة النقية للإسلام.

3- الارهاب:

يلصق الغرب لفظ " الإرهاب" بالإسلام، وبذلك تكون هذه التسمية صورة من صور الحقد الصليبي، و الذي- حسب مهاتير- يكون قد بدأ بالضبط من الحروب الصليبية التي كانت تؤججها مشاعر الكره والبغض للإسلام، وتطور إلى درجة تحقق فيها الترادف بين الجرائم المختلفة وبين الاسلام، تحت مظلة " الإرهاب" .

ويرى مهاتيرأن أساليب تهديد أمن الأبرياء وإزهاق أرواحهم وغيرها من الجرائم هي من بنات أفكار الأوروبيين. وأن أنواعا كثيرة من الجرائم الإرهابية في الستينيات والسبعينيات من القرن الماضي كانت من صنع الدولة الأوربية ويستدل على ذلك بـ:

- انتشار العصابات الإرهابية في أروبا مثل عصابة " بادر ماينهوف"[2]
- ترجع أول عملية اختطاف طائرة وتحويلها وتهديد أمن ركابها إلى أوروبيين.
- تعد إيرلندا الشمالية مسرحا ثريا للعمليات الإرهابية التي تستهدف الأبرياء والضعفاء كالأطفال والنساء والشيوخ والعجزة، في الأماكن العامة.

ليؤكد أن أروبا هي المحضن الأول الذي نشأ فيه الإرهاب، لكن الأوروبيين يتناسون حروب الابادة والجرائم المنكرة التي ارتكبوها بعد سقوط الأندلس لا سيما محاكم التفتيش وأساليب القتل الوحشي للمسلمين، أو الجرائم التي ارتكبها الصرب ضد المسلمين في البوسنة من قتل وإبادة الشباب والرجال المسلمين، واغتصاب مئات الآلاف من النساء و

[1] محمد مهاتير: الموسوعة، الإسلام و الأمة الاسلامية،المجلد1، ص95-96

[2] المصدر نفسه، ص 100.

الأدهى والأمر أن قوات حفظ السلام الأممية هي التي سلمت القرى الآمنة في البوسنة والتي من المفروض أن تتولى حمايتهم، إلى الجيوش الصربية ليعيثوا فسادا في صفوف مواطنين عزل، أو الإعتداء على سيادة دولة كالعراق باسم مكافحة الإرهاب، وقتل الآمنين وفتح السجون للأبرياء، وكذا مختلف الدول الإسلامية.[1]

ويزيد مهاتير في تعداد مظاهر العنف و الإرهاب الأوروبي التي تبلغ ذروتها عنده، بما فعله الغرب حين أراد أن يتخلص من اليهود، بزرعهم في قلب الوطن العربي، لتكون ردود أفعال الفلسطينيين أصحاب الأرض المغتصبة في زمرة الإرهابيين وفي الوقت ذاته يستنكر أن لا يعتبر الغرب جرائم الهندوس والبوذيين ضد المسلمين في بورما، والهند وسيريلانكا وغيرها من الدول الأسيوية إرهابا رغم أنها أعمال تطهير عرقي ضد المسلمين

كما يستغرب مهاتير سلوك الغرب في هذه المسألة، واتباعه سياسة الكيل بمكيالين، إذ بصدور الإرهاب من المسلمين يبرز على أنه حكر على الإسلام، وأنه فعل إسلامي المبدأ والغاية، أما إذا صدر من جهات أخرى من غير المسلمين في أكثر التقديرات، يعتبر فعلا إرهابيا دون ربطه بدين مرتكبيه أو انتماءاتهم. لأجل ذلك يرفض ربط الإسلام بالممارسات الإرهابية، لأن الإسلام دين التسامح والرحمة، وجاءت تشريعاته لنشر السلام و الطمأنينة في ربوع الدنيا، وبين البشر جميعا، كما جاءت لتحارب العنف والتطرف والجهل والأذى، والبعد عن الحقد و الضرر مهما كانت الأسباب، لأن كل الإختلافات يمكن حلها بالحكمة والحوار، والطرق السلمية.

4 –العولمة:

يعني هذا المصطلح حرية تدفق رأس المال والسلع من الدول الغنية إلى الدول الفقيرة[2] أما بالنسبة للدول المتقدمة فتعني تحطيم الحدود والحواجز التي تقف في سبيل الإستغلال والسيطرة، ما سيعرض الدول النامية للعجز عن حماية نفسها، وشركاتهاواقتصادها، وما سيتبع هذا الإنفتاح من هيمنة على السياسة مرورا إلى الثقافة، وهو الأمر الذي يحذر منه محمد مهاتير ويدعو الدول النامية إلى تحصين اقتصادها وثقافتها، وتوجيه العولمة بما يتلاءم والخصوصية الدينية و الثقافية والإقتصادية لكل دولة،

[1] محمد مهاتير: الموسوعة، الإسلام و الأمة الاسلامية،المجلد1، ص101.

[2] محمد مهاتير: الموسوعة، العولمة والشراكة الذكية والحكم، المجلد4 ، ص 69

كما ينصح باتخاذ التدابير اللازمة قبل أن تتمكن الهيمنة الغربية من الوصول إلى مخططاتها، ويربط الأحداث ببعضها لنفهم أنه لا يرجى خير من الغرب، إذ بالأمس القريب تم التهليل لسقوط المعسكر الشرقي، وانتهاء الحرب الباردة، الذي أدى إلى موت ودمار الكثيرين، لنتخيل النتيجة الحتمية للعولمة والتي ستزيد من فقر الفقراء وثراء الأغنياء، دون مراقبة و لا ضوابط[1]، ما يوجب على الدول النامية اختصار المراحل، والدخول إلى العالم المفتوح عبر الثورة التكنولوجية، وتحقيق النديّة فيه، ببذل الجهود وتحقيق التقدم العلمي و التكنولوجي، ثم التكيف مع المتغيرات و الحرص على الهوية والثقافة والقيم التي ستحميها من أخطار العولمة.

ونلاحظ أن مهاتير فعلا قد تمرد على المخططات العولمية، التي قادتها أمريكا والدول الغربية مع صندوق النقد الدولي، والتي كانت تهدف إلى إضعاف النمور الآسيوية وإيقاف مسيرة نموها، بضرب عملاتها، وإجبارها على اللجوء إلى صندوق النقد الدولي لتتم لهم السيطرة على هذه الدول وإدارة سياستها، واقتصادها، و الإستيلاء على خيراتها وثرواتها وكذا ضمان عدم نهوضها وتقدمها وأمن منافستها، هكذا فهم مهاتير لعبة العولمة وحقيقة النوايا الغربية من وراء إبداعاتها الواحدة تلو الأخرى، دون أن يغيب عنه الحقد الغربي، و الطمع الامبريالي، الذي يطل على البشرية بعد كل فشل بوجه جديد، يسعى من خلاله إلى تحقيق أهدافها الإستعمارية التوسعية بأية وسيلة وبأي ثمن

5- حقوق الانسان :

يفسر الغرب "حقوق الانسان" بأنه لكل فرد الحق في عمل أي شيء يريده دونما قيد، والحكومات لا ينبغي لها أن تقف ضد الرغبات الشخصية لأي فرد في المجتمع[2] فكان ذلك دافعا قويا للأفراد كي يكسروا قيود القوانين والقيم والدين، وحتى العادات والأعراف. ويؤكد مهاتير مرة أخرى كيف يتعامل الغرب مع المسألة بوجهين، إذ تشتد الإدانة للدول غير الغربية بسبب ما يزعمون أنها خروقات لحقوق الانسان، ويهددون بفرض العقوبات وسحب المعونات والقروض في حالة الإستمرار، بل ويصل التهديد إلى التدخل العسكري ضد من ينتهكون حقوق الانسان- في غير الدول الغربية. و المثير للتعجب أن

---

[1] محمد مهاتير: الموسوعة، العولمة والشراكة الذكية والحكم، المجلد4 ، ص 214.

[2] محمد مهاتير،:الموسوعة،العلم و التكنولوجيا وحقوق الانسان،المجلد 7، ص34

من يقوم بذلك ليس الأمم المتحدة المخولة لهذه المهمة، بل أمريكا هي من تفعل ذلك بغطاء أوربي، ويضرب مهاتير مثالا عن نفاق الغرب بالدليل الواقعي، في قضية الإنتهاكات المريعة في البوسنة و الهرسك من طرف الصرب، وكل ما فعلته الأمم المتحدة هو إرسال قوات حفظ السلام التي –حسبه– لم تحفظ إلاّ سَلاَمَ الصرب وأقصى ما فعلته هو تهديد الجيش الصربي، بعد قتل ما يزيد عن 200 ألف من المسلمين، واغتصاب عشرات الآلاف من النساء المسلمات، وقتل الشباب والرجال تحت التعذيب الوحشي في معتقلات مجرمي الحرب، وطرد وتهجير الملايين من أراضيهم، وهددتهم بالإنسحاب، وانسحبت فعلا تاركة آلة التطهير العرقي و الإجرام الصربي تحصد المزيد من الأرواح وترتكب المزيد من المجازر .

أما المثال الثاني فهو القضية الفلسطينية، إذ وقف مهاتير موقف المناصر لها في كل المحافل الدولية، مبينا أن الكيان الإسرائيلي كيان استعماري، عنصري عدواني[1] يحظى بدعم أمريكي غربي محدود، يكفل له الحماية والوقوف بإشهار حق " الفيتو" في وجه أية محاولة لإدانة جرائم اليهود في فلسطين، خاصة وأن الغرب للتخلص من اليهود وشرورهم غرسوهم في قلب الأمة العربية ليحموا لهم مصالحهم، ويبعدوهم عنهم، والمضحك أن يُصَنَّفَ الفلسطينيون وهم يدافعون عن أرضهم في عداد الإرهابيين. لكن جرأة محمد مهاتير أقدرته على توجيه اللوم للمسلمين عامة وللفلسطينيين خاصة في إهمال عنصر توحيد الجهود ونبذ الخلافات[2] وإعداد العدة اللازمة للدفاع عن الأرض و القضية، وهو أمر لا يتأتى من أمة متشرذمة جائعة وخائفة، بل وتائهة بإهمال أسباب القوة، وعوامل النهوض والقدرة على الدفاع عن النفس، ونصرة الإخوان في العقيدة في أي مكان[3] وطبيعي أن يحافظ الغرب على حقوق الأقوياء، ويهمل حقوق الضعفاء، لأنه في الحقيقة يحافظ على حقوقه ومصالحه لا غير .

والمقنع في نظرة مهاتير إلى القضية أنه من السخيف على المسلمين وهم في أهون حال من التخلف و الصراع و التفرق أن يطالبوا الغرب بحمايتهم وقد عجزوا هم عن حماية أنفسهم، وأن يساعدهم وقد امتنعوا عن الأخذ بأسباب القوة ومساعدة بعضهم البعض

[1] عادل الجوجري: النمر الأسيوي، محمد مهاتير، ص 87.

[2] محمد مهاتير: طبيب في رئاسة الوزراء، ص 906.

[3] محمد مهاتير ، الموسوعة، الاسلام والأمة الاسلامية،المجلد1، ص267.

بل وأكثر من ذلك أحلوا أنفسهم محل السخرية بمطالبة الغرب بالكف عن إيذائهم، وأن يكون عادلا ونزيها في لعبة هو الرابح فيها لأنه مخترعها ومسيرها وممولها بخيرات الضعفاء المنهزمين، الذين انسحبوا من ساحة الحضور العالمي بحبس أنفسهم في الصراعات البينية،ذ والحياة الماضوية، وكذلك في خلافات مفتعلة، غالبا ما تغذيها أطراف خارجية، أو اللهث على كرسي الحكم، والغرق في الفساد بكل أنواعه، وجعل بلدانهم سوقا رائجة للأسلحة التي ينتجها الغرب لهم ليقتلوا بعضهم بعضا، وإذا استفاقوا من سباتهم ألقوا اللائمة على الغرب، وطالبوه باحترامهم واحترام حقوقهم، ولم لا، ضمانها.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

خاتمة الفصل:

هكذا حاولنا التطرق إلى جوانب النهوض الماليزي، وكيف نجح النظام في عهد محمد مهاتير من القفز بماليزيا نحو مزيد من الإستقرار والتعايش بين أطياف الشعب الماليزي، واحتواء فتائل الخلاف والتمزق داخل مجتمع متعدد الأعراق، بل و الإنتقال بهذا التعدد نحو جعله تنوعا وثراء، تراصت أطرافه تحت راية الوطن الواحد والهدف المشترك نحو التنمية و الإستقلالية، بقيادة طبيب مهر في مداواة الأجساد ثم انتقل إلى مداواة المجتمع وتشخيص علله المختلفة، ضمن لعبة ديمقراطية نزيهة، حيث لاينال منصب رئاسة الوزراء إلا من يختاره الشعب، ويقتنع أنه أهل له، ورغم أن فترة حكمه دامتلثلاث وعشرين سنة إلا أنها باختيار الماليزيين بكل قناعة وحرية، لرجل ميز الديمقراطية الماليزية عن الديمقراطية الأوروبية والأمريكية والغربية على العموم، عرفت خلالها ماليزيا نهضة عملاقة ضمن رؤية استشرافية لثلاثين سنة، تكون مع نهايتها، ضمن الدول المتقدمة، وكان له ذلك حسب ما ورد في العناصر السابقة في البحث.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

خاتمة

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

خلص البحث ألى الإجابة على كل الإشكالات التي تم طرحها في البحث مرتبة على النحو التالي:

1- وجود عاملان كان لهما أكبر الأثر في بناء شخصيّة محمد مهاتير الفكريّة و العمليّة، لا ينفصل أحدهما عن الآخر:

الأوّل: الأثر الأسريّو من ثم الديني الذي ترسّخ في عقله ووجدانه منذ طفولته وما غرسه والداه من قيم إسلاميّة و ثقافة دينيّة كانت له حصنا منيعا من التيه الروحيّ و الضياع الوجداني.

الثاني: معاصرته للظلم و الحرمان جرّاء الإستعمار البريطاني، و آثاره السياسيّة، الإجتماعيّة الثقافيّة و الإقتصاديّة، و محاولات الغرب فرض النموذج الغربي كنموذج أوحد. و كان نتاج العاملين فكرا مستنيرا بالوحي و الفهم الصحيح لآيات الله المنظورة أو المقروءة.

2-اعتماده على تجارب ناجحة و معاصرة له، يشترك مع أهلها في البيئة، ليعطينا تأكيدا على أنّ الأفكار تنمو في بيئات مشابهة لبيئة أصحابها، فإن أخذت و استنبتت في بيئات مخالفة ستموت.

3-فهم جيّدا معنى الحضارة، و أنّها ارتقاء و نهوض بالحياة في جانبيها الروحي و المادّي، إذ لا معنى لحضارة تهمل روح الإنسان، و لا تتشبّع بالقيم و الأخلاق التي تسمو به ليكون مستأنسا بالوجود، مؤثّرا فيه بالخير و الصلاح، و خير مثال الحضارة الغربيّة التي أوصلت الإنسان إلى الضياع و التيه، و التسابق المحموم نحو امتلاك أسباب الهلاك و الدمار.

4-استطاع أن يثبت أنّ أسس الحضارة التي أرساها القرآن و أخرج بها أمّة من التشرذم و الضياع، صالحة أن تخرج المجتمعات، كالمجتمع الماليزي، من التخلّف و الفقر و التشتّت، إلى الوحدة و التعايش و التقدّم.

5-كما استطاع أن يكسر حتميّة اتّباع الغرب كوسيلة وحيدة للنجاح، و كان له في سياسة النظر شرقا شرف ذلك.

6-أثبت أنّ الإنسان هو صانع الحضارة و هو محورها، و هو مبدأها و غايتها، و أنّه لا حضارة إلّا بما يتحقّق للإنسان من رفاه و سلام و خير يعمّ على الجميع.

7-الربح الحقيقي هو الذي يكون ضمن لعبة أربح أنا و يربح غيري، ليزداد ربحي و ربحه، أمّا الربح على حساب إفقار الآخر، هو مجرّد انتقال للثروة و لا يمكن تسميته ربحا أبدا.

8-موقفه المعتدل من الحضارة الغربيّة، و الذي اتّسم بالموضوعيّة، و عمق الفكر الذي مكّنه من استيعاب التطوّر التاريخي للحضارات، و الإقرار بمواطن القوّة فيها، و وجوب الإفادة منها و استخلاص سنن النجاح فيهاوتجنب مواطن الإخفاق والضعف فيها.

9-أعطى نموذج رجل السياسة و الحكم، الناجح في تحمّل أعباء بلده، و المخلص في سعيه للوصول به إلى الرقي و التطوّر.

10-كما أعطى درسا في التداول على السلطة حين قدم استقالته و هو في قمّة النجاح و قالها صراحة بأنّه يترك المجال للأجيال الصاعدة لتقدّم الجديد و تواصل مسيرة التقدّم.

فتح آفاق للبحث:

أتمنى أن تحظى التجارب الناجحة كالتجربة الماليزية بالدراسة والتعمق أكثر في أسباب وعوامل نجاحها والإستفادة في إيجاد نموذج حضاري متحقق، بدأت الحفر فيه أترك المجال لغيري كي يتعمق أكثر للوصول إلى نتائج أفضل، وتكون دراستي هذه منطلقا جادا للباحثين كي يثروا عناصرها، ويتعمقوا أكثر في دراستها، وكذا التفصيل أكثر في ماورد فيها مجملا، لأنها فعلا تجربة رائدة أثبت من خلالها محمد مهاتير الإمكان في تحقق انبعاث حضاري مرجعيته القرآن، و صانعه الإنسان التحلي بالقيم وصفات الجد والاجتهاد.

اقتراح مواضيع تصلح عناوين لبحوث جامعية:

- آليات الحكم الراشد عند محمد مهاتير.
- ماليزيا بعد محمد مهاتير.
- ماليزيا وسنغافورة (دراسة انفصال سنغافورة عن ماليزيا).
- محمد مهاتير ودرس في السياسة للحكام العرب والمسلمين.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

المصادر والمراجع

جامعة الأمير سطام بن عبد العزيز
كلية العلوم الإسلامية

مصادر ومراجع البحث:

❖ **القرآن الكريم:** برواية حفص عن عاصم.

I. المصادر:

محمد مهاتير:

1. **طبيب في رئاسة الوزراء**، (د.ط)، (د.ت)، ترجمة أمين الأيوبي، الشبكة العربية للأبحاث والنشر، بيروت.
2. **الموسوعة**،المجلد الأوّل:**الإسلام والأمّة الإسلاميّة**، ترجمة نخبة من كبار الأساتذة المتخصّصين في جامعات الأزهر، القاهرة والإسكندريّة، ط1، 2004م، دار الكتاب المصري، القاهرة.
3. **الموسوعة**، المجلد الخامس: **ماليزيا**، ترجمة نخبة من كبار الأساتذة المتخصّصين في جامعات الأزهر، القاهرة والإسكندريّة، ط1، 2004م، دار الكتاب المصري، القاهرة.
4. **الموسوعة**، المجلدالثّامن:**السياسة والديموقراطية وآسيا الجديدة**، ترجمة نخبة من كبار الأساتذة المتخصّصين في جامعات الأزهر، القاهرة والإسكندريّة، ط1، 2004م، دار الكتاب المصري، القاهرة.
5. **الموسوعة**، المجلد الرابع:**العولمة والشراكة الذكية والحكم**،ترجمة نخبة من كبار الأساتذة المتخصّصين في جامعات الأزهر، القاهرة والإسكندريّة، ط1، 2004م، دار الكتاب المصري، القاهرة.
6. **الموسوعة**، المجلدالسّابع:**العلم والتكنولوجيا وحقوق الإنسان**،ترجمة نخبة من كبار الأساتذة المتخصّصين في جامعات الأزهر، القاهرة والإسكندريّة، ط1، 2004م، دار الكتاب المصري، القاهرة.
7. **الموسوعة**، المجلدالثاني:**التحدي**، ترجمة نخبة من كبار الأساتذة المتخصّصين في جامعات الأزهر، القاهرة والإسكندريّة، ط1، 2004م، دار الكتاب المصري، القاهرة.
8. **الموسوعة**، المجلد التّاسع: **التنمية والتعاون الإقليمي**، ترجمة نخبة من كبار الأساتذة المتخصّصين في جامعات الأزهر، القاهرة والإسكندريّة، ط1، 2004م، دار الكتاب المصري، القاهرة.
9. **معضلة الملايو**، محمد مهاتير، ط1 ،1970 ، اسيان باسيفيك للإعلام، كوالا لمبور.
10. محمد مهاتير وإيشيهارا نسنتارو: **صوت آسيا**، ط1، 1998، دار الساقي، بيروت.

II. المراجع:

11. إبراهيم البيومي غانم وآخرون، **بناء المفاهيم، دراسة معرفيّة ونماذج تطبيقيّة**، ط1، 1423هـ-2008م، دار السلام، القاهرة، ج1.
12. إبراهيم محمود عبد الباقي، **الخطاب العربي المعاصر، عوامل البناء الحضاري في الكتابات العربيّة**، ط1، 1429هـ-2008م، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، هرندن، فيرجينيا، الولايات المتّحدة الأمريكيّة.
13. ابن باديس، **مجالس التذكير من كلام الحكيم الخبير**، جمع محمد الصالح الصديق، وتوفيق شاهي، ط3، دار الفكر بيروت، 1979.
14. أحمد الشرباصي، **موسوعة أخلاق القرآن**، ط1، 1401هـ-1981م، دار الرائد العربي، بيروت، ج1.
15. أحمد بن تيميّة، **شرح العقيدة الواسطيّة**، شرح محمّد الصالح العثيمين، خرّج أحاديثه سعد بن فواز الصميل، ط6 1221هـ، دار بن الجوزي السعوديّة.
16. أرنولد توينبي، **الحضارة في الميزان**، ترجمة: أمين الشريف، طبعة عيسى الحلبي، (د. ت)، القاهرة، ص20.
17. إسحاق الشاطبي، **الموافقات في أصول الشريعة**، د.ط، د.ت، دار المعرفة لبنان، المجلد 2. أبو

18. أبو الأعلى المودودي، **نحن والحضارة الغربيّة**، مؤسّسة الرسالة، (د. ط)، (د. ت).
19. أندرو ويبستر: **مدخل لسوسيولوجية التنمية**، ترجمة: حمدي حميد يوسف، ط1، 1986، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد.
20. أنور أبو طه وآخرون، **خطاب التجديد الإسلامي**، ط1، 1425 هـ، دار الفكر دمشق.
21. أوزوالد شبنجلر، **تدهور الحضارة الغربيّة**، ترجمة: أحمد الشيباني، ط1، 1964، مكتبة الحياة، بيروت، ج1.
22. أيوب مدحت، **السياسة الاقتصادية الماليزية**،(د. ط)، 2008، برنامج الدراسات الماليزية، كلية الاقتصاد والعلوم السياسية،جامعة القاهرة.
23. بديع الزمان سعيد النورسي، **الكلمات**، ترجمة: إحسان قاسم الصالحي، ط6، 2011، دار سوزلر للنشر، فرع القاهرة.
24. بديع الزمان سعيد النورسي، **اللمعات**، ترجمة: إحسان قاسم الصالحي، ط6، 2011، دار سوزلر للنشر، فرع القاهرة.
25. بديع الزمان سعيد النورسي، **المثنوي العربي**، ترجمة: إحسان قاسم الصالحي، ط1، 1415هـ-1995م، دار سوزلر للنشر، فرع القاهرة.
26. جابر سعيد عوض: **السياسات العامة في ماليزيا**، (د. ط)،2008، برنامج الدراسات الماليزي، جامعة القاهرة، مصر.
27. جودت سعيد: **اقرأ وربك الأكرم**، ط3، 1419هـ-1998م، دار الفكر المعاصر، لبنان.
28. جودت سعيد: **العمل قدرة وإرادة**، ط2، 1414هـ-1993م، دار الفكر، لبنان.
29. جودت سعيد: **كن كابن آدم**، ط1، 1997، دار الفكر دمشق.
30. جودت سعيد، محمد عنبر: **الإنسان والحق**، ط1، 1417هـ- 1996م، دار الآفاق والنفس، دمشق.
31. حافظ بن أحمد الحكمي، **معارج القبول بشرح سلم الوصول إلى علم الأصول**، تحقيق وضبط عمر بن محمود أبو عمر، ط1، 1418هـ، دار ابن القيم، الدمام، ج2.
32. ابن حجر العسقلاني، **فتح الباري بشرح صحيح البخاري**، دار المعرفة بيروت (د.ت)، ج6، كتاب أحاديث الأنبياء، باب 17، ص 378، الحديث رقم 3380.
33. أبو الحسن بن إسماعيل الأشعري، **الإبانة في أصول الديانة**، ط1، (د.ت)، دار بن زيدون، بيروت.
34. حسين مؤنس، **الحضارة**، طبعة 1، 1987، المجلس الوطني للثقافة والعلوم، الكويت.
35. حميدة النيفر، **النص الديني والتراث الإسلامي**،
36. أبو داوود السجستاني، **السنن الكبرى**، ج2، ص632، كتاب السنّة، باب الدليل على زيادة الإيمان ونقصانه، حديث رقم4682.
37. رالف لينتون، **شجرة الحضارة**، (د. ط)، 1990، ترجمة: محمّد سويدي، موفم للنشر، الجزائر، ج1.
38. سعد بن محمد العبيد: **التجربة الماليزية**،
39. سعيد حوى، **الأساس في التفسير**، ط7، 1430 هـ - 2007 م، دار السلام، مصر، ج1.
40. سميح عاطف الزين، **طريق الإيمان**، ط3، 1977، دار الكتاب اللبناني، بيروت.
41. سمير شيخاني: **أعلام الحضارة**، ج3، ط1 1401هـ-1981م، مؤسسة عز الدين للطباعة والنشر، بيروت.
42. سيد قطب، **في ظلال القرآن**، ط3، 1397 هـ- 1977م،دار الشروق، القاهرة، ج 3، و4، و6.
43. سيد قطب، **معالم على الطريق**، ط2، 1981، دار الشروق.
44. شلتاغ عبّود، **الثقافة الإسلاميّة بين التغريب والتأصيل**، ط1، 1422هـ-2001م، دار الهادي، بيروت.
45. شمس الدّين السخاوي، **الإعلان بالتوبيخ لمن ذم التاريخ**،
46. شوقي جلال، **التراث والتاريخ**، (د.ط)، 1995، سينا للنشر، القاهرة.

47. طاش كبرى زاده، **مفتاح السعادة**، تحقيق: كامل بكري ومجموعة من العلماء، ط دار الكتب الحديثة، 1968، القاهرة، ج1.
48. طه جابر العلواني، **الخصوصيّة والعالميّة في الفكر الإسلامي**، ط1(1424هـ-2003م) دار الهادي، لبنان.
49. طه عبد الرحمن، **الحقّ الإسلامي في الإختلاف الفكري**، ط2، 2009م، المركز الثقافي العربي، المغرب.
50. طه عبد الرحمن، **تجديد المنهج في تقويم التراث**،
51. طه عبد الرحمن، **سؤال الأخلاق**، ط5، 2013، المركز الثقافي العربي، المغرب.
52. عادل الجوجري، **النمر الآسيوي مهاتير محمد**، ط1، 2008، دار الكتاب العربي، دمشق.
53. عامر الكفيشي، **حركة التاريخ في القرآن الكريم**، ط1، 1424هـ-2003م، دار الهادي بيروت.
54. عبد الباقي إبراهيم محمود،**الخطاب العربي المعاصر، عوامل البناء الحضاري في الكتابات العربيّة**، ط1429،1هـ،2008م، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، هرندن، فيرجينيا، الولايات المتّحدة الأمريكيّة.
55. عبد الحميد أبو سليمان، **أزمة الإرادة والوجدان المسلم**، ط3، 1428 هـ-2008م، دار الفكر دمشق.
56. عبد الرحمن ابن خلدون، المقدمة،
57. عبد الرحمن بدوي، **موسوعة الفلسفة**، ط1974، بيروت،ج2.
58. عبد الرحيم عبد الواحد، **الدكتور محاضير محمد بعيون عربية وإسلامية**، ط1 أكتوبر 2003، دار الأبواء للنشر الامارات العربية المتحدة.
59. عبد العزيز الدوري وآخرون، **نحو مشروع حضاري نهضوي عربي**،ط2، 2005،بحوث ومناقشات الندوة الفكرية من تنظيم مركز دراسات الوحدة العربية، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت.
60. عبد القاهر البغدادي، **الفرق بين الفرق**، تحقيق محي الدين عبد الحميد، ط3، 1416هـ-1995م، المكتبة العصريّة، بيروت.
61. عبد الكريم بكار، **المشروع الحضاري**، ط1، 1431هـ -2010م، دار السلام، مصر.
62. عبد الكريم بكار، **من أجل انطلاقة حضارية شاملة**، ط4، 2011م، دار القلم دمشق.
63. عبد الكريم بكار،**مدخل إلى التنمية المتكاملة رؤية إسلامية**، ط4، 1432هـ-2011م، دار القلم، دمشق.
64. عبد الله العروي،**الإيديولوجيا العربيّة المعاصرة**، ط1، 1995م، المركز الثقافي العربي، بيروت.
65. عبد المجيد النجار، **الشهود الحضاري للأمّة**، ط2 1427هـ2006 م، دار الغرب الإسلامي،ج1 فقه التحضّر.
66. عبد المجيد النجار، **مراجعات في الفكر الإسلامي**، ط1، 2008،دار الغرب الإسلامي، تونس.
67. عبد المجيد النجار،**خلافة الانسان بين الوحي والعقل**، ط3، 1425هـ -2005م، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، الولايات المتحدة الأمريكية.
68. عبد المنعم الحنفي،**موسوعة الفلسفة والفلاسفة**، ط2، 1999، مكتبة مدبولي للنّشر، القاهرة، ج2.
69. عبد الوهاب المسيري، **الهوية والحركية الاسلامية**، ط1، 1430هـ- 2009م، دار الفكر، دمشق.
70. عضد الدين الايجي، **المواقف**، ط بولاق القاهرة 1913م، ج1.
71. علي عزت بيجوفيتش
72. علي محمد الصلابي، **السيرة النبوية**، ط1، 1428هـ- 2008م، دار الدعوة للطبع والنشر التوزيع الإسكندرية.
73. عمر النقيب، **النموذج القرآني للتربية**، ط1، 1434 هـ- 2013م، شركة الأصالة للنشر والتوزيع الجزائر.
74. عمر النقيب، **مقومات مشروع بناء إنسان الحضارة في فكر مالك بن نبي التربوي**،ط1، 1430هـ-2009م، الشركة الجزائريّة اللبنانيّة، الجزائر.

75. أبو عيسى الترمذي،**سنن الترمذي: كتاب العلم**، باب ما جاء في ذهاب العلم، رقم الحديث 2653،ج3.
76. غوستاف لوبون، **روح التربية**، ترجمة عادل زعيتر، دار إحياء الكتب العربية، القاهرة، 1949.
77. أبو الفضل جمال الدين محمّد ابن مكرم ابن منظور، الإفريقي المصري، **لسان العرب**، دار صادر، بيروت، المجلّد الثاني.
78. قسطنطين زريق، **نحن والتاريخ**، ط1، 1985م، دار العلم للملايين بيروت.
79. لإسماعيل محمد الصادق، **التجربة الماليزية: محمد مهاتير والصحوة الاقتصادية**، ط1، دار العربي القاهرة 2014.
80. ماجدة علي صالح،**سياسة التعليم وتنمية الكوادر البشرية في ماليزيا**،(د.ط)، 2008،برنامج الدراسات الماليزية، كلية الاقتصاد والعلوم السياسية، جامعة القاهرة.
81. مالك بن نبي، **الصراع الفكري في البلاد المستعمرة**، ط1 1434 هـ- 2013م، دار الوعي، الجزائر.
82. مالك بن نبي، **القضايا الكبرى**، ط1، 1434هـ-2013م، دار الوعي، الجزائر.
83. مالك بن نبي، **شروط النهضة**، ط1، 1434هـ-2013م، دار الوعي، الجزائر.
84. مالك بن نبي، **مشكلة الثقافة**، ط1، 1434هـ-2013م، دار الوعي، الجزائر.
85. مالك بن نبي، **من أجل التغيير**، ط1، 1434هـ-2013م، دار الوعي، الجزائر.
86. مالك بن نبي، **ميلاد مجتمع**، ط2:1974، دار الفكر، لبنان، ترجمة: عبد الصبور شاهين.
87. مالك بن نبي، **وجهة العالم الإسلامي**، ط1 1434 هـ- 2013م، دار الوعي الجزائر.
88. مالك بن نبي،**فكرة كومنوالث: إسلامي**، ترجمة الطيب الشريف، ط1 1434هـ-2013م، دار الوعي الجزائر،
89. محسن صالح،**النموذج السياسي الماليزي وإدارة الإختلاف**، (د.ط)،21 يونيو / حزيران 2012، مركز الجزيرة للبحوث.
90. محمّد أبو القاسم حاج حمد، **الأزمة الفكرية والحضارية في الواقع العربي الراهن**، ط1، 1425هـ2004م، دار الهادي للطباعة والنشر، لبنان.
91. محمد أبو القاسم حاج حمد، **جدلية الغيب والطبيعة**، العالمية الاسلامية الثانية، ط1، 1425هـ- 2004م، دار الهادي للطباعة والنشر، لبنان.
92. محمّد أبو القاسم حاج حمد، **منهجية القرآن المعرفية**،ط1، 2013، دار الساقي، بيروت، لبنان.
93. محمد إقبال: **تجديد الفكر الديني**، ط1، 1955م، دار القومية للنشر، القاهرة.
94. محمد السماك: **موقع الإسلام في صراع الحضارات والنظام العالمي الجديد**، ط2، 1999، دار النفائس، بيروت.
95. محمد السيد سليم: **الإسلام والتنمية في ماليزيا**، ع 15، يناير 2007، مجلة الملتقى، مراكش.
96. محمد الصادق إسماعيل، **التجربة الماليزية: محمد مهاتير والصحوة الاقتصادية**، ط1، 2014، دار العربي، القاهرة.
97. محمد الصادق عرجون، **سنن الله في المجتمع من خلال القرآن**، (د.ط)، 1391هـ-1981م، منشورات العصر الحديث، جدة.
98. محمد الطاهر بن عاشور، **التحرير والتنوير**، ط1، (د.ت)، دار سحنون تونس، ج2.
99. محمد الغزالي، **الدعوة الإسلامية تستقبل قرنها الخامس عشر**، (د.ط)، (د. ت)، دار الهدى للطباعة والنشر،الجزائر.
100. محمد المبارك، **نظام الإسلام العقيدة والعبادة**، ط4، 1975م- 1395 هـ، دار الفكر،بيروت، لبنان.
101. محمد باباعمي:**القاموس الحضاري للمجدد محمد مهاتير**،ط1، 2009، عالم المعرفة للنشر والتوزيع، الجزائر.
102. محمد بجاوي، **من أجل نظام اقتصادي دولي جديد**، (د.ط)، 1980، ترجمة: جمال مرسي، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع.
103. محمد بن اسماعيل البخاري، **صحيح البخاري**، كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة، باب لتتبعن سنن من قبلكم، رقم 7320.

104. محمّد بن عبد الكريم الشهرستاني، تحقيق: أمير علي مهنا وعلي حسن فاعور، ط 3: 1414 هـ - 1993م، دار المعرفة،
105. محمّد حسان، **الإيمان بالقضاء والقدر**، ط2، 1427هـ-2006م، مكتبة فيّاض، مصر.
106. محمد سعيد رمضان البوطي، **الإنسان مسير أم مخير**، ط7، 2008، دار الفكر دمشق.
107. محمّد سعيد رمضان البوطي، **المذاهب التوحيديّة والفلسفات المعاصرة**، ط1، 1429هـ-2008م، دار الفكر، دمشق.
108. محمد صادق إسماعيل: **مهاتير محمد والصحوة الاقتصادية**، ط1، 2014، العربي للنشر والتوزيع، القاهرة.
109. محمد علي الصابوني: **صفوة التفاسير**، ط4، 1402هـ- 1981م، دار القرآن الكريم بيروت.
110. محمد عمارة، **فقه الحضارة الاسلامية**،
111. محمد عمر مولود: **الفدرالية وإمكانية تطبيقها كنظام سياسي: العراق نموذجا**، ط1، 2009، مجد للنشر والتوزيع، لبنان.
112. محمد قطب، **دراسات قرآنية**، (د.ط)، (دت)،درا الشروق، بالقاهرة.
113. محمد قطب، **هذا هو الإسلام**، ط1، 2008م، دار الشروق، القاهرة.
114. محمد قطب، **واقعنا المعاصر**، ط1، (د.ت)، مكتبة رحاب، القاهرة.
115. محمد متولي الشعراوي: **تفسير الشعراوي**، (د.ط)، (د.ت)، ج13.
116. محمود محمّد الناكوع، **الانحطاط والنهوض، تأمّلات في الواقع العربي**، ط1416،1هـ-1996م، د د، لندن.
117. محمود محمد سفر، **دراسة في البناء الحضاري**،
118. محمود مراد، **نحو مشروع حضاري عربي**، وقائع ندوة الأهرام بالقاهرة، ط1، 1994، وكالة الأهرام للنشر، مصر.
119. مدحت أيوب: **السياسة الاقتصاديةالماليزية**،(د.ط)، 2008، برنامج الدراسات الماليزية، كلية الاقتصاد والعلوم السياسية، جامعة القاهرة.
120. مريم أحمد مصطفى،**قضايا التنظير للتنمية في العالم الثالث**، (د. ط)، 1986م، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، مصر.
121. مسلم بن الحجاج القشيري،**صحيح مسلم**، كتاب الحدود، باب حد الزنى، مجلد 11.
122. مصطفى غالب، **في سبيل الموسوعة الفلسفية**، ط1، 1983، دار ومكتبة الهلال، بيروت.
123. معمر مهدي صالح الكبيسي،**توزيع الاختصاصات الدستورية في الدولة الفدرالية**، دراسة مقارنة، ط1، 2010، الحلبي للنشر والتوزيع لبنان.
124. مولود عويمر، **مالك بن نبي رجل الحضارة**، ط2 1434هـ-2013م، شركة الأصالة للنشر والتوزيع، الجزائر.
125. نبيه فرج أمين الحضري،**تجربة ماليزيا في تطبيق الاقتصاد الإسلامي تحليل وتقييم**، ط1، 2009، دار الفكر.
126. نصر محمد عارف، **نظريات التنمية السياسية المعاصرة**، ط4، 1427هـ 2006 م، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، مكتب بيروت.
127. هشام جعيط: **الشخصية العربية الاسلامية والمصير العربي**، تر: المنجي الصيادي، دار الطليعة للنشر، بيروت.
128. وحيد الدين خان، **تجديد علوم الدين**، ترجمة: ظفر الإسلام خان، ط1، 1986م، دار الصحوة القاهرة.
129. ويل ديورنت، **قصّة الحضارة**، (د. ط)، 1973 لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة، ج1.

III. المجلات والدوريات:

130. زكي الميلاد، «**مقدّمات في صياغة المشروع الحضاري الإسلامي المعاصر**»، [مجلّة الكلمة، عدد ربيع 1995م، السنة 2،].
131. عبد الحافظ الصاوي: «**قراءة في تجربة ماليزيا التنموية**»، [مجلة الوعي الإسلامي، العدد 451، الشهر 5، السنة 3، الكويت].

132. شكران واحدة: «**كتاب الكون قراءة وموقعه وتطوره في فكر بديع الزمان النورسي**»، [مجلة النور، العدد 2، يوليو 2010،].

IV. المراجع الأجنبية:

133. Anak Jawan, Malaysian Politics and government (shah Alam- Malaysia: Karisma Jayum14, publications 2003.

134. Andaya Barbaro; History of malaysia; university of hawwai press, 2001.

135. chandra, Muzaffar, Challenge dan choises in Malaysion politics an societies, Gelugor, Penang, Aliman, 1989.

136. Hugues Portelli, Droits constitutionnels; serie Hupper cours, Normandi Roto IMP; 3eme Ed, Paris, 1999.

V. مواقع الأنترنت:

137. سعد بن محمد العبيد: **التجربة الماليزية**، ص5، 6 على الرابط:

http://cps:files imamu.edu.Sa/ar/documents consulté le 17/12/2014.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

الفهارس

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

فهرس الآيات

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

فهـــــــــــــــــــــــرس الآيات

الآيات	الصفحة
سورة البقرة	
[وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً]الآية: (30)	109
[وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا] الآية: (143)	21-23-24-70-87
(وإذا تولى سعى في الأرض ليفسد فيها ويهلك الحرث و النسل والله لا يحب الفساد) الآية: (205)	40
[وَإِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ فَبَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَلَا تَعْضُلُوهُنَّ أَنْ يَنْكِحْنَ أَزْوَاجَهُنَّ إِذَا تَرَاضَوْا بَيْنَهُمْ بِالْمَعْرُوفِ ذَلِكَ يُوعَظُ بِهِ مَنْ كَانَ مِنْكُمْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَلِكُمْ أَزْكَى لَكُمْ وَأَطْهَرُ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ]الآية: (232)	106
[وَمَتِّعُوهُنَّ عَلَى الْمُوسِعِ قَدَرُهُ وَعَلَى الْمُقْتِرِ قَدَرُهُ مَتَاعًا بِالْمَعْرُوفِ حَقًّا عَلَى الْمُحْسِنِينَ]الآية: 236	111
آل عمران	
كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَوْ آمَنَ أَهْلُ الْكِتَابِ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ مِنْهُمُ الْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ الْفَاسِقُونَ] الآية: (110)	86
[قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِكُمْ سُنَنٌ فَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ (137) هَذَا بَيَانٌ لِلنَّاسِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةٌ لِلْمُتَّقِينَ]الآية: (137-138)	129
[فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ] الآية: (159)	147-187
[وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ] الآية: (160)	118
النساء	

[إِنَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ بِمَا أَرَاكَ اللَّهُ] الآية: (105)	145
[لَا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِنْ نَجْوَاهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَاحٍ بَيْنَ النَّاسِ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ ابْتِغَاءَ مَرْضَاةِ اللَّهِ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا]الآية: (114)	106
المائدة	
[قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ كَثِيرًا مِمَّا كُنْتُمْ تُخْفُونَ مِنَ الْكِتَابِ وَيَعْفُو عَنْ كَثِيرٍ قَدْ جَاءَكُمْ مِنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُبِينٌ (15) يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلَامِ وَيُخْرِجُهُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِهِ وَيَهْدِيهِمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ] الآية: (15-16)	133
[وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ فَاحْكُمْ بَيْنَهُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ عَمَّا جَاءَكَ مِنَ الْحَقِّ لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَكِنْ لِيَبْلُوَكُمْ فِي مَا آتَاكُمْ فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ (48)]	27
[يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ ما يريد الله لِيَجْعَلَ عَلَيْكُمْ مِنْ حَرَجٍ وَلَكِنْ يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمْ وَلِيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ]الآية: (6)	110-106
الأنعام	
[قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ ثُمَّ انْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ]الآية: (11)	126
الأنفال	
[يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ] الآية: (24)	72
[وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَآخَرِينَ مِنْ دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ اللَّهُ يَعْلَمُهُمْ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ شَيْءٍ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تُظْلَمُونَ]الآية: (60)	153
التوبة	

[وَلَا عَلَى الَّذِينَ إِذَا مَا أَتَوْكَ لِتَحْمِلَهُمْ قُلْتَ لَا أَجِدُ مَا أَحْمِلُكُمْ عَلَيْهِ تَوَلَّوْا وَأَعْيُنُهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ حَزَنًا أَلَّا يَجِدُوا مَا يُنْفِقُونَ (92) إِنَّمَا السَّبِيلُ عَلَى الَّذِينَ يَسْتَأْذِنُونَكَ وَهُمْ أَغْنِيَاءُ رَضُوا بِأَنْ يَكُونُوا مَعَ الْخَوَالِفِ وَطَبَعَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ]الآية: (92-93).	192
[وَقُلِ اعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ]الآية: (105)	116
يونس	
[قُلِ ٱنظُرُواْ مَاذَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَمَا تُغْنِي ٱلْءَايَٰتُ وَٱلنُّذُرُ عَن قَوْمٍ لَّا يُؤْمِنُونَ]الآية: (101)	120
هود	
[كُلًّا نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَاءِ الرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِ فُؤَادَكَ وَجَاءَكَ فِي هَذِهِ الْحَقُّ وَمَوْعِظَةٌ وَذِكْرَى لِلْمُؤْمِنِينَ]الآية: (120)	130
الرعد	
[إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ]الآية: (11)	71-97-155-175-236
إبراهيم	
[قَالَتْ لَهُمْ رُسُلُهُمْ إِنْ نَحْنُ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَمُنُّ عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَمَا كَانَ لَنَا أَنْ نَأْتِيَكُمْ بِسُلْطَانٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ (11) وَمَا لَنَا أَلَّا نَتَوَكَّلَ عَلَى اللَّهِ وَقَدْ هَدَانَا سُبُلَنَا وَلَنَصْبِرَنَّ عَلَى مَا آذَيْتُمُونَا وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُتَوَكِّلُونَ (12)] الآية: (11-12)	118
النحل	
[مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ] الآية: (97)	161
الإسراء	

[وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا] الآية: (70)	55
الكهف	
[مَالِ هَذَا الْكِتَابِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّا أَحْصَاهَا]الآية: (49)	130
الحج	
[أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا أَوْ آذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَكِنْ تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ] الآية: (46)	134
الأنبياء	
[وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِنْ بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ]الآية: (105)	220
النور	
[وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا وَمَنْ كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ] الآية: (55)	104-109-136-194
الأحزاب	
[وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ قَدَرًا مَقْدُورًا]الآية: (38)	112
[لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُو...] الآية: (21)	155
غافر	
[وَأُفَوِّضُ أَمْرِي إِلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ]الآية: (44)	117
فصلت	
[سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ] الآية: (53)	122-126
الشورى	

[لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ] الآية: (11)	103
[أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ] الآية: (13)	71
الجاثية	
[وَسَخَّرَ لَكُمْ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مِنْهُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ] الآية: (13)	55
الفتح	
[سُنَّةَ اللَّهِ الَّتِي قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلُ وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلًا] الآية: (24)	132
الحجرات	
[إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ] الآية: (10)	121
(يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعرفوا) الآية: (13)	171
ق	
[وَكَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُمْ مِنْ قَرْنٍ هُمْ أَشَدُّ مِنْهُمْ بَطْشًا فَنَقَّبُوا فِي الْبِلَادِ هَلْ مِنْ مَحِيصٍ (36) إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرَى لِمَنْ كَانَ لَهُ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ]الآية: (36-37)	134
الحديد	
[لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنْزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ وَأَنْزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ وَرُسُلَهُ بِالْغَيْبِ إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ] الآية: (24)	104
الحشر	
[فَاعْتَبِرُوا يَا أُولِي الْأَبْصَارِ] الآية: (20)	145
الصف	

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ (2) كَبُرَ مَقْتًا عِنْدَ اللَّهِ أَنْ تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ] الآية: (2-4)	66
[وَأُخْرَى تُحِبُّونَهَا نَصْرٌ مِنَ اللَّهِ وَفَتْحٌ قَرِيبٌ] الآية: (13)	116
الجمعة	
[هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ] الآية: (2)	69
[مَثَلُ الَّذِينَ حُمِّلُوا التَّوْرَاةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ الْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًا] الآية: (05)	125
الطلاق	
[قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْرًا]الآية: (03)	112
الملك	
[لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا] الآية: (02)	161
القلم	
[وَإِنَّكَ لَعَلى خُلُقٍ عَظِيمٍ]الآية: (04)	137
المدثر	
الفجر	
[وَأَمَّا إِذَا مَا ابْتَلَاهُ فَقَدَرَ عَلَيْهِ رِزْقَهُ فَيَقُولُ رَبِّي أَهَانَنِ] الأية: 16	111
[إِنَّهُ فَكَّرَ وَقَدَّرَ]الآية: (18)	112
[مَا سَلَكَكُمْ فِي سَقَرَ (42) قَالُوا لَمْ نَكُ مِنَ الْمُصَلِّينَ (43) وَلَمْ نَكُ نُطْعِمُ الْمِسْكِينَ (44) وَكُنَّا نَخُوضُ مَعَ الْخَائِضِينَ (45) وَكُنَّا نُكَذِّبُ بِيَوْمِ الدِّينِ (46)]الآية: (42-46)	111

فهرس الأحاديث

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

الحديث	الصفحة
«إن الله يبعث لهذه الأمة على رأس كل مائة سنة من يجدد لها دينها»	14
«مثل في تراحمهم وتوادهم وتعاطفهم كمثل الجسد الواحد ،ذا اشتكى عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى»	175
ذكر النبي أنه قال: «وذاك حين يُرفع العلم فقلت: يارسول الله وكيف يرفع العلم ونحن نقرأ القرآن ونقرؤه أبناءنا وأبناؤنا ... قال: ويحك يا ابن لبيد ...»	186-110
«لقد تاب توبة لو قسمت على أمة لوسعتها »	64
وذاك عند ذهاب العلم، قلنا يا رسول الله وكيف يذهب العلم ونحن نقرأ القرآن ونقرئه أبناءنا وأبناؤنا يقرئونه أبناءهم إلى يوم القيامة؟ فقال: ثكلتك أمك يا ابن لبيد، إن كنت لأراك من أفقه رجل بالمدينة، أو ليس هذه اليهود والنصارى يقرؤون التوراة والإنجيل ولا ينتفعون مما فيهما بشيء	106
« إذا ذكر القدر فأمسكوا»	112
إني أصبت فاحشة فأقمه عليه، فرده النبي ﷺ مرارا. قال: ثم سأل قومه، فقالوا: ما نعلم به بأسا إلا أنه أصاب شيئا يرى أنه لا يخرجه منه إلا أن يقام فيه الحد.قال: فرجع إلى النبي صلى الله عليه وسلم فأمرنا أن نرجمه بالعظم والمدر والخزف، قال: فاشتد و اشتددنا خلفه حتى عرض الحرة، فانتصب لنا فرميناه بحلاميد الحرة حتى سكت	111
«لو أنكم توكلون على الله حق توكله ... »	119
"فأقدره و يسّره لي"	111
«لا تدخلوا مساكن الذين ظلموا، إلا أن تكونوا باكين أن يصيبكم ما أصابهم، ثم تقنع بردائه وهو على الرحل»	131
"لتتبعن سنن من قبلكم شبرا بشبر وذراعا بذراع حتى لو سلكوا جحر	136

ضب لسلكتموهقلنا يا رسول الله: اليهود والنصارى؟ قال: فمن"	
«إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق»	144-138
«إن خياركم أحاسنكم أخلاقا »	138
«أكمل المؤمنين إيمانا أحسنهم خلقا»	140
«يوشك أن تداعى عليكم الأمم كما تداعى الأكلة إلى قصعتها. قالوا: أو من قلة نحن يومئذ يا رسول الله؟ قال: لا، بل أنتم كثير ولكنكم غثاء كغثاء السيل، ولينزعن الله المهابة من قلوب أعدائكم، وليقذفن في قلبوكم الوهن. قيل: وما الوهن يا رسول الله؟ قال: حب الدنيا وكراهية الموت»	80
«لا يلدغ المؤمن من جحر مرتين »	159-88
«لتتبعن سنن من قبلكم شبرا بشبر وذراعا بذراع.. »	141

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

فهرس الموضوعات

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

العنصر	الصّفحة
مقدّمة.....	9-2
الفصل التمهيدي: ترجمة محمد مهاتير و تحرير المصطلحات.....	10
تمهيد.....	11
المبحث الأول: :التعريف بمحمّد مهاتير.....	35
المطلب الأول: المولد و الأسرة.....	35
1- المولد.....	35
2- الأسرة.....	36
المطلب الثاني: النشأة و القيم.....	36
1- النشأة.....	36
2- دور القيم.....	37
المطلب الثالث: دراسته و تميّزه.....	39
1- الصفوف الأولى.....	39
2- التّفوق و الالتحاق بالكلّية.....	40
المطلب الرابع: حياته العملية.....	42
1- "مها" و طبيب الفقراء.....	42
2- من القاعدة إلى القمّة.....	43
3- زواجه و أولاده.....	44
المطلب الخامس: أساتذته و بعض صفاته.....	45
1- أساتذته.....	45
2- بعض صفاته.....	46
المبحث الثاني: تحديد المصطلحات و تحرير المفاهيم.....	13
المطلب الأوّل: الانبعاث الحضاري.....	13
1- الانبعاث.....	13
أ- لغة.....	13
ب- اصطلاحا.....	13
2- الحضارة..... ..	15
أ- تعريفها.....	15

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

- لغة.....	15
- اصطلاحا.....	16
1- الاتجاه الإسلامي.....	16
2- الاتجاه الغربي.....	22
ب- حضارية الحضارة.....	25
المطلب الثّاني: الثقافة.....	27
1- مفهوم الثقافة.....	27
أ- لغة.....	27
ب- اصطلاحا.....	28
2- الحضارة والثقافة.....	30
أ- العلاقة بين الحضارة والثقافة.....	30
ب- إشكال المصطلح.....	32
3- الثقافة والحضارة والتربية.....	33
أ- علاقة التربية بالحضارة والثقافة.....	33
خاتمة الفصل.....	48
الفصل الثاني: المشروع الحضاري المهاتيري.....	49
تمهيد.....	50
المبحث الأول: الإنسان عند محمد مهاتير.....	51
المطلب الأول: الإنسان والنهضة.....	51
1- تأهيل الإنسان الملايوي.....	51
2- معضلة ومخرج.....	54
المطلب الثاني: مهاتير والإصلاح.....	55
أ- إصلاح الإنسان مدخل حضاري.....	55
ب- المهمشون والمجتمع.....	58
ت- المرأة والنجاح.....	60
المبحث الثاني: نظرة مهاتير للتعليم.....	62
المطلب الأول: تنمية الموارد البشرية.....	62
1- التعليم والتخطيط.....	62

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

2- ضرورة الانتقال من علم الكلام إلى علم العمل.....	64
المطلب الثاني: دور التربية.....	67
1- تربية الإنسان ضمان للتحضر.....	67
2- علاج المرض بدل الاهتمام بأعراضه.....	70
المبحث الثالث: مهاتير و القيم:	76
المطلب الأول: القيم و توجيه الإنسان.....	76
1-القيم الملايويّة.....	76
2-القيم الإسلاميّة.....	78
المطلب الثاني: القيم و التغيير.....	79
1-إدراك بداية التاريخ.....	79
2-المراجعة و النقد.....	81
3- الإرادة و الإصرار.....	82
المبحث الرابع: مهاتير و الهويّة.....	86
المطلب الأول: ضرورة الإحساس بالهويّة.....	86
1- الهويّة و الإستلاب.....	86
2- الهويّة في مجتمع متعدّد الأعراق و الديانات.....	87
المطلب الثاني: الاعتزازب الانتماء.....	89
1- الماليزي يمكنه أن يفعل.....	89
2-عين على المستقبل.....	91
المطلب الثالث: الهويّة و الغرب.....	93
1-معاهدة ماك مايكل.....	93
2-الإدارة الاستعماريةو الملايو.....	94
خاتمة الفصل.....	99
الفصل الثالث: مرجعيّة محمّد مهاتير الإسلاميّة و أسس الإنبعاث الحضاري عنده.....	100
تمهيد.....	101
المبحث الأول: أسس الإنبعاث الحضاري في القرآن و السّنة.....	102
المطلب الأوّل: الأساس العقيدي.....	102
1- دور العقيدة.....	102

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

أ- حقيقة التّوحيد.....	103
ب- تفعيل التّوحيد.....	109
2- القدر.....	111
أ- معنى القدر.....	111
- لغة	111
- اصطلاحا.....	112
ب- أثره في السّلوك.....	115
3- التّوكل.....	117
أ- معنى التّوكل	117
- لغة	117
- شرعا.....	117
ب- علاقة التّوكل بالعمل	119
المطلب الثّاني: الأساس العقلي النّظري.....	120
1- منهجية القرآن المعرفية.....	120
2- مميزات المنهج القرآني.....	120
أ- الدعوة إلى النظر والتدبر.....	120
ب- الوافعية.....	121
ت- الشّمول.....	125
ث- الغائية.....	126
المطلب الثّالث: الأساس السّنني التاريخي.....	128
1- حكمة إيراد قصص السّابقين.....	129
2- السّير و النّظر و فوائده.....	133
المطلب الرّابع: الأساس الأخلاقي التّربوي.....	137
1- المرجعية الأخلاقية.....	137
المبحث الثّاني: أسس الانبعاث الحضاري في الفكر الإسلامي المعاصر.....	141
المطلب الأوّل: التّاريخ و الذّاكرةو الحضارية.....	141
1- تحرير إسلام الرّسالة من إسلام التّاريخ.....	141
2- استعادة الذّاكرة الحضارية.....	143

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

المطلب الثّاني:آليات التغيير.....	145
1 -الاجتهادو الشورى.....	145
2- التعايش والتسامح.....	149
المبحث الثّالث: أسس الانبعاث الحضاري عند محمّد مهاتير.....	151
المطلب الأوّل: إستقامة الفهم و حسن التطبيق.....	151
1-ضرورة الفهم الصحيح للقرآن و السنّة.....	151
2-تنزيل النصوص في الواقع.....	153
المطلب الثّاني: تقييم واستشراف.....	155
1- رؤية مهاتير للتغيير.....	155
2- الإسلام والتنمية عند مهاتير.....	157
3- استشراف المستقبل.....	159
المطلب الثّالث: العمل والمخرج.....	161
1- تقديس العمل.....	161
2- العمل والإرادة.....	164
3- المبادرة.....	165
4- التخطيط والعمل.....	166
خاتمة الفصل.....	168
الفصل الرّابع: تطبيقات مشروع مهاتير في ماليزيا.....	169
تمهيد.....	170
المبحث الأوّل:المجال الثّقافي الاجتماعي.....	171
المطلب الأول: التعريف بماليزيا.....	171
1-ماليزيا بالأمس.....	171
2-ماليزيا بعد الاستقلال.....	172
3-ماليزيا اليوم.....	175
المطلب الثّاني: التّعليم في ماليزيا.....	178
1- مراحل التّعليم.....	178
2- المدرسة الذكية.....	180
3- الجامعات في ماليزيا.....	182

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

المطلب الثّالث: التقليد والخصوصية.....	183
1- الحكمة اليابانية.....	183
2-منهج الحياة المستقيم.....	185
المبحث الثّاني: المظهر الاقتصادي.....	190
المطلب الأول: السّياسة الاقتصادية الجديدة.....	190
1- التمكين الاقتصادي.....	190
2- النّظر شرقا.....	192
3- معادلة الكل يكسب.....	195
المطلب الثّاني: التّخطيط أساس النّجاح.....	197
1- آفاق و تحدّيات.....	197
2- عين على الأسواق الخارجية.....	202
المطلب الثّالث: الخصوصية و الاستقلال الاقتصادي.....	204
1- ماليزيا المتّحدة.....	204
2- مهاتير و صندوق النقد الدّولي.....	205
المطلب الرّابع: الإنجازات الكبرى.....	207
1- كوالالمبور: تطلع و نجاح.....	207
2- بوتراجايا: شكر و عرفان.....	209
3- وسائل كبيرة لغابات سامية.....	210
4- القرية النّموذج "شنكال ".....	212
5- نظام اقتصادي خاص.....	216
6- بروتون و أخواتها.....	220
7- الممر الضخم للوسائط المتعددة.....	224
المبحث الثّالث: المظهر السّياسي.....	228
المطلب الأول: النّظام السياسي في ماليزيا.....	228
1- طبيعة الحكم السياسي الماليزي.....	228
2- فكر مهاتير السياسي.....	231
المطلب الثاني: القيادة المدنية.....	234
1- نظام الخدمة المدنية.....	234

جمعية الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

2- الرّاهن وواجب الأمّة.....	235
المطلب الثالث:مواقف مهاتير.....	239
أ- الديمقراطية.....	239
ب- الأخوّة.....	240
ت- الإرهاب.....	241
ث- العولمة.....	242
ج- حقوق الانسان.....	243
خاتمة الفصل.....	246
الخاتمة.....	247
المصادر والمراجع.....	250
الفهارس	
فهرس الآيات.....	258
فهرس الأحاديث.....	265
فهرس الموضوعات.....	286
ملخصات البحث.....	276
عربية.....	277
انجليزية.....	278
فرنسية.....	279

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

ملخّص البحث

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

إنّ حضور العصر و شهوده يعني بالضرورة القدرة على التعامل معه و التواصل مع معطياته، بل و تقديم البديل الحضاري الذي مازال الانسان يترقبه,و لم يحظ بعد به و خروج البشرية من التيه الذي تتخبط فيه مرهون بجهود امة تملك من مقومات النهوض ما يعطيها الصلاحية و الاولوية ان تخرج للناس هذا النموذج المطلوب, يكون مجيبا على سؤال التحضر ,و مبينا حقيقته,و مراعيا اشواقه و تطلعاته الروحية السامية و قد قامت التجربة الماليزية على اساس متين من القيم, و التعاليم الدينية الصحيحة, دفعت مهندسها الدكتور محمد مهاتير الى ابداع السبل و الوسائل الكفيلة ببعث ماليزيا من جديد, دولة قوية اقتصاديا و اجتماعيا و سياسيا متاسية بكل ما يوافق العقل السليم ,و التفكير البناء و العمل الناجح في ضوء شريعة عزاء انتجت من العدم جيلا لم يتكرر في تاريخ البشر , الهمت محمد مهاتير استشرافا و املا في غد افضل لماليزيا, و للامة الاسلامية, و للانسانية جمعاء و هو ما دار حوله موضوع اطروحتي المشتملة على مقدمة و اربعة فصول تناولت بالتفصيل الانبعاث الحضاري الاسلامي في تجربة ماليزيا بقيادة رابع رئيس وزراءها تون محمد مهاتير

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

Summary of a thesis to get a doctorate's degree:

A civilised nation is that one, possessing the ability to cope with environmental changes. It is a nation's ability to handle now-epoch reality,in other words having the power to master changes accruing at a fast speed,thus finding out alternatives to challenge newly emerged, facts, views and situations. Dealing in such a way can obviously avoid the collapse of its foundations. These foundations that have to be systematically based on human resources investments. The economic growth rhythm with the social development.

The Malaysian model is the best illustration. Malaysian experience shows that developing national identity, applying ethical issues in business, rehabilitating work, relying on Islamic values, all these factors has led to the great success Malaysia has ever seen. The various effective ways « MuhammadMahatir » (the prime minister of Malaysia) has adopted to rise economical, social andcultural issues, is really the best and the typical succeful alternatives to move the country out of poverty and retardness.

We believe deeply that our nation contains among it Muslim thinkers who can effectively, and in multiple ways save the nation from the huge collapse that threatens it.

My thesis is dealing with this topic which consists of an introductory passage, four chapters,then a conclusion.

Le Résumé

Faire partie d'un siècle nous impose à se soumettre à ses règles, nous accommoder ses critères mais aussi nous impose à être en quête du meilleur pour l'humanité. D'autant ceci dit cette dernière tâtonne toujours pour s'en sortir car ce n'est pas chose mince que de vouloir être les meilleurs, de vouloir être un modèle de civisme et de piété.

Dans ce contexte l'exemple de la Malaisie reste prépondérant car ce pays cherche à être un repère civilitionnel pour le monde islamique le docteur MAHATIR a consacré sa vie pour atteindre ces objectifs en se basant sur ce qui a été fait et acquêt aussi bien en orient qu'en occident lui a permis de croire en un avenir meilleur pour le monde musulman voir l'humanité entière.

Aussi la thèse de mon doctorat qui comporte une introduction et quatre chapitres reflète en détail, l'expansion de la civilisation islamique en Malaisie sous l'égide du quatrième premier ministre de ce pays Docteur Mohammed MAHATIR.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية